

# ماذا أنتظر...؟!

الدكتور  
صالح الفوزان  
صالح الفوزان

الحقوق محفوظة للمؤلف



مؤسسة الرؤية للصحافة والنشر  
مسقط - سلطنة عمان

الطبعة الأولى  
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



## تَقْرِيطُ الْكِتَابِ

كتاب «ماذا أنتظر؟» إصدارٌ قيّم، وخاصّةً إلى شبابنا الذي ينعقد عليه العزم، وتُركنُ إليهم الآمال والمستقبل القريب، كما يدعوهم الكتاب إلى عدم التخاذل والتكاسل عن العمل والرغبة الجادة في تحقيق الأهداف والطموح، وهي معانٍ ساميةٌ تحقق تطلعات الأمم والشعوب»

**صاحب السمو السيد / هيثم بن طارق آل سعيد**  
**وزير التراث والثقافة**

«ماذا أنتظر» يطرح عدداً من القصص الملهمة، التي تهدف إلى تحفيز القراء على الكفاح والمبادرة، وتعزيز ثقافة الإقدام على العمل والبحث الجاد عن الفرص السانحة، من بينها قصة تتناول جانباً من حياتي.

**معالي الدكتور / علي بن إبراهيم النعيمي**  
**وزير البترول والثروة المعدنية السعودي**

كتاب «ماذا أنتظر» حلّ مني محلّ القبول والاستحسان، سائلاً المولى -عزّ وجل- أن يجعل هذا العمل إضافةً مهمّةً للمكتبة العمانية، وأن يكتب التوفيق والسداد لمثل هذا الجهد المخلص، إنه سميع مجيب الدعاء.

**معالي الشيخ / نصر بن حمود الكندي**  
**أمين عام شؤون البلاط السلطاني**

وجدته محيطاً بكل جوانب موضوعه، مليئاً بالمعلومات المهمة المفيدة للقارئ مما يجعله مرجعاً للباحثين»

**معالي الدكتورة / مديحة بنت أحمد الشيبانية**  
**وزيرة التربية والتعليم**



## تمهيد

### ماذا أنتظر؟!

أنتظرُ الفرصَ السوانحَ حتى تهب عليَّ مع  
الريح فأستثمرها؟!  
أنتظرُ طارقاً يطرقُ عليَّ باب بيتي ليأتيني بثروةٍ  
لم أحلم بها؟!  
أنتظرُ من يدلّني على الطريق الذي أحقّق فيه  
طموحي، وأنجزُ فيه أهدافي؟!  
أم أنتظرُ حادثاً فتبدّرُ مني ردّة فعلٍ إزاءه؟!

### ماذا أنتظر؟!

الوقت يمضي سريعاً، والعمرُ ينقصُ معه..  
وأنا لا أتحرّكُ وكأنني المشلولُ فكراً وجوارحاً..  
تتخيلُ أمامي أطيافُ الأحلام التي أبدو فيها  
وقد بلغتُ ما آملُهُ من سعادة..  
فماذا أنتظر؟!



## عزيزي القارئ المبادر..

أردتُ لهذه التساؤلات أن تستثيرَ نفسك،  
وتجيشَ عزائمك، وتحفزَ قواك - قبل قراءتك  
لهذا الكتاب - حتى لا ترضى بالخمول جليساً،  
ولا بالكسلِ أنيساً.

خواطرٌ صادقةٌ عميقةُ الأثر حول المبادرة، والتي  
هي - في نظري - السرُّ الأثمنُ ولولا المبادرين  
في هذه الحياة، لم تتقدم أساليب العيش، ولم  
ترتقِ أنماطُ السلوك، وظلَّ الإنسانُ يعيشُ في  
الكهوف! وخالَت الحياة من كلِّ طعم.

المبادرون هم الذين دفعوا البشرية نحو التقدم،  
والأوطان نحو النماء والإزدهار، والمجتمعات  
نحو مزيدٍ من التفاعل والإبداع والابتكار،  
وهم الذين وصلوا إلى منابع السعادة.. فكن  
أحدهم.. كن مبادراً.

د. صالح الفهدي



## المحتويات

٥	تمهيد .....
١١	المقدّمة .....
١٩	برمجة العقل الباطن .....
٢٥	المبادرة أصل الإسلام .....
٢٩	المبادرون .....
٣٧	المبادرة روح المسؤولية .....
٤٣	التركيز على عيوب الآخرين عشرة أمام المبادرة .....
٥٧	لا تكن سلبياً .....
٦١	لا تحمل فوق رأسك جبال التوافه .....
٦٥	بياض واسع مقابل نقطة سوداء .....
٧٣	وقتك مصدر ثروة .....
٧٧	خطوات صغيرة لأهداف كبيرة .....
٨١	اطرح قناعك البالي بعيداً .....
٨٥	التسامح .. تقدم .....
٩١	نقطة تحول .....
٩٧	مراجعات .....
١٠٣	النظرة نحو المستقبل .....
١٠٩	تغيير القنوات .....
١١٣	بالأفعال تتحقق الإنجازات .....

- ١٢١ ..... على كف القدر
- ١٢٧ ..... ما لا يعنى
- ١٣١ ..... تحديد الأهداف
- ١٣٧ ..... شبح الخوف السلبي
- ١٤٥ ..... التخطيط طريقك للغايات
- ١٤٩ ..... التسامح خلق المبادر
- ١٥٣ ..... فشل النجاح
- ١٥٧ ..... الرضا الذاتي معضلة المبادر
- ١٦٥ ..... صناعة الفرص
- ١٧٥ ..... بين الطبع والتطبيع
- ١٨١ ..... بيدك الحل لا بيد غيرك
- ١٨٥ ..... خداع الذات
- ١٨٩ ..... المبادر صاحب هممة
- ١٩٣ ..... بين الحووم والنوم معنى حياة
- ١٩٩ ..... الصمت قرين العمل
- ٢٠٣ ..... إسعاد الآخرين
- ٢٠٩ ..... مساعدة الآخرين على التغيير
- ٢١٣ ..... قواعد جوهرية للمبادر استخلاصاً مما احتواه الكتاب
- ٢٤١ ..... قصص المبادرين

## المقدمة

«المبادرة هي فعل الأشياء  
الصحيحة دون طلب»

Elbert Hubbard

من أكبر المشكلات التي تعانيها مجتمعاتنا عدم المبادرة أو ضعفها في كثير من المجالات، حتى أمست معضلةً متجددةً في الذات الإنسانية تعيقها عن تحقيق الطموحات التي تتطلع إليها بفعل الشحنات السلبية التي تملأها.

هذه ليست ثقافتنا في الأصل كشعوبٍ استمدت من الإسلام جذوةً هممها، ويقين إيمانها، وأسس منطلقاتها، وخالص دروسها، ليست ثقافتنا بالتأكيد. إن رسول الأمة الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام جعل من المبادرة مطيته بدءاً من نزوحه التعبدي التأملي في غار حراء قبل النبوة إلى هجرته الكريمة نحو بناء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

الإسلام في حد ذاته مبادرة عظيمة مبنية على مبادرات أشبه بالطوب المرصوف على بعضها حتى امتد الإسلام في أصقاع الأرض ينشر السلام والعدل وقيم الحق في البلدان المقهورة بحكم الإستبداد ويعلي قيمة الكرامة في الأوطان الراسفة تحت أغلال القهر والطغيان.

المبادرة في اللغة: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه<sup>(١)</sup>، وهذا هو ما يرتكز عليه ديننا القويم في كلام الله المقدس بقرآنه المنزل منها ثناءه على المؤمنين المسارعين للخيرات ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي المقابل يصور الخسران لمن

(١) لسان العرب: ١٥١/٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦١

تفوته الفرص في الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ (١).

الدين الذي يحث رسوله الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم أمته على المبادرة بقوله: «بادروا بالأعمال» (٢).

ويشجّع أتباعه على عدم التردد في الإقدام على المبادرة منها ما جاء في خبر مشورة الحباب بن المنذر - رضي الله عنه - في غزوة بدر، ومما جاء في ذلك الخبر أن الله - عز وجل - بعث السماء، فأصاب رسول الله «والمسلمين ماءً لَبَدَّ لَهُمُ الْأَرْضَ، وَأَصَابَ قَرِيشًا مَاءً لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ، ثُمَّ رَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ: «سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، فَكَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ».

ثم مضى يبادر قريشاً إلى الماء حتى إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به، فجاء الحباب بن المنذر بن الجموح أحد بني سلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: رأيت هذا المنزل أمزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى نأتي أقرب قلب القوم، ثم نُغَوِّرْ ما سواه من القُلب، ثم نبني حوضاً، فملاًه، ثم نقاتل، فنشرب، ولا يشربون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «قد أشرت بالرأي»، ثم أمر بإنفاذه، فلم يجرى نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب، وامتلكوا مواقع الماء (٣).

هذا الدين الخفيف الذي انتشرت دعوته بالمبادرة بدءاً من الطائفة إلى رسل النبي

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) رواه ابن هشام ٣٦٦/٢ عن أبي اسحاق، قال: تحدثت عن الرجال من بني سليمة أنهم ذكروا أن الحباب..

المختار لدى ملوك الأرض وحكامها من مثل كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وهرقل وغيرهم.

وفي إرثنا الثقافي تتجسّد المبادرة تاريخياً متمثلة في أسفار العمانيين برّاً وبحراً إلى أوطان مختلفة طلباً للتجارة والعلم ونشراً للدين والحق، فلم يعيهم وصبّ ولم يعقهم نصبٌ ولم تشنهم أخطار من أجل إحراز السبق لأجل نفع الأمم.

لكن ثقافة المبادرة غاضت في النفوس، وخبث جذوتها في كثيرٍ من القلوب، حتى إنك لا تكاد تسمع من يُلقي عليك مبادراً التحية الكريمة «السلامُ عليكم» إلا إذا ألقيتها أنت عليه!

وإنك لترى الشاب العريض المنكبين، المفتول العضل وهو خائرُ الهمة، ناعسُ العينين، سلبِي التفكير، ساخطٌ على كلِّ مبادرٍ، يحلمُ ليلاً نهاراً بوظيفةٍ مرفّهةٍ وسيارةٍ فخمةٍ وقصرٍ منيف، وهو جالسٌ على كرسيٍّ وثيرٍ يشغلُ حيناً من الفراغ دون فائدة. ومن هنا، فقد خطر لي أن أفرد كتاباً خاصاً لما كتبتُ في قيمة المبادرة، إيماناً مني بأن المبادرة هي أساسُ النجاح، ودرّبُ السعادة الإنسانية في هذا الوجود.

إن المبادرين ليميّزون بعظمة النفوس، وقوّة الدوافع الداخلية، والقدرة على التحكم الذاتي، وذلك تأسيساً عملياً على منهج التغيير الرباني ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، ولذلك فهم لا يلقون باللائمة على الآخرين ولا على الظروف، فما ذلك إلا طبعُ الخاملين، المتقاعسين.

إننا بحاجةٍ ملحةٍ إلى تفعيل قيمة المبادرة في النفوس تفعيلاً حقيقياً يجعلها القيمة الأبرز في حياة الإنسان، أقول ذلك لطبيعة العصر التي تنزع بالإنسان إلى الميول الفردي، والسعي إلى تحقيق المصالح الشخصية، وتقديمها على مصالح المجتمع. إن قيمة المبادرة هي ضمان الفكرة الاجتماعية، ولبّ التعاضد والتكافل والتعاون وهي عناصر لا غنى للمجتمع عنها.

المبادر إنسانٌ رفيع الخلق، بعيد الرؤية، واسع النظرة، حكيم الرأي راقى النفس، قوي الشكيمة، به يُناط التغيير فهو يمتلك الإمكانيات لإحداث ذلك يقول (ستيفن كوفي): «انني مقتنع شخصياً أن شخصاً واحداً يمكن أن يكون حافزاً للتغيير، محوِّلاً transformer» في أي موقف، في أية منظمة، مثل هذا الفرد هو الخميرة التي يمكن أن تنتج رغيفا كاملاً».

ذلك يتطلب الرؤية والمبادرة، والصبر، والاحترام، والمثابرة والشجاعة والإيمان لتكون رائداً في طريق التحول والمبادرة هي لفظَةٌ رائعة، بل خلق أروع ذلك لأنها تدلُّ على ما ينطوي في نفس المبادرة من علوِّ همّة، وشكيمة بأس، ونخوة نفس، لدى المبادر.

المبادر الذي يسارع قبل الآخرين في إحراز المجد، وتحقيق الإنجاز، والظفر بالنجاح، فالمسارعة إلى الخيرِ مبادرة قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٦١) (١)، فالإسراع هو المبادرة (٢)، لهذا تظهر المبادرة في القرآن الكريم في لفظة المسابقة ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٣) أو المسارعة ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٤)، وفي الحديث الشريف تظهر لفظتها «بادروا بالأعمال».

المبادرة هي التي صنعت دولة الإسلام، وهي التي وسعت أطرافها، فلو لم يبادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدعوة بصورة تدريجية، ولو لم يبعث الرسل إلى الحكام كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي وغيرهم لما أسس دولة الإسلام، فقد تحمّل الأذى والنصب والعداوت ولكنه صمد هو وأصحابه والصمود لم يكن يعني الجمود بل كان منطلقاً للتقدم بثباتٍ وعزيمةٍ وإصرارٍ وتحدي.

هل كان الإسلام سيبلغ ما بلغ من أقطار بعيدة عن الجزيرة العربية ومن شعوب

(١) سورة المؤمنون: الآية ٦١

(٢) لسان العرب: ٨ / ١٥١

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٨

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٣

غير عربية لو لم تكن روح المبادرة هي التي قادت الأنفس لحمل مشاعل النور كي تضيء أرجاء المعمورة، إننا حصل التراخي والفتور والخمول في المسلمين بسبب مُدخلات لا تحفز العقل الباطن على العمل وكأنها هو قدرٌ مقدّرٌ على المسلم أن يجيا معيشةً ضنكا، أو أن يُدعن للفقر، أو أن يسترزقَ من نتاج أيادي الآخرين ثم يعودُ يدعو الله أن «يجمد الدماء في عروقهم».

وفي هذا الحال يقول عبدالرحمن الكواكبي: «ولبسطاء الإسلام مسليات أظنها خاصة بهم يعطفون مصائبهم عليها وهي نحو قولهم: الدنيا سجن المؤمن، المؤمن مصاب، إذا أحب الله عبداً ابتلاه، هذا شأن آخر الزمان، حسب المرء لقيمات يقمن صلبه، ويتناسون حديث: «إن الله يكره العبد البطل» والحديث المفيد معنا: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم غرسة فليغرسها ويتغافلون عن النص القاطع المؤجل قيام الساعة إلى ما بعد استكمال الأرض زخرفها وزينتها، وأين ذلك بعد؟!»<sup>(١)</sup>

لقد كتب الكواكبي ما سلف قبل أكثر من مائة عام ولا تزال ذات العبارات والأمثال تتردد على الأذهان وكأنها وليدة اللحظة، يتوارثها جيلٌ بعد جيل حتى أماتت في الأمة روح المبادرة، وخذرت في عروقها الحركة، فكلما جاء جيلٌ زادت أكثره المسليات والمهيات خمولاً ودعةً واستسلاماً فابتدعَ أصنافاً أنواعاً من اللهو والترفيه، وزاد الإذعان والاستسلام أقله فابتدر يتمثل بمثل تلك العبارات الهزيلة التي تناقض قول النبي العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام:

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرٌ حَرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَلَا تَعْجِزْ فَإِنَّ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(٢)</sup>.

إنني لأعتقدُ يقيناً أن من أكبر مشكلات أمتنا هي فقدان المبادرة ووهيها في النفوس

(١) عبد الرحمن الكواكبي (طبائع الاستبداد، ومصارع العباد) دار النفائس ط ٢٠٠٦ / ٣

(٢) رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

والألباب في كثيرٍ من مساقِي الحضارة السامية، ومساعي العيش الكريم، وصنوف الإبتكارات الحديثة، وسباقات الإختراعات المتسارعة.

وفي هذا قال ذات مرّة شيخنا محمد الغزالي رحمة الله عليه: «إننا نحن المسلمين نتقهقر من عدّة قرون، وكأننا في معركة انسحاب من أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، وقد قاوم الأجداد والآباء والأعقاب، وورثنا نحن هذه المقاومة الباسلة النبيلة، وكسبنا مواقع وخسرنا أخرى، وأرى أنه لا بد من دراسة شاملة لأسباب تقهقرنا المدني والعسكري وما هي العناصر الحيوية التي فقدناها حتى دهانا ما دهانا؟ لا بد من بصيرة فاحصة متعمّقة تتدبّر ثقافتنا وتُنقّي منابعها، وتنقد مستوانا الحضاري الأخير، وتستكشف أسباب هبوطه!»<sup>(١)</sup>، إننا بدل أن نكون مبادرين - في أغلبنا - كما كان شأننا حيث جاب أجدادنا أصقاع العالم بناءً للأرض، وسعاةً للحق، أصبح تحرّكنا مجرد ردّة فعل لما يحدث لنا، وقد تكون ردّات الفعل جيّدة حيناً ولكنّ المبادرة لدرء الخطر هي الأهم على منوال «الوقاية خير من العلاج» و«درهم وقاية خير من قنطار علاج» هذه إشكاليةٌ من إشكالياتنا الحضارية التي يفترض بنا أن نتجاوزها، لقد جمعتُ في هذا الكتاب ما كتبه عن صفات المبادرين أو الذين يقفون في الجانب الآخر وما أكثرهم أولئك الذين لاخلاق<sup>(٢)</sup> لهم من المبادرة، بل اقتصروا على ندبِ حظوظهم داخل أنفسهم، وكَيْلِ الإنتقادات لأهل المبادرات والتقليل من جهودهم، والتحقير من نجاحاتهم خارجياً، أولئك الذين ألفوا العجز، وآثروا الفتور والخمود والخمول بديلاً عن العملِ والهمة والعزيمة والسبق.

د. صالح الفهدي

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، الشيخ محمد الغزالي.

(٢) الخلاق: الحظ والنصيب من الخير.





## برمجة العقل الباطن

«إن أكبر عوائق التغيير لقوانيننا  
التقليدية لا تكمن في العالم المرئي  
للعقل الواعي ولكن في العالم  
المظلم للعقل الباطن»

Augustus Y. Napier

يعدُّ العقل الباطن موجَّهاً تلقائياً  
للإنسان بحسبِ ما يُخزّنه فيه من  
توجيهات وبيانات أشبهه هنا بنظام  
الطيار الذاتي Autopilot فهو يقود  
الطائرة بحسب ماخُزّن داخله من  
بيانات مسبقة لرحلةٍ ما، وهو يعتمدُ  
على خبراته السابقة التي تراكمت

بفعل الممارسة المتكررة أو بتركيز العقل الواعي.

لهذا فإنَّ الواحد منا يتساءل أحياناً بعد أن قطع مسافة طويلة في الشارع قاد فيها  
مركبته دون إدراك وتركيز تجاوز خلالها مركبات وعبر تقطعات وخفف من سرعته  
هنا، وأسرع هناك، والتزم بالسرعة المحددة دون تجاوز، ولم يغفل الإشارات الجانبية،  
أو التنبيه عند الشعور بالخطر.. يتساءل كيف فعل كل ذلك ولم يشعر به؟! أو

والإجابة بسيطة: العقل الباطن فعل كل هذا. إذاً: فنحنُ البشرُ نملكُ كنزاً عظيماً  
يتمثل في نظام معلومات Computer يستطيع تخزين ٢ بليون لقطة في اللحظة  
الواحدة في مقابل ٧ لقطات يُخزّنها العقل الواعي، وهذا يعني أننا نستطيع أن نحقق  
النجاح بحسب مقدرتنا على التعامل مع العقل الباطن.

يقول (جيمس ك فان فليت) في كتابه (لقوة الخفية للعقل الباطن): «لا يهّمُ عقلك  
الباطن طبيعة الأهداف التي تحددها له، لأنَّكَ لو برمجته على النجاح فسوف تنجح  
ولو برمجته على الفشل فستفشل، فأنتَ لكَ مطلق الحرية، فإذا منحتَ عقلك الباطن  
أهدافاً ناجحةً فسيكون آليتك للنجاح وإذا قدمت له أهدافاً فاشلةً أو أغراضاً  
سلبيةً فسيكون آليتك للفشل، وسترى أنَّ عقلك الباطن يعمل بالضبط مثل جهاز

الكومبيوتر فيما يتعلق بالتساوي بين المعطيات والنتائج».

الإشكالية أن بعض الناس يضعون بأيديهم الأحجار التي تعيقهم، وهذا واضح من خلال الكثير من الكلمات المتداولة على ألسن البعض يكررونها ليلاً نهاراً فيكون لها أثرها السلبي عليهم، فحين تصادف الواحد منهم لا يبادرك بالكلمات الإيجابية عن نفسه أو عنك، بل يكرر على نفسه:

بأنه قد شاب، ولم يعد يقوى على حمل نفسه، وأنه منهك، وأنه تعبان، وأنه أصبح عاجزاً عن فعل شيء...

ثم يراك من منظور رؤيته لنفسه، فيحسبك مثله، أو يريد أن يضمك إلى النطاق السلبي الذي يجس نفسه فيه.

ولن يروقه أن يراك متحرراً من هذه القيود، ولو أنه نظر للوجود نظرة تفاؤل لتغير حاله.

والذي نفسه بغير جمال

لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً<sup>(١)</sup>

إن الله سبحانه وتعالى ليحمّل الإنسان مسؤولية التغيير الذاتي، قال تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>

فالإنسان هو الذي يصوغ توجهاته، ويحدد مراميه، ويعين غاياته فحسب ما يفعل

يجد من نتيجة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَىٰ ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ۝٦ فَنَسِيْرُهُ لِيْسْرَىٰ ۝٧

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ۝٩ فَنَسِيْرُهُ لِّلْعَسْرَىٰ ۝١٠﴾<sup>(٣)</sup>

وهنا يكمن السر، أن تفعل فعلاً حسناً، أو تقول كلمة طيبة ييسر الله لك طرق اليسر وفي المقابل إذا فعلت فعلاً مشيناً أو قلت كلمة محبطة، أو استسلمت لشعورٍ مثبطٍ

(١) إيليا أبو ماضي.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١

(٣) سورة الليل: الآية ٥-١٠.

لن تجد أمامك إلا الطرق العسيرة، لهذا لن نستغرب أن ينتحر يائس لأنه لم يبصر في الدنيا إلا سواداً قائماً أينما توجه بصره وهذا هو قانون الإنعكاس في العقل الباطن فما يعتقد به أو يشعره الإنسان يراه أمامه خيراً أو شراً، إشراقاً أو إظلاماً، نفاؤلاً أو كآبة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اعملوا فكلُّ ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسروا لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسروا لعمل أهل الشقاوة»<sup>(١)</sup>.

هو الإنسان ذاته الذي يقوم ببرمجة عقله بما يدخله في عقله من تصورات إيجابية أو سلبية وعلى إثرها تكون النتيجة فهو كالفلاح الذي يزرع يحصد بحسب ما زرع.

من هنا فإنَّ العقل الباطن هو مستودع تكوين بذرة المبادرة وحين يستهين الإنسان بكلمة تبدو بسيطة في نظره، أو مزحة في خاطره، أو صغيرة في تصوُّره، فإنَّه مخطيء خطأً كبيراً، وأضربُ على ذلك مثلاً شهدته: فأحدُ الأزواج كان يلقي بصورة دائمة كلمةً على زوجته يحسبها مزحةً وهي في حقيقتها مزحةً سمجةً تبدو في ظاهرها كذلك مع ما يصاحبها من ضحكات أو حركات تصدرُ منه، ولا تملكُ الزوجةُ إلا أن تحمل مشاعرها بتكلف لقبول تلك الكلمة حتى تنسجم مع الأجواء، فقلتُ لأحدهم: أن هذه الكلمة أثراً عميقاً ستظهرُ نتائجه في القادم من الأيام، وبالفعل فإن تراكم الكلمة وأثرها المتعاقب قد ولدا حالةً من الظن والإرتياب كاد أن يعصف بالعلاقة الزوجية، ويأتي بالبيت من القواعد.

العقل الباطنُ هو مصنعُ المبادرة الإيجابية بما يخزّن فيه من صورة إيجابية عن الذات، وأجمل ما تتصف به من صفات تمكنها من النجاح، وتدفعها لتحقيق الإنجاز.

فكم من قصةٍ مرّت علينا تتلوّن روايةً وتتفق معنى حول ذلك المريض الذي قال له الأطباء بكل يأس: «إنَّك لن تعيش سوى أيام أو أشهر معدودة»

فإذا هو يعيش سنوات وسنوات سعيداً هائئاً دون مرض، لقد استطاع أن يدير عقله الباطن بكفاءةٍ وجدارةٍ.

و حين سُئِلَ الحسن البصري عن سرِّ زهده في الدنيا قال: «أربعة أشياء علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأنَّ قلبي، وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلتُ به وحدي، وعلمتُ أن الله مطلعٌ علي فاستحييتُ أن يراني عاصياً، وعلمتُ أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي».

ولا شك بأن أقوى برجة لدى الإنسان المسلم تتم من خلال أداء الصلاة والتسبيح والذكر والدعاء، وهذه عظمة الإسلام أنه جعل لكل شيء دعاءً حتى يبرمج المسلم ذاته بطريقةٍ إيجابيةٍ ويصل بها إلى حالة من السموِّ، والصفاء والصدق والإنسجام والطمأنينة ويطردها عوامل الإحباط واليأس والفتور والخوف والقلق.

فما ظنك بحال المسلم الذي يردّد هذا الدعاء الذي كان يردده نبيّه المعلم القدوة عليه أفضل الصلاة والسلام:

«اللهمَّ إني أعوذ بك من العجزِ والكسلِ والهَرَمِ والجبنِ والبخلِ وعذابِ القبرِ، اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنتَ خيرَ من زكّاها، أنتَ وليُّها ومولاها، اللهمَّ إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، وعلمٍ لا ينفع، ودعوةٍ لا يستجاب لها» (١)

إن أقوى برجة حقيقية للعقل الباطن حسب اعتقادي هي تلك التي تربط بين النفس والروح، هذا الرابط (العروة الوثقى) يتضح من خلال آيات بيناتٍ كمثله قوله تعالى:

﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩)

ربطت هذه الآية ثلاث جوانبٍ ببعضها الجانب العقلي (الشورى)، الجانب النفسي (نية العزم)، والجانب الروحي (التوكل على الله).

كما أن الرابط النفسي الروحي يتمثّل بقوة في الدعاء وذلك لارتباط الرسائل المرسلّة

(١) عن عبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥

إلى العقل الباطن بالإيمان بالله على سبيل المثال حين يدعو المسلم بهذه الأدعية:  
 «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النَّفَاقِ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلِسَانِي مِنَ الْكُذِبِ، وَعَيْنِي مِنَ  
 الْخِيَانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ».  
 «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ،  
 وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ».

«اللَّهُمَّ أَبْعِدْ عَنَّا الْكَرْبَ وَالْهَمَّ وَالْحُزْنَ وَأَقْضِ لَنَا حَاجَاتِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دِينَانَا وَدِينَنَا».  
 هذه الأدعية وغيرها تعمل على برمجة العقل الباطن عن طريق الإستعانة بالله  
 سبحانه لإخلاءها من شوائب الكدر والهموم واللغو والهوى والخمول والكسل  
 وتملأها بالنور والسعادة والطمأنينة والتفاؤل والنشاط، تخيل أن إنساناً ما قد وضع  
 كل آماله وأحلامه في إنسانٍ آخرٍ ليحصل منه على رزقٍ أو خدمةٍ أو غيرها فإن عقله  
 الباطن سيكون مرهوناً بما يقدمه ذلك الإنسان له أمّا لو أنه أسكن في عقله الباطن  
 اليقين بالله وحده دون أحدٍ سواه مكرراً على نفسه آيات عظيمة كقوله تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ  
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ (١٠) ﴿١﴾.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ  
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) ﴿٢﴾.

فإن برمجة العقل الباطن ستساعده على الإبتعاد عن الهم والندم والتحسر والتأسف  
 والضعف والتفكير، وتملأ قلبه بالرضى والطمأنينة والإقتناع بأن في المنع عطاءً، وأن  
 ما أخره الله عنه خير له وفي الشرِّ الظاهر للإنسان خيرٌ باطن، فقال تعالى:  
 ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

(١) سورة فاطر: الآية ١٠

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٠

تَعَلَّمُوا ﴿٢١٦﴾ (١).

وإذا كان علم النفس يؤكد أهمية الحالة النفسية لشفاء المريض من مرض عضوي فما بالك بالأثر الكبير إن كان الأساس هو الثقة بالله والإيمان العميق به والرضى بما قدر وكتب واحتساب أجر الصبر عنده سبحانه، حينها تمتزج الرسائل الإيجابية في العقل الباطن بالروح الإيمانية الوضيئة وينتج عنها طاقة مشعة تساعد الإنسان على البرء والشفاء سريعاً أو تملؤه طمأنينة ورضاً بما قسم الله له وابتلاءً به:

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ﴿٢٢﴾ (٢).

ويقول تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ﴿٢٨﴾ (٣).

من هنا فإن المدخلات التي تلج إلى العقل الباطن لها أثرها في حياة الإنسان بشكل عميق فإن انتقى الإنسان خير المدخلات استقامت أموره، وطابت أحواله، ومما لا شك فيه أن خير ما يقوم الإنسان ويصلح حاله، ويسعد دواخله، ويدفع هممه هو القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٤).

أما إذا لم يكثرث بنوعية المدخلات فتلقى كل شيء بسمع وطاعة فإنها ستعمل وبصورة تلقائية على شقائه وبؤسه وتدمره سواء شعر بذلك أم لم يشعر.

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٢

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٨

(٤) سورة الإسراء: الآية ٩

## المبادرة أصل الإسلام

لقد بدأ الإسلامُ بمفتاح المبادرة الأعظم، إقرأ أي بادر بالقراءة والقراءة مفتاح العلم والعلم مفتاح الحضارة والحضارة طريق رقي الإنسان، وسمو نفسه وكمال خلقه، وعلو مآربه.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١)

سورة العلق

ثم جاءت فيما بعد المبادرة التطبيقية للبدء بالعمل ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢).

الإسلام في جوهره وكيّته عبارة عن مبادرة لإصلاح أحوال البشر وتصويب اتجاههم من الضلالات إلى جادة الحق، وتحريرهم من الأوهام والخرافات، وتخليتهم من شوائب المعتقدات والعادات، لهذا قال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

والمسلم إن لم يكن مبادراً كان خاسراً، متخلفاً وراء الركب، معطلاً لنفسه، ولأمته، وهذا ما حدث لأمة بأسرها، تركت المبادرة فتقهقرت بينما تلقف الغرب علومها فبدأ من حيث انتهت واليوم تعيش هذه الأمة على ما ينتجه الغرب، وتستهلك ما يصدره لها راضية مدعنة، فاستمع إلى آياتٍ تحثُّ على اكتساب السمو الأصيل في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

واستمع إلى قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٤).

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٣

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٤

واستمع إلى حديث النبي الكريم عليه أزكى الصلاة والتسليم: «لا يَحِلُّ لِمُرِيٍّ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَيَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(١)</sup>

ديننا دينُ المبادرة «فَمَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»<sup>(٢)</sup>

هذه هي الفكرة الأساسية في الإصلاح وتصويب الإتجاهات وهي مسؤولية الأمة، أما حين تترك الأمة المبادرة بحجة أن ما يفعله زيد لا يعني عمرو فهلاكها مؤكد، وخرابها مشهود مؤرخ بيد خالقها:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>

وكم من المواقف التاريخية التي صنعت مفاسل في التاريخ كان سببها المبادرة وليس الإذعان والإستسلام والسكوت بأية حجة كانت.

ففي غزوة بدر فقد كان لمبادرة الحباب بن المنذر رضي الله عنه دوراً في الغزوة فقد بعث السماء، فأصاب رسول الله والمسلمين ماءً لبد لهم الأرض، وأصاب قريشاً ماءً لم يقدرُوا أن يرتحلوا معه، ثم رحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين، وقال لهم: «سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، فكأنني أنظر إلى مصارع القوم».

ثم مضى يبادر قريشاً إلى الماء حتى إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به، فجاء الحباب بن المنذر بن الجموح أحد بني سلمة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال:

(١) رواه مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، عن أبي أيوب.

(٢) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٨-٧٩.

أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزله الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله فإنّ هذا ليس بمنزل فانهض حتى نأتي أقرب قليب القوم، ثم نُغور ما سواه من القُلب، ثم نبني حوضاً فنملأه، ثم نقاتل فنشرب، ولا يشربون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قد أشرت بالرأي»، ثم أمر بإنفاذه فلم يجيء نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب، وامتلكوا مواقع الماء<sup>(١)</sup>.

لقد لقيت مبادرة الحباب بن المنذر الترحيب والتقدير والثناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سبباً ميدانياً من أسباب النصر.

فلا تكن للمعلمة التي قالت لي: لماذا أنا أتغيّر والمجتمع لا يتغير!؟

ورددت عليها: من هو المجتمع سوى أنا وأنت؟

ولا تكن لمديرة المدرسة التي قالت لي: الناس تفرض علينا أن نعاملهم بتزلف وتملق فهذا هو السائد الآن.

فرددتُ عليها: نحن من يفرض مبادئنا على الآخرين، وإنسان بلا مبادئ لا يسوى شيئاً.

ولا تكن كمدير الممرضة التي اشتكت لي قائلة: أن مديرها يقول لها لا تمسكي بالصدق دائماً فماذا أقول له؟

رددت عليها قائلاً: أن الصدق قيمة أخلاقية لا سلعة أصطحبها هنا وأتركها هناك بل هي لازمة شخصية في النفس الإنسانية الراقية فإن تحلّت عنها أخلّت بميزانها وتقديرها لذاتها.

والشاهد أنه إذا كان الدين الإسلامي دين المبادرة فإنه أجدر بالمسلم أن يكون مبادراً للخير والبر وفق منهج «خير البرّ عاجله» وأن لا يتوانى في طلب الخير فمن «يتحرّى

(١) رواه ابن هشام ٣٦٦/٢ عن ابن إسحاق قال: «فحدثت عن الرجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب...».

الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يوقّه»<sup>(١)</sup>، والمسلم عليه أن يحسن الظن بالله، فالله يقول في الحديث قدسي «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(٢)</sup>.  
 ومن يجعل الله له وكيلاً فلا يتردد في قضاء أمره حتى لا تهتز ثقته بالله، ويجور إيمانه، ويوهن يقينه، ويعمره الخوف والقلق والإكتئاب.

(١) البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

## المبادرون

أبت لابن حماد مساعيه أن يرى  
إذا ابتدر الساعون غير مبادر  
ابن الرومي

المبادرون.. أي أناسٍ محظوظون هم؟!  
محظوظون لأنَّ بين جوانحهم أنفساً  
كريمةً، عاليةً النظر، ثاقبةً البصيرة..  
ولعلَّهم من أكثر من أحببت من  
أصنافِ النَّاسِ، وأشدَّ من تعلَّقتُ بهم.

المبادرون أجل، أولئك الذين نبذوا أنانيةَ النَّفسِ، وطرحوا رغباتهم جانباً، والتفتوا  
نحو الآخرين بنوايا سليمةٍ كي يمسحوا عنهم الشقاءِ والبؤسَ، ويعينوهم على  
القيام من مستنقعاتِ الفقرِ والعوزِ، ويحموهم من الوقوع في براثنِ الغوايةِ والهوى  
ويضيفون إليهم مسحاتٍ من الجمالِ ويسقونهم جرعاتٍ من الأملِ والتفاؤلِ.

تجدُّ المبادرَ وقد بهرَكَ بما يملأُ نفسَكَ حباً ويعزِّزُ السَّعادةَ في قلبك، فمجرد أن يستمع  
إليك وأنت تلمح عن معضلةٍ تضيقُ عليك الخناقُ، أو أزمةٍ تقلقك، أو همَّ ألمَّ بك،  
تجده وقد دفعته نفسه الذكيَّةُ، العالِيَّةُ القدرِ يسعى إلى التدبيرِ، والتصرُّفِ حتى  
يفاجئكَ بحلٍّ لمعضلتك، أو يمنحك ما يهونُ عليك ضيقَ أزمته، وخلال ذلك  
لا تتصوَّرُ أنت أن هناك من يسعى لأجلك مخلصاً، ويدبِّرُ لك متفانياً، وهو إن لم  
يفعل شيئاً لم تكن لتلومه لأنَّك لم تحسب حساباً خدمته، أمَّا وقد فعل فقد سمي في  
نظرك، واعتلى مكانةً عاليةً في نفسك.

لا شكَّ أن الإنسان تغالبه أهوائه الشخصية، ورغباته الذاتية، فهو في صراعٍ دائمٍ  
معها، فإذا استسلم لها فهو مجرد إنسان أناني، أمَّا إن تغلَّب عليها فهو إنسانٌ مبادرٌ  
فالمبادرة - في نظري - هي التخلي عن أنانيةِ النفس لإسعادِ الآخرين، وحينها ستكون  
السعادةُ الذاتية - مع هذا المفهوم - مقرونةً بتحقيقِ سعادةِ الآخرين، وتتأصل  
جذورها، وتتعمَّق مفاهيمها، ولشدَّ ما أستغربُ من أناسٍ يملكون أدواتِ المبادرةِ

الماديّة ولكنهم لا يملكون أدواتها التّفسيّة، وهؤلاء نادراً ما يصحو لهم ضمير لأذنيّة تنغص حياة قريب أو يوخزهم واخزُ لجرح مجروح، البعض من هؤلاء يتلذذون في مراقبة صاحب الحاجة وهو يهرق الدموع الأبيّة عند ركبهم، وحينها قد تقوم لهم قائمة، أو يصحو بهم ضمير، أمّا البعض الآخر فقد أغلق على نفسه المغالِق فأضحت أذنيه صمّاء لا تسمع النداء إلا ما ترشّح لأجل منافعهم.

الأنانيّون أحد الأصناف المعاكسة للمبادرين في هذا المقام، ترى الواحد منهم وقد همّه شأنه فلا يسأل عن قريب عزيز، وأضناه مرامه فهو الغاية الوحيدة، والأمل المقصود، وما غيره من شؤون الآخرين، من منافعهم ومقاصدهم فليس ما يندرج في إطار اهتماماته، كيف تتحقّق سعادته إذن، والسعادة أساسها المبادرة.. إنّها سعادة منقوصة لا يشعر بها، لأنّ السعادة هي الجنى المقطوف من عيون الآخرين ومن شفاههم حتى يتلاقى مع معاني السعادة الداخلية.. من وجه آخر، فالمبادرون أناس يتحمّلون نتيجة قراراتهم ويتصدّون بكل شجاعة وجرأة ليعلنوا مسؤولياتهم عن أيّة عواقب شاركوا فيها، فلا يعلّقون أخطاءهم على شماعة الآخرين، ولا يتهمون أحداً بأنّه كان وراء أخطائهم، ذلك لأنهم اتخذوا قراراتهم بناءً على القيم التي نشؤوا عليها، وآمنوا بها، ودافعوا عنها، وكافحوا من أجلها، ولهذا فهم أبطال تصدّوا لمواقف وثقها التاريخ، وخلّدها في سجلّاته.. وإنني لأذكر هنا مبادرة هدهد سليمان الذي خرج من سرب الطيور دون أن يُطلب منه ذلك، فيعود ليقول بكل ثقة للنبي سليمان عليه السلام:

﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِعْرَابٍ﴾ (٢٢)

أتى وهو يحمل خبراً جديداً محدّداً مصدر الخبر وبقينه، فإذا كان هذا حال طير حملته نفسه على المبادرة فكيف لا تحمل الإنسان نفسه على المبادرة أن يكون الإنسان مسؤولاً عن تصرّفاتِهِ، واعياً بواجباتِهِ، مدركاً بقراراتِهِ فإنّه يملك حريّة القرار،

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَكُلِّإِنْسِنِ الزَّمَنَةُ طَبْرُهُ فِي عُنُقِهِ. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) ﴿١﴾

هذا هو الأساس وذلك بعد أن قبل المسؤولية

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) ﴿٢﴾.

أما ضعفاء النفوس، متقلبو الأهواء فانظر ماذا يقولون

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ لَخْنُهَا حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِضْهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) ﴿٣﴾.

إن المصيبة التي يرسف فيها كثير من الناس هي الخوف من المبادرة، والخشية من تغيير أوضاعهم بحجة عدم معرفة ما سيسفر عنه التغيير، فيظلون طوال أعمارهم مرهونين لتصوّرات ضيقة الأفق، تقيدهم عن القيام بأي فعلٍ من شأنه إخراجهم من مستنقعاتهم الفكرية.

وهذا ما دفع باحثاً غريباً يدعى (جيرت هوفستيد) حين قاس بعض العوامل الثقافية لدى مختلف الشعوب لإعطاء العالم العربي نسبة مرتفعة ٦٨ في العامل المتعلق بالخوف من المبادرة (Uncertainty Avoidance).

كثيرون هم الذين يرتضون أن يعيشوا حياةً مذلةً لأفكارٍ تسيطر عليهم ويجيون حياةً مهانةً وقد رفعوا مثلاً شعبياً ليكون شعارهم يقول: (إصبر على مجنونك لا يأتيك من هو أجنُّ منه)، أي أفضل لك أن تعيش الذلّة والمهانة بدلاً من أن تسعى وراء التغيير، وقد وضع «الأجنُّ من المجنون» هو العاقبة، ولو أنّهم بدّلوه بمثل آخر يقول «من نفخ في النار لم يحترق» أي من جرّب، وحاول لن يضر نفسه، وهذه هي

(١) سورة الإسراء: الآية ١٣

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧٢

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٨

العاقبة التي تعني المبادرة ولكن ذلك صنفٌ وهذا صنف. يقول لي أحدُ المعارف: لقد كنتُ أعملُ مع فلانٍ، فكنتُ كآلةٍ التي تعمل لأجله، حتى تجرّدتُ من شخصيّتي فأصبحتُ كأنني هو في مذهري، وحركاتي، وكلامي حتى حين اعتمرتُ معه لم أشعر بطعمِ العمرة، فلما انقلب الحالُ بيني وبينه وهو رئيسي في عملي عدتُ إلى نفسي، واكتشفتُ ما حولي، ووجدتُ شخصيتي الضائعة، وعدتُ لأعتمَرَ بنفسِي فأحسستُ بمعنى العمرة، وقد كنتُ أرى أن غضبه عليّ مصيبة لي، فإذا بي أراه نعمةً ما بعدها نعمة.

فقد اكتشف صاحبنا أن المبادرة هي أن تكون صاحبُ مسؤوليّة، وأن تدركَ معنى القرار وعواقبه، وقد كان مسيراً من قبل فلم يعرف ما هي المبادرة.

المبادرون هم أناسٌ يتسمون بالشجاعةِ لأنهم آمنوا بمبادئٍ واضحةٍ، وعلى أنوارها نهجوا سلوكياتهم، وتصرفاتهم، واتخذوا قراراتهم، ولهذا لم يلامس الغموض شخصياتهم، ولا اللبس قراراتهم، ولا الحيرة أفكارهم، وإنما كانوا دائماً واضحين في كلِّ شيء، ولن تستأنسَ لصنفٍ من الناسِ استئناسك بالمبادرين فهم خير الأصحابِ، أخلصُ الأصدقاءِ، وأنقى الأخلَاءِ تعرفهم من مواقفهم الشجاعةِ التي يظهرون بها في وقتٍ لم يخطرُوا ببالك أنهم مبادرون، إنهم دائماً القدوات الحسنة الذين يراهم (ستيفن كوفي) في كتابه (العادة الثامنة من الفاعلية إلى العظمة) محرّكي أشرعة التغيير، أجل إنهم كذلك لأنهم يقودون ويوسّعون دوائر التأثير وهؤلاء هم المبادرون هو الذين يندرجون في مقصد الحديث الشريف «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيوان» أي أضعفُ المبادرات.

وهم المقصودون في الحديث الشريف الآخر «لا يكن أحدكم إمّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا ألا تظلموا».

المبادرات مقرونةً بالنوايا ولكلِّ امرئٍ ما نوى.. ولستُ أرى حياةً لإنسانٍ غير مبادرٍ إلا أن يكون قد ارتضى المهانةً مسكناً، والذلةً ملبساً والحمود صفةً، والكسل سلوكاً، والتوسُّل عادةً، والإنحناء فضيلةً والتوهُّم لذةً.

وهؤلاء إتكاليون، يلتمسون الأمان النفسي، والضمان الاجتماعي من غير مبادراتهم وجهودهم وهم قادرون على أن يكونوا مبادرين ما عليهم إلا أن يقبلوا بالتغيير منطقاً والفعل سبيلاً، وشحذ الهمةً طريقاً، والتفكير الواقعي منهجاً.

كم يحدثك بعض الناسٍ عن همومهم ومصائبهم فتقول لهم مقترحاً: هل حاولت فعل ذلك؟ وتصفُ لهم ما يجب أن يفعلوه، فيردون عليك ولم يفعلوا: لا فائدة، فنحن نعلم أن ما سنفعله لن يُجدي شيئاً.

إذا أخذوا وانتظروا الذهب أو الفضة يسقطان طبقات عليكم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف: ولو فعلتم لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً، أي أن الطير وهو طائرٌ ضعيف مبادرٌ ولذلك يرزقه الله وفي هذا المقام، قيل للإمام أحمد رحمه الله: «إن قوماً يجلسون في المساجد ويقولون نتوكل على الله، كما تتوكل الطير»، قال: لا.

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نسعى وأن نعمل، انظروا إلى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطير: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» أي إنها تغدو وتروح.







## المبادرة روح المسؤولية

الناس دائماً تلقى اللوم على الظروف لما هم عليه. شخصياً لا أؤمن بالظروف، إن البشر الذين يمضون قُدماً في هذا العالم هم الذين يبحثون عن الظروف التي تناسبهم، فإن لم يجدوها، يصنعوها.

جورج برنادشو

هي مشكلة تقبُع في أنفسنا، متفشية متأصلة فينا، لا نريدُ الاعترافَ بها، وإن اعترفنا فلا نعملُ حثيماً من أجل أن نتخلَّص منها لنحلَّ محلَّها قيمةً إيجابيةً تدفعنا قُدماً، هي مشكلةُ النظرةِ إلى الأخطاءِ دائماً على أنها هناك في الخارج.

هناك تحررنا من التبعات، والمسؤوليات والأعباء المترتبة عليها، وتحمل الآخر أياً كان هذا الآخر كل ما يتعلَّق بها،

إننا نهربُ من المسؤولية التي علينا مواجهتها، المسؤولية التي تحتم على كل فردٍ أن يقوم بها بغضِّ النظرِ عن حجمِ هذا الدورِ فهو في النهايةِ دورٌ مؤثِّر وإن لم يُلمس أثره ظاهرياً.

يقول غاندي: «كن التغيير الذي تريد أن تراه في العالم».

التَّخْلِ عن المسؤولية هي مشكلةٌ يبدو أننا نتوارثها جيلاً بعد آخر، ولذلك فإن أيَّ تغييرٍ لا يكون بسبب التحلِّي بروح المسؤولية فهو تغييرٌ مزيفٌ تغييرٌ غير صحيح المبني، ولا سليم المعنى، ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد وضع القاعدة لما نستندُ عليه في هذا القول وهي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يمكنُ أن يغيِّرَ أي فردٍ من نفسه طالما يرى أن الخطأ هناك في الخارج بل عليه أن يرى ويؤمن أنَّه مؤثِّر على الظروف وليس متأثراً بها، يقول غاندي مرةً أخرى «لا يمكنُ

أن يؤذيني أحدٌ دون إذني».

تربى أجيالٌ فنسمعها تفسر الأشياء وكأنها محيطةٌ بالعلم، مصيبةٌ أن يكون التعالمُ بالشيءٍ محجةً أمام الحقيقة، والتنصلُّ من المسؤولية جهلٌ في حد ذاته، بينما الإعرافُ بالجهلِ فضيلةٌ طالما كان المقصودُ من تلك الفضيلة التخليُّ عن الأفكار السلبية والتزودُ بالإيجابية، الإعرافُ بالجهلِ منهجٌ صحيحٌ لطلبِ الحكمة إذ لا يمكنُ أن تطلب الحكمة في ظلِّ الظهورِ بمظهرِ العارفِ الخدق الذي لا يشقُّ له غبار ولا تُبرى له قناة.

يقول (ثورو Thoreau): «كيف لنا أن نتذكر جهلنا الذي يحتاجُ إليه نمونا إذا كنا نستخدم معرفتنا طوال الوقت».

إن قيمة المسؤولية هي القيمة التي تستطيع أن تؤسس للإنسانٍ منطلقاً في كل شيء، منطلقاً واضحاً لا إبهام له ولا غموض فيه، إنطلاقاً من: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>، فإذا آمنّا بأننا مسؤولون لم نبحت حينها فقط عن حقوقنا بل عن واجباتنا أولاً، فكيف يُسألُ عاملٌ عن حقوقه قبل واجباته؟!!

حين نعرفُ المسؤولية -بحقوقها وواجباتها- فإن قيمة عظيمةً ستتحقق وهي قيمةٌ مطلقةٌ النفع هذه قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول مالك بن نبي: «لقد أصبحنا لا نتكلمُ إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائبٍ بل فيما يسودنا من عادات، وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق، وما فيها أيضاً من نقائصٍ تعترى كلَّ شعبٍ نائم».

إن النتائج المريعة التي خلفها لنا تخليُّنا عن المسؤولية راسخةٌ في عقولنا، وواضحةٌ

(١) حديث شريف

(٢) سورة النساء: الآية ٣٢

في سلوكنا، فانظر إلى الأب راعي الأسرة وهو يتخلى مسؤولية تربية الأبناء على الأمّ ليدأوم على جلسات الأصدقاء ثم يقرّعها لأي أخطاء، وانظر إلى المسؤول الذي يسمّى مسؤولاً وهو يتصرّف ساعة الإعراف بالمسؤولية على خلاف مُسماّه، كيلا تناله عواقب المسؤولية، هو مسؤولٌ فقط حينما يلقي اللوم على غيره، وحين يعاقب غيره، وحين يترقى الدرجات العليا، أمّا حين يسقطُ الفأس على الرأسِ فلن يكون حينها مسؤولاً، وانظر إلى المعلّم الذي يتّهم الطالب بالتقصير وهو المسؤول عنه، وانظر إلى المرأة التي تتهرّب من المسؤولية عن وضعها وتسلمها كلها للرجل، تقول (د. منى يَكُنْ) في معرض الحديث عن المسؤوليات: «إن الأخوات لا يعفين من بعض التبعة، فقد استسلمنّ معظمهنّ للوضع الحالي، ورضين بحياة الدعة والسكون، وأن يفكر لهن الرجال بدل أن يفكرن لأنفسهن»، وهذا ما نشأ عليه الجيل الحالي، أن يفكر له الآخرون لا أن يفكر هو، وهي مشكلة لا يريد أن يعترف بها جيلُ المرّيين، لا الجيل المرّبي يريد أن يعلن أنّه مسؤول عن مشكلات هذا الجيل، ولا الجيل الحالي بحكم التربية والمفاهيم المغلوطة يتحلّى بالشجاعة اللازمة لإعلان مسؤوليته الجزئية عن النظر إلى الأخطاء على أنها هناك في الخارج.

إننا إن لم نعترف أولاً كجيلٍ مرّبٍ بمسؤولياتنا تجاه هذا الجيل ونعلن بشجاعة أننا لم نكن على قدر المسؤولية في كثيرٍ من الأمور الأساسية التي كان من الواجب أن يتربّى عليها الجيل الحالي فإن المعضلة ستراوح مكانها، وسيتكرّر التهرّب من المسؤولية.

في مجتمعاتنا تتكرّر كثيراً عبارة (أصدقاء السوء) و(البطانة الفاسدة) على أنّها تفسيرٌ لمشكلة إنسانٍ ما، أمّا نظرتي لذلك فهي أن هذا من قبيل التعليل والتبرير غير السليم للمشكلات، وحقّتي في ذلك إنّ أي إنسانٍ هو في نهاية الأمر وحده المسؤول عن تصرفاته، وأفكاره وقراراته، قال تعالى: ﴿وَفَنَسِ وَمَا سَوْنَهَا ۗ ۝۷﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿۸﴾ ﴿۱﴾.

وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) (١)، لهذا لا يمكن أن يقرّر مصير إنسانٍ غيره في حالة أنه يملك الحريّة على اتخاذ القرار أمّا غير ذلك فالله هو المتكفّل بالسؤال: «وإذا المؤمنوذة سُئِلَتْ، بأيّ ذنبٍ قُتِلَتْ» (٢).

إنّ من المحزن أن تسمع إنساناً لا صوت له بل هو صدىً لصوتٍ آخر يردّد ما يقوله الآخرون، ويفعل ما يفعلونه، ولا يفعل أكثر مما يفعلون فهو يعيش في نطاقهم، ويحيا في محيطهم، فكأثمّ لسان حالهم، هذا لأنّه لا يريد أن يتحمّل المسؤولية عن أيّ فعلٍ صادرٍ منه، وأيّ ردة فعلٍ ناتجة منه.

هذا هو الإمعة الذي لا يسيّره عقله وتفكيره: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن ووطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم» (٣)، مثل هذا لا يكون إلا وبالاً على مجتمعه، لأنّه غير جدير بالمسؤولية التي أُلقيت على كاهله.

إن ما نحتاج إليه هو الفرد الذي يعلن بحقّ وصدقٍ مسؤوليته لا رياءً ونفاقاً، وإنّها عملاً صادقاً، فلقد انتهينا إلى وجود أناسٍ يتبرؤون من المسؤولية، ولا يتورعون كلما سنحت لهم الفرصة أن يتهموا الآخرين بالمسؤولية دون دليل، لأنهم محتاجون إلى من يرمون عليه المشكلة فليكن من يكون حتى بلا دليل أو برهان، يقول مثل: «قد تكون لتريبتنا وظروفنا تأثيرٌ علينا ولكن نحن المسؤولون عمن سنكون»، لا نحتاج إلى أصواتٍ تلقي باللوم والتفريع على غيرها وهي تملك قرارات التغيير الشخصي. يقول أبو العتاهية:

يا راعي النفس لا تُغفل رعايتها

فأنت عن كل ما استرعت مسؤول

(١) سورة المدثر: الآية ٣٨

(٢) سورة التكوير: الآية ٨-٩

(٣) حديث شريف.

نحن لا نحتاج لمن يتركون قرارات حياتهم للآخرين يصرفونها كما شاؤوا بل نحتاج إلى الذين يواجهون مصائرهم بأنفسهم.

يقول John Atkinson: «إذا لم تدر حياتك بنفسك، فبالأكيد هناك من يديرها لك».

إنَّ الواقع ليبرهن عبر الكثير من التجارب أن الكثيرين يملكون قوائم مطالبات لا تنتهي، لكنهم غير مستعدين لتحمل المسؤولية في حال تحقق بعض ما يريدون، ذلك لأنهم لم ينطلقوا من المسؤولية الشخصية عن كل طلب ضمنه قوائمهم، ولدينا أمثلة كثيرة ليس أولها مؤسسات ما يسمّى بالمجتمع المدني من مثل الجمعيات التي كانت طلباً ملحاحاً حتى ظهرت وعندها واجه من يطالبون واقعاً لم يكونوا ليتصوّروه إذ لم ترسخ في أكثرهم قيمة المسؤولية.

الزواج هو الآخر مطلب فطري لكن المشكلة التي يواجهها هذا المشروع هو عدم الإحساس بالمسؤولية تجاه مؤسسة الزواج، والتعامل مع الجنس الآخر وتربية النشء، يقول مثل هاييتي «الزواج بإمرأة لا شيء، تصوّر المسؤولية هو المهم»، العمل هو مطلب أساسي يتكرر ليلاً نهاراً لكنه يواجه نفس المعضلة، عدم تحمل مسؤولياته، إذ سرعان ما يحصل الشاب على فرصة العمل يبدأ التنصّل من المسؤوليات لأنّه حسب الحقوق كالرواتب مثلاً ولم يحسب للواجبات، نحن إذاً أمام معضلة كبيرة، معضلة تحتاج إلى إعادة تأسيس، تبدأ من: (أنت مسؤول عن تصرفاتك وقراراتك)، ولا تبدأ من: (نحن من يفكر لك)، تبدأ من: (أنت تصنع مستقبلك بنفسك) ولا تبدأ من: (نحن من يبحث لك عن وظيفة)، تبدأ من: (أنت حرّ في قراراتك ولكنك لست حرّاً في نتائجها الوخيمة)، ولا تبدأ من: (هذا المرعى بلا حدود فارع فيه)، تبدأ من إتفاق على عريضة ثقة يؤسسه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الاحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا

صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>، هذا هو إطار المسؤولية الذي ينبغي عليه البناء، المؤمل أن تنشأ عليه الأجيال والذي يجب علينا أن نبدأ العمل لأجله، يقول أحد القادة: «إذا أدركت الخطأ فبادر على الفور لتصحيحه».

---

(١) حديث شريف في صحيح البخاري.

## التركيز على عيوب الآخرين عثرة أمام المبادرة:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ  
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّبُوا  
وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ  
أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ  
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
رَّحِيمٌ﴾

سورة الحجرات

نشأت وترعرعت في ثقافتنا فكرة (الآخر المخطيء) وهي فكرة لا تُعين على اتزانٍ، ولا تساعد على فهم، ولا تقود إلى تعارفٍ، ولا تؤسس إلى تعاون، هي فكرة تتصرُّ للنفس وإن كانت مخطئة، فتعشي نظرها عن رؤية مثالبها، وتعمي بصرها عن اكتشاف مصائبها، والمرء إن لم يكن منصفاً في نظره موضوعياً في حكمه، أخل ذلك

بشخصه، فتأرجحت قيمه، وتخالطت أهوائه وأمزجته وغدا عرضة لكل هوى، وكم نرى من أناسٍ في مجتمعاتنا لا يرون الخطأ حين تقع المشكلات إلا في أنفس الآخرين، أبعدوا أنفسهم عن ارتكاب الأخطاء وكأثم منزّهون منها ولك أن تتأمل هذا الطبع الذي يتأصل في أنفس الكثيرين فما إن يحدث سوء فهم، أو مشكل تافه حتى يقطعون الحكم بأن الآخر قد تجنى عليهم وأنه المخطيء دون مراعاة، ودون رويّة وتعقل، فإن جئتهم قائلاً: إنكم المخطئون اتخذوك عدواً، وناصبوك الخصام، وعدوك مناصراً حميماً للمخطيء.

ذات مرة اتصل بي رجلٌ فقام يشتكي لي خصاماً حدث بينه وآخر من جنسيّة أخرى، وقد عرفتُ قبل أن يحدثني عن أصل الخصام وما دار فيه من أسباب أدت إلى التشاجر، وبعد أن انتهى من كلامه قال لي ما رأيك فيما فعله؟ قلتُ له بهدوء: لو كنت مكان الشخص الآخر فهل ترضى أن يفرض عليك آخرون ما يرون،

أويتدخلون في مسؤوليات عملي؟ فهبّ صارخاً وقال: إذا أنت تقفُ إلى جانب الشخص الآخر مليوناً بالمائة وأعلمُ أنه قد تهرب من الإجابة التي يُدركُ أنها لغير صالحه لأنه يعلمُ في قرارة نفسه أنه المخطيء، وأستذكرُ في هذا المقام مقولةً للإمام الشافعي يقول فيها: «ما جادلني خصم إلا وتمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه» فأين منها الرجل؟! وكيف تكون الحقيقة ضالةً المؤمن وهو يجادل عن عصبيةٍ بغية الإنتصار لنفسه من الآخر؟!!

وفكرة (الآخر المخطيء) هي مما يجلبُ التعصّب المذموم لرأي وقول والتعصّب بابّ من أبواب الجهل، إذ هو يصدُّ ما خالفه من الآراء ويقبلُ ما يوافقُه من الأقوال، وكم رأينا أن كثيرين ممن ابتلوا بهذه الفكرة سرعان ما يرمون بالتهمة نحو الآخر لمجرد أن يحدث لهم أمر لقد حدا بهم هذا الأمر إلى الغفلان عن عيوبهم، والزوغان عن مثالبهم إن الآخر في نظرهم هو الذي يرتكبُ الأخطاء وهم بريئون منها، الآخر هو الذي يجيدُ عن الطريق وهم في جادّته، ووالله لو نظروا إلى نقاط الإتفاق لوجدوا منها الكثير ولا استطاعوا أن يوظّفوها لصالح علاقةٍ مشتركة، ويستثمروها لتعارفٍ دائم، وتعاونٍ مستمر، «فكلُّ إنسانٍ يبحث عن إدارة حوار هادفٍ مع خصمه ينبغي عليه أن يتحلّى بالصبر والوفاء والإخلاص والرغبة في التفاهم»<sup>(١)</sup> فالتفاهم هو خير وسيلة لمعرفة نقاط الإختلاف، إن الحقّ حينما يؤتى إنساناً فإنه لا بدّ وأن يوظّفه توظيفاً صحيحاً لنفسه أولاً قبل أن يرمي الناس بالتهم والتقصير وإننا إن لم يكن الصبرُ والإخلاصُ والرغبةُ في التفاهم لنا شعاراً فلن نستطيع أن نكسبَ قلوب أحد:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وفكرة (الآخر المخطيء) تصدُّ عن إتيان العلم، واستخبار اليقين، والله سبحانه

(١) ديل كارينجي «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس» مكتبة النافذة.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

وتعالى أمر باجتنباب الظنِّ، وترك التّجسس، والغيبة، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا يَأْتِي أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (١)

هذه الخصال المشينة هي نواتج من فكرة (الآخر المخطىء) فالرجل يظنُّ بزوجه ظناً، فيتجسس عليها، والزوجة تفعل مثل ذلك.

ذات مرّة شكى لي أحدُ زوجته وأتهمها بالخطأ في حقّه، فلمّا أقعدته مكانها وطلبتُ إليه أن يتصوّر الوضع وجدها أتت على حقٍّ وأنه المخطىء، الغلبة عندنا في الثقافة وليس في الدعاوي القضائيّة فإن آية مشكلةٍ تحدث بين ابنٍ وأبيه فالابن المخطىء، وإن حدثت بين المدير وموظّفه فالموظّف مخطىء، وإن حدثت بين الزوج وزوجه فالزوجة المخطئة.. هذا هو الإنطباع الأوّلي الذي إن لم تصرّح به النفوس جهراً، فهو يتردّد داخلها، أي أنّ الطّرف الأضعف هو المخطىء، وأقول بأن هذا في السائد الثقافي الذي جُبل عليه المجتمع وليس في قاعات المحاكم فتلك تنظرُ بموضوعيّة وحياديّة، بعيداً عن النزعات النفسيّة، والطباع الاجتماعيّة سادت ثقافة التخطئة للآخر، قبل معرفة الدلائل والبراهين، قبل الإستماع إليه، وتفهم وجهة نظره.

في إحدى المؤسسات اشتكى موظّفون بمديرهم فما كان من مسؤولهم الأعلى إلا أن يوبّخهم على الجرم الذي فعلوه، ويقنعهم بأنهم مخطؤون لأنهم شكوا، وقد ظنوا أنّه سيتفهم شكواهم، إن كثيرين ممن لا يتقبّلون الخطأ، ويرونه في الآخر دون مرأى قد اقفلوا أبواب عقولهم، وأصمّوا أذانهم عن سماع حجج الآخر، وبراهينه.

في أحد البرامج العربيّة كان المذيع يلقي على ممثل إحدى الجماعات التي لها مواقف من بعض الصحابة حجة بليغة حين قرأ عليه الآية الكريمة:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ

ثم سأله: ألا يكفيك ذلك حجة في قدر هؤلاء الصحابة؟! لكن الطرف الثاني كان يدور في حلقة فارغة من الكلام المحبوك زيفاً ولغوياً، وذلك شأن من لا يريد اتباع الحق، وليس في عقله سوى أن الآخر هو المخطيء دون ريب وإنني لأشعرُ بالأسى حينما يصرُّ طرفٌ على الخطأ بزعمه أن الآخر مخطئاً، فيحيا عمره وهو يستحضر الأدلة والقرائن التي تدحض رأي خصمه ولا يتبع تلك التي تقربه إليه.

يحكى أن أخصماً كبيراً تخاصم مع أخيه الأصغر بعد عمرٍ طويلٍ من التآلف الوداد والمحبة فطلب من عامل بناء أن يبني جداراً عالياً بين مزرعته ومزرعة أخيه ثم سافر وحين عاد رأى العامل وقد بنى جسراً بدلاً الجدار، حينها أسرع الأخ الصغير جرياً إلى أخيه يشكره لأنه بنى جسراً لحرصه على استدامة العشرة بينهما، إنَّ الجسر وحده القادر على توضيح وجهات النظر، وتوصيل الرؤى إلى الآخر لا الجدار الذي يصدُّ كل نسمة هواءٍ علية أن تهبَّ، ويردُّ كل رغبة في النفس للتآلف والتعايش الجسر وحده.

إن الانتصار للنفس لا يستوجب الإنفعال وإنما التروي والرشد، والتفكير في العواقب، ولذلك فإنه يتوجب على المرء قبل أن يُلقى بالتهمة على الآخر بالخطأ أن يكون على دراية فيما يقول، ولمن يقول فإن قاله لحليمٍ هجره، وإن قاله لسفيهٍ آذاه.

قالت لنا ذات مرة بروفيسورة إنجليزية «لقد كنتُ أجهدُ نفسي قبل كلِّ مؤتمرٍ بجمع الدلائل والقرائن لإثبات خطأ منهج ما، لكنني بعد تجارب وصلت إلى حقيقةٍ مثلى هي أن أقدم رؤيتي دون التعرض لأفكار الآخرين قائلةً: هذه نظرةٌ أخرى للعالم»

نعم لنا أن نقول آرائنا، وأفكارنا مستحضرين القرائن والبراهين المساندة، ولكن إن نحن عرضناها بطريقةٍ إستفزازيةٍ نفرنا الآخرين منها، أمّا لو عرضناها بأدبٍ جمٍّ، وحُلقٍ حسنٍ فإننا سنكسبُ قلوب وعقول الأطراف الأخرى بخلقنا وطريقة جدالنا

قبل أدلتنا.

ذات مرة كتب أحد الكتابِ مقالةً في عملٍ فنيٍّ وأهال من ذكرِ المثالبِ فيه، فرددت عليه بأننا ارتكبنا أخطاءً أكثر مما ذكرت وليس في هذا اعتراضٍ إنَّما في أسلوب الطرح، ولغة التَّسفيه والتجريح.

ويقول أحد الأصدقاء وهو مديرٌ في إحدى الجهات أن مديراً إتصل به وأخذ يخطئه بأسلوبٍ ساخرٍ على مسمع من منسِّق مكتب المتَّصل، متلذِّذاً بإكتشاف خطأ الأوَّل، ومستمرّاً توبيخه لما كان يظنُّه خطأً ارتكبه الأوَّل يتعلَّق بتحديد مكان اجتماع ما، يقول ذلك وهو يضحك مع منسِّقه.

يقول الصديق: لقد حنقتُ على هذا الذي يتلذَّذ باصطياده لخطأ وهمي وكشفت له لاحقاً أنَّه هو المخطيء لكن بعد أن فترت العلاقة بيننا.

إن الأفكار التي تعشَّش في أذهان الكثيرين عندنا هي أن الآخر مخطيء والخطأ لا نعني به الأمور العقائديَّة فتلك حسمها الإسلام عقلاً وفطرةً وروحاً، إنَّما في قيم التربية، التعامل، الحوار، الإدارة وغيرها وغيرها فتخطئة الآخر تبدأ عندنا في البيوت، والمدارس ومؤسسات العمل، ولذلك ترى أن كل من يتبوأ منصباً في المؤسسات المختلفة هو في نظر الكثيرين مخطيء حتى لو كان يصل ليله ونهاره عملاً ونصباً، وإتقاناً وإخلاصاً، ودقَّة وحرصاً، ينسجون حوله الشائعات، ويرمونهم بالتَّهم بغية إظهاره على خطأ رغماً عنه، وتخطئة الآخر عندنا تمتدُّ إلى الشعوب الأجنبيَّة التي غدت شماعة نعلت عليها أخطاءنا.

فكم سمعنا من يقول: إن الشعوب الفلانية هي سبب مصائبنا، وحين عشنا بين هذه الشعوب الأجنبيَّة والأوروبية بالأخصَّ وجدناها قليلاً ما تعرفُ شيئاً عنَّا، فهم منغمسون في حياتهم لا يعينهم أمرنا شيئاً، بل هم أنفسهم ضحايا التيار الجارف الذي سلكوه وإنني لأرى أن من الأحرى أن ندعو لهؤلاء بالهداية للإسلام بعد أن ندعو الله أن يصلح أحوال المسلمين ويردهم إلى دينه رداً جميلاً ويعيدهم كما كانوا

أعزة بدينه قبل أن ندعو على الآخرين، وإذا كان الإسلام هو أكثر الأديان انتشاراً في الغرب فإننا من الواجب أن ندعو بهداية هؤلاء إلى الإسلام وليس إلى تجميد الدماء في عروقهم دون استثناء - إلا من بغى وطغى، فكثيرٌ منهم ما يصدّه عن عبادة الله سوى أنّه كان من قوم كافرين وحالهم هذه كحال بلقيس ملكة سبأ حين قال الله تعالى عنها: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٤٣) (١).

ولي جازاً ملحدٌ قال لي أنّه مع إلحاده فإنّه منفتح العقل أمام الأفكار الأخرى، ومن هنا مدخل الحوار مع هذا وأمثاله والخطأ الكبير يقع على المسلمين الذين يتوجب أن ينشروا الدين بسلوكلهم أولاً، والجدال الحسن لقد وقف أحد التجار العمانيين في أفريقيّة ويُدعى الشيخ أحمد بن إبراهيم مجادلاً بطريقة حسنة ملك بوغندا حينما أصدر هذا الأخير أوامره بالقيام بمذبحة تماشياً مع متطلبات وطقوس الديانة الوثنية الأفريقية لوباري (Lubaare) قائلاً له: «مولاي إن هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق إنما هم مخلوقات الله سبحانه وتعالى الذي خلقك وأنعم عليك بهذا المملكة»، هذا الأسلوب الرقيق جعل الملك يستمع ويتساءل في حيرة عن الله حتى علّمه الشيخ مباديء الدين الإسلامي وأربعة أجزاء من القرآن الكريم قبل وفاته (٢).

إن تقويم الخطأ البيّن أو الردّ على التّجني الصريح لا يكون بمثله لقد شاهدتُ بعض الحضور من الطلاب العرب في أمريكا وهم يحتجّون بالصريح على أحد الدبلوماسيين الذين يمثلون دولته التي تحتلّ بلداً عربياً ويتردون الواحد بعد الآخر كما أنّهم أثاروا حنق رئيس الجامعة وأستاذتها والحضور، نعم لديهم الحق في قضيتهم المصيرية كما نرى نحن العرب ولكن يتوجب المقام أن يتم التحوار بالمنطق فالدبلوماسي قال للحضور: «إن الشعب العربي مضيافٌ فحين تزوره تصبح أنت

(١) سورة النمل: الآية ٤٣

(٢) المؤثرات الحضارية العمانية في شرق أفريقية في ظل دولة البوسعيديين، فصل في كتاب عمان في التاريخ، وزارة الإعلام، دار أميل للنشر، لندن ١٩٩٥.

صاحب البيت وهو المضيف، ولذلك أتمنى - وهو يوجّه كلامه للطلاب العرب - أن تعاملوني ضعيفاً وأنا في بيتكم قاصداً الجامعة» إن رجلاً كهذا يجب التحاور معه بالعقلانيّة والمنطق وليس بالفوضى والصريخ.

فالرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) حين لم يمنح الفرصة للرد على الرئيس الإسرائيلي انسحب من المنتدى الاقتصادي الذي يعقد في مدينة دافوس (Davos) السويسرية، حينها صفق له العالم واستقبله شعبه، إمّا أن نتحاور بالمنطق أو أنسحب بكرامة هكذا بنى قراره.

ويتناقل البعض مقالاً يزعم أن كاتبه الإنجليزي قد عاش في الخليج أكثر من ثلاثة عقود ثم ذكر الخصائص السلبية التي شهد عليها في المجتمع الخليجي، وبعدها تناقلوا ردّاً من أحد العرب عليه ذاكراً سلبيات المجتمع الإنجليزي، وقد امتعضتُ لذلك أيما امتعاض فإذا كانت تلك خصلته فهل نردُّ عليه بمثلهما؟ هذا إن كان المقال المزعوم صحيحاً في الأصل.

إن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تكونوا إمّعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»<sup>(١)</sup>، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٢)</sup>

إن الحلم غاية في الرّفعة، وآية في الجلال، وهو مكبح النفس عن الإنفعال في الحكم، وعقال العقل عن الإنزلاق في الإثم، كما أنّ الحكمة هي تاج القرار، فهي الحامي عن التهور والإنجرار، ولهذا وجب التعقل قبل اتهام الآخر بالخطأ، والتروي قبل كيل التسفيه برأيه، فكم من إنسانٍ مخطيء لم ترده الحجة المقنعة إلى الصواب بل الأسلوب وإن ضعفت حجته، وكم من مخطيء هو أدهى خطأً، وأمرٌ جرمًا ممن يتهم بالخطأ، وهؤلاء كشأن ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

(١) سنن الترمذي.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.

صُنْعًا ﴿١٠٤﴾<sup>(١)</sup>، كما وجب التعاطي مع المخطيء بلسان فكره، ومجرى منطقهِ، فلربّ ذلك معينه على التفكير في موقفه.

كنتُ أطمحُ أن يتغيّر أمرُ هامٍّ فينا كلّما ظهرَ جيلٌ جديدٌ من بيننا، هذا المطمحُ هو أن يتحمّل الإنسانُ منّا أيّما كان جنسه مسؤوليّةَ أخطائه، ويُعلنُ عنها، ويأسفُ لها، ويراجعها، ثم يقوم بإصلاحها، إنّما لم أرَ ما أطمحُ إليه مترسماً طريقَ الواقعِ بعد، وهذه مصيبةٌ ومعضلةٌ عظيمة، أينَ هذا الذي يعترفُ بالخطأ كلّما وقعَ دون أن يسوقَ الأعذار والمبررات والدوافع حتى تراكم قائلًا: آسف ولكن.. ثم كأنه لم يتأسفَ كأنه لم يخطأ، وكأن ابن آدم ليس خطّاء، قلتُ أنّها مصيبةٌ ومعضلةٌ عظيمة لأنّ لها انعكاساتٍ غير وخيمة، فعدمُ الإعرافِ بالمسؤوليّةِ خداعٌ للنفسِ، وتمويهٌ للعقلِ، ومكرٌ بالحقيقة، ودسيسةٌ للفضيلة، وزيفٌ للشخصية، ولو أنّ كلّ إنسانٍ وقفَ معلناً مسؤوليته المباشرة أو الأخلاقية عن خطأ وقعَ، أو مشكلةٍ حدثت، أو موقفٍ وخيم نتج لعاشت المجتمعات في رقي حضاري ما بعده رقي، أمّا لو كان العكس أي أن ما حدث نصرًا، أو مجداً، أو فوزاً، أو إنجازاً أو كشفاً فلا تحصي عدد الرؤوس التي تظهر، «فالنصرُ له ألف رأسٍ والهزيمةُ لها رأسٌ واحد»

كلُّ يجادلُ في أنّه صاحبُ ما تحقّق، مفتخرًا به وهو في الحقيقة لم ينلُ منه طرفاً، وهذه مشكلةُ تربيةٍ وتعليم، فلو تربّى كلّ جيلٍ على إدراك معنى المسؤولية، وتحمّل الخطأ إن وقع، ومواجهة الذات، ونقدها لصلح شأنه، فمن الحكمة أن نعلم بأن الله سبحانه وتعالى قد حمّل الإنسان المسؤولية قبل أن يظهر كائنًا في الوجود حيث قال:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

كثيرون ممن يجادلون بغير علم، إنّما يجادلون سفهاً وانتصاراً لأنفسهم كي لا يظهرها

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

أنهم قد هزموا أمام النَّاسِ، أين هؤلاء من مقولة الإمام الشافعي رحمه الله: «والله ما جادلتُ أحداً إلاّ تمنيت أن يظهرَ الله الحقَّ على لسانه دوني»، والمرءُ يصبحُ سفيهاً إن جادلَ لغرضٍ في نفسه، أو دافعَ عن خطأ ارتكبه، أو نافحَ عن حماقة، وكم من النَّاسِ عندنا من يرتكبون الأخطاء ثم يتشبثون بالباطل بكل ما تملك قواهم، كم منهم من يتسببون في مصائب ومشاكل ثم يلقونها على آخرين، معددين أعداراً لا تحصى، وأسباباً لا تعدد، حتى أصبح من الشائع أن ربَّ البيت والمسؤول والمعلم وصاحب المؤسسة لا يخطؤون إنَّما من يخطأ هم من يقعون تحت مسؤولية هؤلاء وكأن القمم أو الرعاة لا يشملهم «كلِّكم راعٍ وكلِّكم مسؤولٌ عن رعيته»، وكأنهم لم يسمعون اعتراف سيدنا عمر بن الخطابٍ أمام جمعٍ من الصحابة والنساء: «أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر».

أعجبتُ لقول أكاديمية خليجية في برنامج يناقش الإنحراف الفكري لبعض الشباب: أن هؤلاء هم نتاج تعليمنا وتربيتنا لهم، فهذا منطلق العلاج، الإقرارُ بأساس المشكلة.

أن يقف إنسانٌ ما فيقول أنني مخطئٌ في الأمر الفلاني، واعتذر فهو إنسانٌ يستحقُّ التقدير، ف«كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»<sup>(١)</sup>، فهو إنسانٌ يحترم ذاته، ويقفُ شامخاً لا ذليلاً ليعترف بما اقترفه فالإقرارُ بالذنب فضيلة..

قليلاً ما يعترف أبٌ أمام أبنائه، وقليلاً ما يعترف مسؤولٌ أمام موظفيه عن إساءة، أو إهانة، أو حماقة، أو سوء تصرف، أو دسياسة، أو غير ذلك مما يسيء إلى الآخرين، ظانين أن اعتراف الرجل انتقاصٌ لرجولته.. وأية رجولة هذه التي تتشبث بالباطل؟! واسمع لبعض الخطباء والدعاة وغيرهم ممن يلقون اللائمة على الغرب والغرب وحده يلجُّ في معضلاته التي تشغله عنّا، والله إنِّي لأتمنى أن تحلَّ دعواتنا لإصلاح أنفسنا، ونقدها مكان اتهام الآخرين بأنهم أساس مشاكلنا، وجرثومة تقهقرنا، هذا

الفكر السائد، نفي المسؤولية عنّا سائداً، فذلك العربي يقول لي: أمريكا هي السبب، فأقول له: اعذرني أن أخالفك، وأعد التفكير فيما تقول، وذلك الآسيوي يقول لي: إن المصيبة تكمن في دولٍ أخرى وأجهزتها الإستخبارية، فأقول له: لا أوافقك الرأي وأضفتُ قائلاً: أن الجسم إن كان قويّ المناعة لم تستطع الفيروسات مهاجمته، لكن إن ضعفت أجهزّة المناعة فيه تداعت عليه الفيروسات وسحقته سحقاً.

لقد كان (ديل كارينجي) يحتفظُ بملفٍ في مكتبه سجّل عليه أخطاه وحمقاته التي ارتكبها على مدار حياته يقول: «و حين أقوم باستخراج هذا الملف وأعيد قراءة الإنتقادات التي وجهتها إلى نفسي أشعر بقدرتي على الإستعانة بعظات الماضي وعبره لمجابهة أفسى وأقوى المصائب التي أتعرض لها، وبعد اطلاعي أكثر من مرة على هذا الملف اكتشفت أن كل هذه الأخطاء كان مسؤوليتي وليست مسؤولية غيري وفي ظني أن أغلب الناس أو فعلة ما فعلت لأدركوا ما أدركت».

لقد قال نابليون أثناء نفيه في جزيرة سانت هيلانه: «أنا فقط المسؤول الوحيد عن هزيمتي فقد كنت أنا أعظم عدو لنفسي»

ومن الغرب نتعلّم دروساً في الإعتراف بالخطأ، ولستُ أحصي ما أملك من أمثلةٍ أو عدد من استقالوا بعد أن اعترفوا بأخطائهم<sup>(١)</sup>، أمل دائماً أن يتغيّر فكر كل جيل لاحق عن سابقه ليكون أكثر إيجابية، وأكثر استفادة من تجاربه، فأنت لا تحدّث صيباً عن واقعةٍ تسبّب فيها أو خطأ ارتكبه حتى يتنصّل على الفور منه، ملقياً به

(١) في اليوم الذي كتبت فيه هذا الكلام بتاريخ ٩ نوفمبر ٢٠٠٩م، اعتذر رئيس الوزراء البريطاني علناً لأم بريطانيا فقدت إبنائها أثناء تفجير لغم في أفغانستان، واتهمت رئيس الوزراء بأن رسالة التعزية التي بعثها إليها كانت مخرشة بشكل سريع حتى أنها لم تستطع قراءتها وأن بعض كلماتها لم تكتمل كذلك لم يكتب الإسم الصحيح لإبنها، فما كان من رئيس الوزراء إلا أن خاطبها هاتقياً للإعتذار ثم أعلن اعتذاره الرسمي مبدياً أسفه على ذلك ومعللاً بأن ذلك خطأ غير مقصود فقط كان صادق النية ولم يكن ينوي الإساءة إلى أحد.





إلى أقرب أقرباءه ولا تكادُ تنصحُ شاباً لخطأ حتى يثور مدافعاً، ولا تفهم العمومية من وراء ذلك، ولكن قصد القول وموجزه هو «عدم وجود ثقافة الإعراف بالخطأ في مجتمعاتنا منذ النشأ»، وهذا حدا بالكثيرين منّا إلى أن يكون مزدوجين، يرتكبون الخطأ، ويتهمون الآخر بأنه السبب فيه والله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾<sup>(١)</sup> وفي المجمل فإن سادت ثقافة الإعراف بالخطأ، واعتبرت فضيلة من فضائل الأدب، وخصلة حميدة من خُصل الأخلاق، فإن ذلك سيكون في خير المجتمعات ولطف حضاراتها.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧.



## لا تكن سلبياً:

«يمكنك صنع الفرص بالعمل  
لا بالشكوى»

**Muriel Siebert**

تجمعك الحياة بأشكالٍ وأنماطٍ من  
البشرِ ذوي طبائعٍ وأخلاقياتٍ متفاوتةٍ  
من هؤلاءٍ سلبيون كثيراً ما ضيَّعوا  
قدراتهم، وأضلُّوا أنفسهم لأنهم فقدوا  
أصواتهم في الحياة، والأدهى أتهم يرون

الآخر بالعينِ السَّلبيةِ التي تبحثُ فيه عن الأخطاء، وتنقُبُ فيه عن المعاييب، وأكبرُ  
ما يحطِّم المرءَ إشعاره بأنَّه تافه كما يقال في حينٍ يجيد هؤلاء السلبيون فنَّ اختراع  
العيوبِ وإغلاقِ الأبوابِ على الحلولِ، نظراتهم للحياة سوداوية، وللناسِ سلبية،  
تغلبُ إنفعالاتهم عقولهم، وتسبقُ ألسنتهم تفكيرهم، فلا يترثون في الكلام ولا  
يتأمَّلون في العبارة، ولا يكثرثون فيما يتركون من آثارٍ مقبلةٍ في القلوبِ فكلُّهم  
إبراز وجهه نظرهم السَّلبية، وطرح آرائهم المعارضة، وهي مشروعةٌ لو كانت أمينةً  
تأخذ في الإعتبارِ الوجه الإيجابيِّ والعناصر المشرقة، لكنَّ طبائعهم تعكسُ نظراتهم  
للحياة، وانغلاقهم حول أنفسهم، إنغلاقاً يصوِّر ما خارج هذا المحيط الضيق بأنَّه  
السواد الكبير، وأن المحيط الضيق الذي يقعون فيه هو نقطةُ الضوء الساطعة التي  
تنزلت فيها الحقيقة، وألهمت بالحكمة.

هؤلاء يجبُّون المشي دائماً عكس التيار، وعكس المارّة وكأنهم لا يخالفون إلا ليعرفوا  
جرياً على قاعدة المثل: «خالف تعرف».

وجدتُ الكثيرين منهم وقد بان التقطيبُ على جبهاتهم، وهم إن اضطروا للإبتسام  
أو الضحك اضطروا متكلِّفين لأن الآخرين الإيجابيين نظروا للأمر من زاوية جميلة.

يقول إيليا أبو ماضي ناصحاً أحد هؤلاء:

أيها الشاكي وما بك داءً

كيف تغدو إذا غدوت عليلاً

هو عبء على الحياة ثقیلٌ

من يظن الحياة عبئاً ثقیلاً

فتمتع بالصباحِ مادمت فيه

لا تخف أن يزول حتى يزولا

و إذا ما أظل رأسك هم

قصر البحث فيه كيلاً يطولا

ويقول المتنبي مسفهاً، وضارباً في الحائط برأيهم لأن خبر نواياهم، وعلم طبائعهم:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ

فهي الشهادة لي بأني كاملٌ

وقال محذراً سيف الدولة الحمداني منهم:

أعيدها نظراتٍ منك صادقةً

أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورماً

فما كان عملٌ هؤلاءٍ إلا البحث عن شاكلة المعاني التي قالها شعراء قبل المتنبي كي

يتهموه بالسرقه، والمعاني كما قال أبو الأسود الدؤلي: «مطروحةً على قارعة الطريق»

لا تكن سلبياً.. فالسليبيون أثقلوا على أنفسهم، وأنهكوها بالخذلان وحطموها

بالرسائل السلبية، وبدل أن يغدوا أنفسهم بالفكر الإيجابي المشرق وتستنشق أنوفهم

نسائم الوجود الجميلة، ويتبعوا نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم النفسية في

قوله: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

في هذا الحديثِ مربوطُ العلاج النفسي الناجع حيث يعني أن تغذية النفس بالرسائل

الإيجابية، وحملها على التفاؤل هو حافزٌ عظيمٌ لبلوغ الغاياتِ والمطامح، ولكنك تصادفُ في يومك من تسألُهُ عن حاله فيردُّ عليك في تناقضٍ وامتهانٍ للنفس: «زفت والحمد لله»، وليته شكرَ الله على نعمةِ الصحَّةِ وهو صادق.

وكثيراً ما أرى أحد الشباب وكأن هموم الدنيا قد أُلقيت على ظهره فناءً بحملها، فبدا مقطب الجبين، مهزوز اللسان، محطم النفس، فأعودُ أسألُ عن حاله فإذا بحاله قميئةٌ بأن يتصف بها أسعد الناس، وأسعدُ الناس من وصف النبي صلى الله عليه وسلم حالهم بقوله: «من أصبح آمناً في سربه، معافاً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بأظافرها».

لكن المصيبة أن السليبيون لا يرون أنعم الله فيهم وعليهم وحولهم، بل يرونها في غيرهم، ولا يفكرون فيما لديهم بل فيما ينقصهم، والشاعرُ بالنقص لن يصل إلى قناعةٍ ورضا واطمئنان.

يقول عالم النفس (وليم جيمس): «إننا نحن البشر نفكر فيما لا نملك ولا نشكر الله على ما نملك، وننظر إلى الجانب المأساوي المظلم في حياتنا ولا ننظر إلى الجانب المشرق، ونتحسر على ما ينقصنا، ولا نسعد بما عندنا».

يقول الشاعر:

من راقب الناس مات همماً

وفاز باللذة الجسورُ

لا تكن سلبياً.. فالسليبيون قانطون يائسون، وهؤلاء مناقضون للإيمان، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) (١).

هذه الآية قيلت على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام، والذي لم يفقد تفاؤله يوماً حتى استعاد يوسف وأخيه كما استعاد بصره وكافأه الله على روحه الإيجابية بأنعمٍ

عظيمة، متبعاً كلام الله: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>

لقد تربى بعض السليبين على ثقافة المثل العربي «الي ما تلحقه كسره» حيث ينطوي المثل على فكرة إعاقة الناجح المتميز حين لا يستطيع الآخر مجاراته أو تحقيق الإنجاز الذي يسعى لتحقيقه، وهذه الفكرة لا تزرع في الإنسان الإيجابية في التعامل مع الناجحين والتعلم منهم واكتساب الخبرة من تجاربهم وإنما تحض على إعاقتهم وعدم تمنى الخير لهم كما يقول أبو فراس الحمداني:

معلتي بالوصلِ والموتِ دونه

إذا متُّ ظمناً فلا نزل القطرُ

وفي الغرب مثل يعاكس هذا المثل السالف وهو: (if you can not beat them join them).. ويعني: إن لم تستطع هزيمتهم فانضم إليهم مما يعني أن تكون إيجابياً مع الآخرين المتميزين، إذا نظرنا للمثل من الناحية المحققة للنفعية الإنسانية الخالصة، ولم ننظر إليه من جهة الإشتراك في الفساد نظراً لقوة الطرف الأول ونفوذه الذي لا يمكن مقاومة شروره إلا بالاستسلام له والسير تحت لوائه، وعلى عكس هؤلاء فإن المبادرون ليسوا سلبيين، إذ لا ينشغلون بالمشاكل بل بانتهاز الفرص، حتى مع وقوع الأزمات أو المحن فإنهم يبحثون عن الفرص داخلها وكيفية توظيفها فيما ينفع، وهم في ذلك متفوقون مع المثل القائل: «الخير من بطن الشر»، هذه النفسية الإيجابية هي نتيجة قدرتهم على التحكم الذاتي في استجاباتهم للمواقف، والسيطرة على انفعالاتهم.

## لا تحمل فوق رأسك جبال التوفاه:

على الإنسان عدم التفكير في توفاه الأمور والبحث عن الهدوء بأي ثمن.

دراسة في قسم حماية الذاكرة في معهد مايو كلينك في مينسوتا الأمريكية

عالية هي جبال التوفاه التي نجلس عليها نحن البشر وكأننا نجلس على قمة مجد لا نريد مفارقتها، نصيح لصوت التوفاه، نكرث لها نهزم، نستسلم، نهأز، ننسى خصالنا، نفارق شخصياتنا، نعطل عقولنا لأن التوفاه تتكلم، ونحن يجب أن نستمع بإنصاتٍ

شديد، فكم أضعنا أوقاتاً ثمينةً ونحن نرق السمع لها، ونتبع أثرها، ونقتفي هسيسها، ونتلمس الطريق نحو مصدر طوبوها وقعتها، أوقاتاً لو كنا استثمارنا لأثمرت، ولو استغليناها لأنتجت، أوقاتاً أضعنا فيها أعمالاً عظيمةً، وأهدرنا فيها طاقاتٍ خلاقة، توفاه نسلّم لها قيادَ مشاعرنا، وتوجيه قراراتنا، والتأثير على انفعالاتنا وهي في الأصل فقاعاتٌ مجوفة، كبر حجمها بفضل الهواء الذي منحناها إياه، نعيش عليها، وندافع عنها، ونختصم بسببها، وتعارك من أجلها، وهي ليست سوى توفاه.

كم تخاصم الناس، وخسروا بعضهم البعض، وامتلات حشاشات قلوبهم ضغائن، وأحقاداً، وتحاسداً، وهجرأً، ومحاكم، وخصوماتٍ ممتدةٍ ومعارك لا تنتهي بسبب التوفاه، والحياة التي تُنبت هذه التوفاه لا تساوي جميعها عند الله جناح بعوضة، فأين تقع منها كل هذه التوفاه والله يأمرنا بتجنب هذه التوفاه بقوله:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (١).

وجدتُ كثيرين ممن تؤثّر فيهم التوافه، فترك فيهم أثراً لا يندمل إلا بمرور الزمن ربّما، تعمي أبصارهم، وتعطل عقولهم فلا يعودون قادرين على التمييز، ولا تحديد ردة الفعل، ولا تقييم الحدث، ولا تبصّر العواقب، وإنما يظلمون أنفسهم وربّما غيرهم برؤيتهم للنصف الفارغ من الكأس، فلا يبصروا النصف المليء للكأس، هؤلاء وإن ظهروا لك في أوّل الأمر أنهم شاخو القامات، إلا أنّ القلق سرعان ما يستبدُّ بهم، ويستشري بعقولهم، ويستولي على قلوبهم، ثمّ يدبُّ مرضاً ينهك أجسادهم، هؤلاء كالشجرة العظيمة التي عاشت مئات السنين في إحدى غابات الصين كما يذكر (ديل كارينجي) وقد أضحت من أعظم الأشجار وأطولها وواجهت على مدى مئات الأعوام أهوال الطبيعة المختلفة حيث الرياح العاتية والعواصف المدمرة والصواعق الحارقة، وبالرغم من كل هذه الكوارث بقيت صامدة، واقفة بكل شموخ وكبرياء، كالجبل الأشمّ وكالطود الثابت لم يتحرك لها غصن ولم يتزحزح فيها جذر، ثم فجأة، استسلمت لهجوم ضارٍ من صغار الحشرات وهوام الأرض فلم تنزل بها تنخرها، وتقرضها حتى نالت منها وأسقطتها، حال أولئك الناس كحال هذه الشجرة، فقد يصمدون لكبار نواب الدهر ومصائبه وعظام الأحوال والمحن، ولكنهم يسقطون لتوافه الأمور، إنما كيف يستبدُّ القلق بمصلّ يوجّه وجهه للقبلة، والربُّ الكريم الذي يولي وجهه له يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٤) ﴿١﴾.

ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) ﴿٢﴾.

يقول ابن القيم: «في القلب شعث لا يلحمه إلا الإقبال على الله، وفي القلب وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفي القلب خوف وقلق لا يذهب إلا الفرار إلى الله، وفيه حسرة لا يطفئها إلا الرضا بالله عز وجل».

(١) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٢-٣.

وكيف لتابع سنّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم أن تهدمَ روحه التّوّافه ونبيّه يقول لابن عبّاس وهي مقولةٌ للأمة: «يا غلام إني أعلمك كلمات.. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصّحف»<sup>(١)</sup>.

لا تحمل على رأسك جبال التّوّافه.. فلم ندع أنفسنا فريسةً تأكلها التّوّافه ولم نسلّمها للقلق يساقبها السمّ قطرةً قطرة، ولم نترك الهموم كي تقرض أوقاتنا والأوقات ثمينة، ولم نكدّر قلوبنا والقلوب مضغ صافية نقيّة، ولم نخاصم من نحبّ لتافهة لا تسوى ذرةً من أثرهم في حياتنا؟!!

أفلا ننظر من المنطاد الذي طار بنا فوق الأرض فنرى حجمها وهو يصغر كلما ارتفعنا، ويصغر معه حجم البشر وهم يدبّون فيها حتى يختفون، أهذا حجم الأرض التي تقلقنا، والناس الذين يتسبّبون في همومنا؟!!



## بياضٌ واسعٌ مقابلَ نقطةٍ سوداءِ:

وإنْ كانَ لوني أسوداً فخصائلي  
بياضٌ ومن كَفِّي يُستنزل القطرُ  
عنتره بن شداد

من أعظمِ مصائبِ النَّاسِ تتبُّعِ عثراتِ  
الآخرينِ واقتناصِ عيوبهم، وهذا يدلُّ  
على مرضِ القلوبِ، وجهلِ العقولِ  
وظلاميةِ السرائرِ، وعمى البصائرِ.

يروى (كوفي عنان) الأمين العام

السابق للأمم المتحدة قصّة ذات مغزى يقول فيها: «كنا في الخمسينات طلاباً صغاراً في إحدى المدارس في غانا، وفي حصّة اللغة الإنجليزية وضعت المعلّمة أمامنا ورقةً بيضاءً كبيرة الحجم، ثم نقطت في الركن الأيمن منها نقطة سوداء وسألتنا: ماذا ترون؟ أجبنا جميعاً بصوت موحد: نقطة سوداء، فقالت معاتبَةً: إذاً فما رأى واحدٌ منكم المساحة البيضاء الواسعة، وإنّما رأيتُم النقطة السوداء، وأضافت: هذه طبيعة سيئة من طبائع الإنسان، فالناس لا يرون الخير في الأشياء وفي الصورة البيضاء الواسعة، فتخلّوا عن هذا الطبع في حياتكم».

لقد كان درساً بليغاً أحمله معه كوفي عنان أكثر من خمسين عاماً، وهكذا ينبغي أن يحملهُ معه كلُّ إنسان.

المتتبّعون للعثرات كُثُرٌ من بيننا، يترصّدون بكِ الطرقات، ينتظرون منك زلّة لسان، أو خطأً فعل لينشروها كما ينشرُ الغسيل على شرفات الشوارع فيجدون في هذا لذة لأنفسهم، ودواءً يُشفي مرضهم، ويُسكّنُ تحرّقاتهم، يبحثون بين الأسطر عن «النقطة السوداء» كي تكتحل بها عيونهم، وتستريح أفئدتهم، وتهجع خواطرهم، هؤلاء كُثُرٌ في كلِّ مكانٍ، وبيئة العمل هي المكان الذي فيه يرتعون، فكم يكثر المتجسّسون الباحثون عن «النقطة السوداء» والمتتبّعون للزلات في بيئات العمل، أولئك الذين ما إن يظفروا بصيّدٍ فاسدٍ وجرحٍ عفنٍ حتى يسارعوا بالثرثرة عند العامّة، أولئك

الذين ما إن يكتشفوا عيباً لإنسانٍ حتى يسارعوا بفضحه، أولئك الذين ما يزلّ لهم صديق حتى يهرعوا في إثمخانٍ جرحه، أولئك الذين يخلقون الأقايصص الكاذبة والحزبيلات الملققة للآخرين، هؤلاء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم: «بعض الناس كالذباب لا يقعون إلا على جرح».

ومن أمثلة هؤلاء مديرٌ يتبّع عثرات موظفيه، ويتجسس عليهم، مستلذاً بأخطائهم كي يرصّعها كالأوسمة بل كالذباب في تقرير الأداء السنوي فكم تأذى موظفٌ من عيونه، وكم ضاقت موظفةٌ من تتبّعه، هذا المدير انشغل عن الأخطاء التي يرتكبها بتبّع عثرات موظفيه، فكان ذلك على حساب مهامته لكن الله مكر به، فصدق فيه قول بكر بن عبد الله: «إذا رأيتم الرجل موكّلاً بعيوب الناس، ناسياً لعيوبه، فاعلموا أنه قد مكر به».

ولا ينجو من «النقطة السوداء» من تتبّعها في الآخرين فهي حتماً وراءه، تلاحقه أينما يكون، ويصابُ بالبلاء كما سخر من بلاء الآخرين واستهزأ بعيوبهم، يقول الإمام مالك بن أنس: «كان عندنا في المدينة قومٌ لا عيوب لهم فتكلّموا في عيوب الناس فأصبح لهم عيوب وكان عندنا قوم لهم عيوب سكتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم»

إن أصحاب القلوب المريضة والجهلاء هم الذين يسعدون بالتقاطِ عيوب الآخرين، التقاطِ الفتات من الأرض، أو نصبِ كمان لهم كما ينصبُ قطاع الطرق كمان للوادعين، أو ترصدهم ترصد المفترس لفريسته، فماذا عرف المسلم المؤدي للفرائض من الإسلام حين يغدو تتبّع عثرات الخلق به خلقاً، وماذا يجني من الأجر الذي يطمع أن يضاف إلى كتابه وهو يُرسل الجواسيس في إثر غيره لكي يكيده به.

في الغرب يتلهّف الإعلام بتبّع العثرات، وفضح الزلات، فرئيس الوزراء البريطاني السابق «جوردن براون (Gordon Brown) فضح في زلة لسان إثر محادثة خاصة وصف فيها إحدى الإنجليزيات بأنّها «امرأة متعصبة (bigoted woman) وأدى

تعاطى الإعلام مع هذه «النقطة السوداء» إلى رمي حجرٍ آخر في قاربه الغارق!.. ذات مرة نشرت صحيفة (الميل The Mail) محادثة خاصة أجراها رئيس الإتحاد الإنجليزي اللورد تريسمان (Lord Treisman) مع طرفٍ آخر قام بتسجيلها وربما «بيعها» إلى صحيفة (الميل Mail) البريطانية، اتهم فيها أسبانيا وروسيا بالتآمر لرشوة الحكّام في كأس العالم الذي أُقيم في جنوب أفريقيا، هذا النشر أدى إلى استقالة رئيس الإتحاد فوراً وأثار انتقاداً وسخطاً واسعين من العامّة على الصحيفة!..

وإذا كان كذلك الحال في الكثير من الإعلام الغربي، فإن كل صحفي وإعلامي عربي مسلم لا بد وأن تكون المصدقية وتحريّ الحقيقة والنزاهة من أهم صفات مهنته..

﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنْوْا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) ﴿١﴾.

لكن كثيرين منهم يجرون وراء الشائعات بغية السبق الصحفي والإعلامي وهو سبقٌ لا يجلبُ إلاّ الخزي، والعار إلى المهنة، ولا يلحقُ إلاّ الذميمة والصغار بصاحبه. كم للإنسانٍ من أخطاءٍ والله لو انشغل بها لنسي عيوب الآخرين.. لكننا نشأنا في ثقافةٍ تغلب على أكثرنا خطأ الغير، وتظهر عيوبه، وتطمس محاسنه، فإذا زلّ في خطأ استقرّت «نقطته السوداء» فلا يرون البياض الواسع فيه، فيأخذونه على جريرة هذه الزلّة، ولا يغفرون له ولا يلتمسون له العذر، بل يسعون إلى تكبيرها، وينسون فضله عليهم ويجهدون - ياله من إجهاد لفضحه أمام العالمين، أمّا والله لو سترتوا عثرته، وطمسوا عيبه لرأوا منه الوجه الحسن، والمعشر الطيب فلا أحد يصل الكمال، فالكمال لله وحده.

يقول الشاعر:

عائب الناس وإن كان سليماً يستعابُ

والذي يمسك عن عيبِ الورى سوف يهابُ  
ما دخول المرء فيما ليس يعنيه صوابُ

فَلِمَ يَسْأَلُ الْمَرْءُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلِمَ يَسْتَقْصِرُ مَا لَا يَنْفَعُهُ، وَلِمَ يَتَّبِعُ مَا لَا يَفِيدُهُ فِي الْأَثَرِ «يَبْصُرُ أَحَدَكُمْ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الْجُدْعَ فِي عَيْنِهِ»، وَمَنْ سَخَّرَ بَعِيوبَ النَّاسِ سَخَّرَ اللَّهُ مِنْ عِيوبِهِ، وَمَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَعَجِيبٌ أَمْرُ بَعْضِ النَّاسِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا تَنْفَعُهُمْ، وَيَسْتَقْصُونَ عَنْ أُمُورٍ لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ نَاهِيًا:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ (١).

فليت الإنسان يسأل في منفعة، ويبحث في علم، ويستقصي في معرفة فلو فعل لما آذى نفسه، وآذى الآخرين، المبادر لا يتقصى عيوب الناس، ولا يسأل عن أشياء لا تجدي له نفعاً، فهذه الشواغل تنحرف به عن مسار العمل الجاد، المترسم للأهداف الواضحة، أمّا من يفعل ذلك فأصحاب النفوس الصغيرة التي لا هم لها ولا عزائم. أعجبتني حكاية قصيرة سردها (كوفي عنان) الأمين السابق للأمم المتحدة ذات يوم يقول فيها: «حين كنّا أطفالاً في المدارس في الخمسينات من القرن الماضي، حين أحضرت معلمة الفصل وسيلة بيضاء ورقة بحجم كبير لا شيء فيه سوى بياضها الطافح، ثم نقطت نقطة سواداء في وسطها، وسألتنا ماذا ترون؟ قلنا: نرى نقطة سوداء، فردّت: رأيتم هذه النقطة السوداء الصغيرة ولم تروا هذا البياض الكبير حولها»

حكاية صغيرة، قديمة لكنّها مؤثّرة، إذ لم ينسها كوفي عنان لما يقارب النصف قرن، فهو يعلم مدى قيمة ذلك الدرس، وتلك الحكمة، ولهذا اتخذها عنواناً له في قيادته للأمم المتحدة إبان فترة وجوده على رأسها، إنها هذا شأن الكثيرين في

الجانب المقابل، أولئك الذين لا يرون غير النقطة السوداء، ولا ترى أعينهم البياض الشفاف الجميل، هل لأن مقلّة العين سوداء والبياض المحيط بها مجرد إطار؟! رؤيتهم لهذه النقطة السوداء التي قد تتخايل أمام أبصارهم وهي وهم يقلّب قلوبهم بشكل فجائي، غريب، مستهجن.

يتقلب القلب دون أن يستشير العقل، ودون أن يستذكر البياض الساطع، الكاسخ، ودون أن يتذكّر مقبلات الأمور، وحال الحياة بعد النقطة السوداء التي رأوها، هؤلاء الناس إن بدا لهم أمرٌ رأوا فيه النقطة السوداء دون أن يروا بياضه، فإذا مرضوا حزّوا للمرض، ولم يفرحوا المحو السيئات أو يستشفوا الدواء وإن ضاقت بهم الأحوال، تدمروا من المعيشة ولم ينظروا لاتساع أرض الله وينبوع الرزق السيال، الخالد فيها، وإن لم يحرزوا نجاحاً في أمر، نكسوا رؤوسهم ولم يتطلعوا إلى أبواب المحاولات المشرعة، وإن صادفتهم مشكلةٌ ما تملكّت أنفسهم فحملوا الدنيا على رؤوسهم فصاروا يضيقون بحملها، ولم ينظروا إلى الممكنات والإحتمالات والحلول، وإن أخطأ في حقهم عزيزٌ سحقوا سيرته الجميلة في قلوبهم محواً وتسفيهاً بغلظة القلوب، وصلادة الكلمات، ولم يتمثلوا سيرته الحسنة معهم، أو رفقه الطيبة بهم.

انظر إلى البياض الواسع ولا تنظر إلى نقطة سوداء.. فالنقطة السوداء داءٌ عظيمٌ بلي به بعض الناس أو بلوا به أنفسهم فلم يقدرُوا على التّخلص منها إلا بالركون إلى الحكمة، والعودة إلى العقل، ولعلني أذكرُ بيتاً كنتُ قد كتبتُه في جدار غرفتي خلال أيام الدراسة الثانوية، أُلجأ إليه كلّما عنّت لي معضلةٌ، أو مضى لي شأنٌ مخافة الندم والتّحسر.

يقول البيت:

لا تقل فيما جرى كيف جرى

كلّ شيء بقضاءٍ و قدر

وأردد بيتين آخرين:

دع المقادير تجري في أعتتها  
ولا تبتئن إلا خالي البال  
فما بين طرفة عينٍ وانتباهتها  
يغيّر الله من حالٍ إلى حالٍ

أمّا الآن فلربما سأتفق مع الحكمة الجوهرية للقضاء والقدر إلا أنني بلا شك لن أستغني عن المهمة السامية للعقل، من أجل التمحيص والتدقيق والتحليل. سألت أحد الأصدقاء الذين رأيتُ فيهم سعة الصدر وأخذ الأمور في أوج تأزمها مأخذ التيسير: ما الذي تتمتعُ به كي لا توتّر المشكلات ولا تقلقك الصعاب؟ قال: أفكر دائماً في أسوأ الاحتمالات فأرى أن بمقدوري تحملها وحينها تهون علي المشكلة فلا تقضُ منامي ولا تؤذي نفسي.

إن هذه النظرة تتطلب ما يسميه الإنجليز (helicopter view) نظرة الطائرة العمودية وهي تعني، إرتفاع إلى أعلى وانظر إلى ما تظنه في نفسك المشكلة العسيرة لتراها صغيرة لا تذكر، ثم ترى الجمال المحيط بها، فتنزلُ فإذا أنت شخصٌ آخر، ترى الحياة بمنظورٍ أوسع وحينها سترى البياض الذي يحيط بها ومن يعيشون فيها، ولن ترى قط النقطة السوداء.





## وقتك مصدر ثروة

«إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ  
فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»

حديث شريف

رواه أنس رضي الله عنه

أدمنت مجتمعاتنا التأخير فدفعت ثمنه باهضاً، التأخير لدينا نتيجة لعدم تقدير الوقت الذاهب هدرًا دون وعي بقيمته ودون تقدير لأهميته.

نعم إن السرعة هي التي تعتبر السبب

الرئيسي للحوادث المرورية في إحصائيات المرور، لكنّها في الأصل نتيجة للتأخير في كثير من الأحيان لا يعي الناس قيمة الوقت، فيتأخرون للخروج إلى مواعيدهم، أو قضاء أعمالهم حتى اللحظات الأخيرة، فقد قاسوا في أدمغتهم المسافات وقدروها بالأوقات استخفافاً بمفاجآت الطرقات، فإذا بمعوقات غير محسوبة تظهر لهم فجأة، فتضيق أنفسهم ذرعاً، حينها لا يجدون ما يحلّ لهم الأزمة التي أوقعوا فيها أنفسهم سوى الإسراع الحثيث، وهم مرتبكون، مضطربون وهنا تكون المصائب التي تُزهق فيها أرواحهم، وأرواح غيرهم، ولو أنهم بكروا في الخروج، لساروا في طمأنينة نفسية، لا يحثّها تأخيرٌ ولا تدفعها عجلة.

من هنا فإن التأخير هو سبب رئيسي للسرعة والتي هي مهلكة يلقي البعض من الناس أرواحهم وأرواح غيرهم فيها، وإذا نظرت إلى أسباب التأخير ستجد أن أغلبها يعود إلى هدر في الوقت وليس استثمار هدر في الكلام والثروة فيما لا ينفع العقل، ولا يُثري النفس، وليس استثماراً يفيد الإنسان، وينفع الأمة.

تنظر إلى أسباب التأخير فتجدها تعود إلى الفوضى في التعاوي مع الوقت، والعشوائية في قضاء المصالح، فكثير من الناس يقررون القيام بقضاء مصلحة أو القيام بزيارة بصورة مفاجئة وهذا ما يجعلهم في حرج وعجلة لمواعيدهم الأخرى.

وعدت ذات مرة إنجليزياً وزوجته للقاء في ساعة معينة بأحد الفنادق فلما وصلت

في الموعدِ تماماً، قال لي على الفور: لأوّل مرةٍ يواعدني أحدٌ ويأتي في وقته، سررت بهذا وأسفت في الوقتِ نفسه سررتُ لأنّه تنبّه إلى حضورِي في الوقت كما اتفقنا وأسفتُ لأن كثيرين جعلوه يلصق بنا فكرة التأخير.

ومنذ أيام كان عليّ أن ألتقي في المكانِ نفسه زوّاراً ألمان فكنْتُ أحرصُ منهم على السبقِ للموعدِ فوصل كلانا قبل الموعد بنحو نصف ساعة.

إن الإنسان الناجح هو المخطط لوقته والمهتم بقضاء مواعيده دون تأخير، حتى وإن ازدحم جدولُه بالأعمال، فكم من فارغٍ في الوقتِ يتأخّر، وكم من مشغولٍ يقدم حضوره لموعده، ذلك لأن الأول لا يدركُ قيمة الوقتِ في حياته، والثاني يعي تماماً قيمته فلم يُهدر منه ثانيةً.

ذات مرّةٍ كنتُ على موعدٍ مع مسؤولٍ في مكانٍ خارج العمل وهو بالإضافة إلى عمله عضواً بأكثر من خمسةٍ وثلاثين لجنة، ومع هذا وجدته قبل الموعدِ ينتظرنِي وقد حَضّر لي ما يعتقدُ أنّه مفيدٌ للموضوع الذي كنتُ أقابلهُ لأجله، وعلى العكسِ فقد وعدني أحد المهديين للوقتِ بالزيارة وبعد أن تعدّى الموعد اتصلتُ به فإذا هو لا يزالُ في فراشِ القيلولة.

والمحافظةُ على الوقتِ أساسها المحافظةُ على أداءِ الصلاةِ في أوقاتها قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١٣) ﴿١﴾، فحين يؤدي المسلم الصلاة في أوقاتها فإنه يستطيع أن يتعامل مع وقته على أساس التقسيمات الخمس وهي تقسيمات غير عشوائية وإنسا وراءها حكمةٌ إلهيةٌ سامية، فيتصوّر الأوقات التي بين الصلوات على أساسٍ أتمها خمسةُ جداولٍ تفصلها استراحةٌ روحيةٌ تعطي دفعاً للنفسِ وبركة، وهمةً وحماسةً، وبهذا سيستطيع دون شك أن يؤدي مهامه وأوقاته دون تأخير، إنّما اختلط الحابلُ بالنابل عند بعض الناس فأخروا وقت الصلاة أو تجاوزوها أو لم يصلوها وبهذا لم يخرجوا بشيء.

إن إدارة الوقتِ هي أعظمُ الهبات التي يُرزقُ بها إنسان، فهي إشارةٌ على وعيه، وعلامةٌ على حكمته، ودلالةٌ على نضجه، فإنك لتدلل على نضوج المرء من طريقة تعامله مع وقته، وتقيس مدى علمه أو جهله من خلال تعامله مع الوقت، وإنني لأتحسّر حينما أرى أناساً تهدرُ أوقاتها على الشوارع أو المقاهي أو الأسواق فيما لا يجلبُ لهم المنفعة ولا يحقق لهم المصلحة.

أوقاتٌ تمضي من عمرٍ ينقص، عمرٌ لا يعود كموردٍ ناضبٍ، لذلك كان الوقتُ في الإسلام مما يُسأل عنه المسلم، لهذا كان من السلف الصالح أناساً لهم حكمةٌ بالغةٌ في تقدير الوقتِ فمنهم من وصل به الحال إلى اختيار نوعية طعام لا تستهلك عليه وقتاً أطول من نوعيةٍ أُخرى حتى لا يضيع وقته، ومنهم من لا ينامُ إلاّ بضع سويعات وهو مواصلٌ للعلم حتى وقت طعامه، أما لدينا فالطعام يستهلك وقتاً طويلاً، والجلسات الفارغة تستهلك وقتاً ثميناً، واللقاءات التي لا تثمرُ عن شيءٍ تبيدُ لحظاتٍ غاليةٍ من عمر الإنسان، والمجاملات تستنزفُ عمراً غالياً، والاجتماعات المتكررة تطول دونها مبرر، فتشعبُ إلى حواراتٍ جانبيةٍ وأحاديثٍ لا تمتُّ لمواضيعها بصلة، فلا يصبح لمواضيعها المقررة إلاّ ربع الوقت وحينها يتمُّ التأجيل لإجتماعٍ آخر! وهكذا يضيع الوقت، ويضيع العمر وتتعطل المصالح، وتتأخر المشاريع، ولو أننا ركزنا نقاشنا حول ما اجتمعنا له لاستطعنا تحقيق الفاعلية والكفاءة من وقتنا، ولو أننا فعلنا وسائل الإتصال الأخرى كالهاتف والبريد الإلكتروني لقلّصنا عدد الاجتماعات ولأنجزنا الكثير من المصالح في وقتٍ قصير.

يروى أن أحد الخطّابين كان منهمكاً في قطع شجرةٍ بفأسٍ غير مشحود فأخذ ذلك منه طاقةً ووقتاً، فلما مرّ عليه رجلٌ سأله: لم لا تشحذُ فأسك؟! قال له وهو منهمكٌ في عمله: ألا تراني مشغولٌ في عملي؟

وهذا حال كثيرين تراهم يشغلون دون تنظيم أو تخطيط، وحالهم كحال الخطّاب فهذا الأخير لو شحذ فأسه لما استغرق منه العمل في قطع الشجرة كثيراً من الوقتِ

والجهد، وهذا يعني أن الإنسان لو خطط ونظّم وقته لم استهلك إنجاز العمل وقتاً كثيراً، ولا غتتم وقته فيما يفيد.

ترى الشاب الذي يحسب نفسه متحضرّاً، وهو يتأنّق في طريقة لباسه، وكلام غير أنّه يتسكّع في المقاهي مهدرّاً وقته، فلا يتورّع إن سألته ماذا يفعل أن يقول: أقتل الوقت.

يقول السير أوسبيرت سيوتل (Sir Osbert Sitwell): «في حقيقة الأمر، فإن قتلنا للوقت هو مجرد تعبير مقنع لواحدة من الطرق المتعددة التي يقتلنا الوقت بها»، فما أكثر الأوقات المهدورة في أعلى وأهم مراحل الإنسان، مرحلة الشباب، يقتلون فيها الوقت في المقاهي والشوارع والأسواق والطرق والمكاتب والوقت يقتلهم.. فلا يكدعون سوى أنفسهم، فكم من شابٍ مضى عمره دون هدف، ودون غاية.

الإرتباك والإضطراب والسرعة هي نتائج للتأخير والتأخير نتيجة لعدم إدارة الوقت بكفاءة، وهانحن ندفع ثمن التأخير في شوارعنا، وفي مكاتبنا وفي بيوتنا وفي الكثير من جوانب حياتنا.

نحن والتأخير إذا قصة رابطة لا تنصم إلا بأن نستفيق على هذه الحقيقة وأن نبدأ التخطيط وإدارة أوقاتنا، والإنتفاع بأعمارنا.. وإلا غرقنا في مستنقع التأخير في عالم سريع التغيير والتبدل والدوران.

## خطوات صغيرة لأهداف كبيرة:

سر التقدم هو أن تبدأ.  
سر الإبتداء يكمن في تقسيم  
أهدافك الطموحة المعقدة إلى  
أهداف يمكن إدارتها ثم البدء  
بالمهـدف الأول.

مارك توين

لا يمكنُ للإنسانِ أن يدَّعي السعادةَ وهو يعيشُ سكونيةَ الحياةِ وخمودها وركودها، فالسعادةُ تكمنُ في المتجددِ من الفكرِ، والسلوكِ وأنماطِ العيشِ تجدداً ذا قيمة، يدفعُ بعقليةِ الإنسانِ إلى الإحساسِ اللذيذِ بقيمةِ الحياةِ وهنا تكمنُ السعادةُ، ولقد نظرتُ إلى حياتنا فوجدتُ أغلبها تكراراً لما قبلها يومٌ

خلف لأمسٍ سلف، لا جديدَ يطغى، ولا حديثَ يغشى سوى إعادةً لما قبلُ وتكرارٌ لما انتهينا عليه.

نظرتُ إلى كثيرٍ من احتفالاتنا ومناسباتنا الإجتماعية المختلفة فوجدتها تمضي على الإيقاعِ والنمطِ ذاتهما، ليس من ثمّةِ إضافةٍ عليهما بل يمكن القول أنّها تراجعت عما أنماطها التقليدية، وكأنّنا فرغت أفكارنا من الجديد المبتكر، وفضلنا الإحتفاظ بالتقليدِ المستقر، وليس في هذا عيبٌ أو خللٌ إنّما المعضلةُ أن الثقافاتُ تضحلُ حين يختفي الإبتكار، نظرتُ إلى أعيادنا فوجدتها مقولة المتنبى أصدق ما يعبر عنها:

عيدٌ بأيِّ حالٍ عدت يا عيدُ

!بما مضى أم لأمرٍ فيه تجديدٌ؟

كحالي يسأل المتنبى عن الجديد في العيد.

الكثيرُ من المناسبات ذات برنامجٍ متكرّرٍ ليس فيه مما يجعلُ المرءَ يتحرّقُ شوقاً لمرآه، برامجُ الإحتفالاتِ والفعالياتِ قلّما يكون فيها الجديد، والشكوى هي قلةُ الدّعمِ أو

تابعتُ إلى الكثير من الأعمال التلفزيونية فوجدتها ذات صيغٍ متكرّرة، وحبكاتٍ مستهلكةٍ، فلا إبداعٍ يثير الناس، ولا طرح يلفت الحسّ، ويثير المشاعر، هل تفتقدُ هذه أيضاً إلى الدّعم المادي وقد انهمر عليها؟!

الجديدُ وحده الذي يجعلُ الحياةَ ذات معنى أمّا عدا ذلك فقديماً يتكرّر كلما أشرقت الشمس، والشمسُ وحدها على غير ظنّ الكثيرين تشرقُ كل يوم من مكانٍ جديدٍ، يقول تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾<sup>(١)</sup>، وفي تفسير الطبري: «لِلشَّمْسِ كُلِّ يَوْمٍ مَشْرِقٌ وَمَغْرِبٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لِلشَّمْسِ ثَلَاثًا ثَمَانِيَةً وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ كُوَّةً فِي مَطْلِعِهَا وَمِثْلَهَا فِي مَغْرِبِهَا عَلَى عَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ»، والناس الذين لا يرون الجديد في الحياة يسألون بعضهم: ما هو الجديد؟ فيردُّ أقرانهم «لا جديد تحت الشمس، انطفئ وهج العقول، وأغلقت أبواب الإبداع، وغفت الأدمغة.

وحين تبارت الأمم التي تتقدّم بالجديد من مخترعاتها في شتى العلوم والتقنيّة كصنع أكبر طائرة وأكبر سفينة، وأسرع قطارٍ، وأحدث جهازٍ، باريناهم نحن أيضاً بجديدينا في صنع أكبر كبسة أرزٍ، وأكبر كنافةٍ، وأكبر صحن حمصٍ، وأطول شاورما، وهذا ما تفتّقت به عقولنا، وتفجّرت عنه أفكارنا، لقد عبّر الشاعر الأندلسي ابن دارج القسطلي عن عهدٍ متّسم بالتجديد عهد الأندلس فقال:

زمان جديد وصنع جديد

ودنيا تروق ونعمى تزيد

وغيث يصبوب وعيش يطيب

وعز يدوم وعيد يعود

كان ذلك في زمنٍ عربيٍّ تفتّقت فيه الأذهان عن التجديد، وعن الشراء المعرفي الذي امتدّت أنواره السنيّة في أجواء المعمورة، فينبهّرُ الناسُ بمبتكرات العقل العربي،

ويحسبُ شارلمان الذي أهدى له هارون الرشيد الساعة أن بداخلها جنيًا فيامر أحد حراسه بإخراجه، فأين نحنُ منهم الآن على صعيد التجديد؟!

كنتُ أتابع منذ يومين برنامجاً في قناة (البي بي سي) البريطانية، وفيه كان أحد الرجال الذين لا يستقرُّ بهم صعيد إلا أن يظهرُوا بالجديدِ قد أعياه التفكير في الجديد، وهو في حوض السباحة، حتى صرخ كما فعل أرخميدس: «وجدتها» قائلاً: سأعبرُ القناة بين إنجلترا وفرنسا فوق حوض سباحة Swimming Bath، ثم كبرت الفكرة في رأسه، واتصل بمئات الشركات من أجل الحصول على التأمين بعد أن سجّل حوض السباحة في الهيئة المسؤولة عن تسجيل القوارب والسفن بصفة قارب.

وأخيراً وجد الشركة التي تأمنه بخمسة ملايين جنيه إسترليني، فعبر القناة في تسع ساعات، وجمع لصالح إحدى الجمعيات الخيرية مبلغ عشرين ألف جنيه إسترليني، وليست المسألة هنا تنحصرُ في عبور قناة بالتجديف على حوض السباحة وإنما في جديد الفكرة وفي مقصدها النبيل المساهمة لعمل خيري.

في مجتمعاتنا أناسٌ تعيشُ وتموتُ كالظلال، تفضّل سكونية الحياة وخودها وخلائها من الحركة، فلا تجدُ في القرى أناسٌ يجتمع لتفكر في عمل جديد، ولا ترى في أحياء المدن من يستثمر طاقات البشر في عمل جديد، ولا تجدُ في المجالس أو المقاهي الجديد الذي يتحدث عنه الناس بل هو اجترارٌ لقديم متداول، حتى الرسائل الإلكترونية التي يتداولها أغلبنا مرّت علينا، وتعبنا من الإطلاع عليها، ومسحها، وإعادة قراءتها حتى حفظنا بعضها، ولا تجدُ في المكاتب ما يتحدث فيه المدراء مع موظفيهم عن الجديد الذي ينتشَل العمل من روتينية الإيقاع ويروقراطية الأسلوب إلى عالم الابتكار والتحديث إنما شمس الكثيرين منّا يجري عليها وصف شاعرنا أبو مسلم البهلاني:

إذا أرسلت شمسٌ شعاعاً من الهدى

دعاها فلبت للخمود صعيدُ

## أكلُ مراد الموت أن نهارنا

قصيرٌ وليلُ الراحلين مديدٌ

وأناسٌ لا يجبّذون الجديد، يطلّون برؤوسهم الرقطاء بين فينة وأخرى منتقدين الجديد المبكر، يريدون أن يبقى البشر متعلقين في ذكريات الماضي وأشواق الماضي، وربوع الماضي، غير متطلعين إلى الجديد أو متلهفين إلى صعيد، فالأجدر بهؤلاء أن يقولوا خيراً أو يصمتوا، أن يجددوا عقولهم أو لا يعرقلوا الآخرين. التجديدُ سمةُ الحضارة والابتكار عجلتها، وعقل الإنسان الذي يضجُّ بالحياة هو آلة هذه الحضارة.

إنني لأرثي حياةً ساكنةً، خامدة، يمضي أصحابها من الحياة دون أن يثيروا انتباه أحد، دون أن يتركوا بصمةً، دون أن يبقوا أثراً، يقول (روبن شارما) في كتابه (دليل العظمة):

«إن أفضل الناس ليسوا أكثر موهبة من بقيتهم، كل ما هنالك أنهم في كل يوم قد اتخذوا خطوات صغيرة تقربهم من الحياة التي يريدونها لأنفسهم وتتوالى الأيام، مكونة أسابيع، وتنساب الأسابيع مكونة أشهراً، وبدوت أن يشعروا، يصلون إلى المكانة التي نطلق عليها مكانة فذة وممتازة»

## اطرح قناعك البالي بعيداً:

إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم  
بالتحلم .  
ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق  
الشر يوقه .

لا يريدُ بعضُ النَّاسِ خلعَ الجلبابِ  
الذي ورثوه عن آبائهم، أو الترحيح  
قيد أنملةٍ عن مسلكِ حياتهم، لا  
يريدون أن يغيروا قناعاتهم مهما التفَّ  
الأقربون النَّاصحون حولهم وأهالوا  
لهم النصيحةَ، وساقوا لهم الأمثالَ،

بل أن ذلك لا يزيدهم إلاّ تمسكاً بأفكارهم، وتثبيتاً بقناعاتهم، وهو لعمرى تعطيل  
للعقل، وتهميش للفكر، وظلم للنفس، فالإنسانُ العاقلُ يزنُ النصيحةَ، ويفكرُ فيما  
يُطلعُ عليه من معائبٍ فيأخذها مأخذَ الجدِّ، ويجعله في منزلةِ الإحتكام، أمّا الإنسانُ  
الذي تحكمه العصبيةُ فإنه يصدُّ النصيحةَ صدّاً بما أوتي من سبيل فلا يتسللُ إلى عقله  
حرفٌ من حروفها، ولا يسمحُ لنفسه التفكيرَ فيها، وإنما يواجهها بالهجوم المتواصل،  
بل واتهام الآخر على أنه يريدُ النيلَ منه وتسفيه منزلته، يتشبثون بقناعاتٍ زائفةٍ  
يظنون أنها سماتُ الحقِّ، فلا بطلانَ فيها، ويتمسكون بسلوكياتٍ يرون أنها طرقُ  
المثالِ فلا يغشاها الخطأُ وهم في ذلك مخطئون، يكرسون الخطأَ بعصبيّتهم لآرائهم،  
وتلك مصيبةٌ يضيفونها لأنفسهم ويظلمونها بها، فهم نقيض الداعي بالرحمة على  
من أهدى إليه العيب بقوله: «رحم الله إمرأاً أهدى إليّ عيوبي».

لقد شهدتُ نماذجَ من هؤلاء، فمنهم من يظنُّ أن رأيه هو الصائبُ ورأي غيره  
الخطأُ، ثم ينزّه نفسه عن خطأ المسلك، وضعف التفكير، في حين أن القاعدة هي ما  
رسمها الإمام محمد عبده بقوله الحكيم: «رأيي صوابٌ يمتل الخطأُ، ورأي غيري  
خطأٌ يمتل الصوابُ» أمّا صاحبنا فتمسكُ برأيه مهما اجتمعت حوله الآراء التي  
تقنعه بالخطأ، وتسوقُ له البراهينَ تلو البراهينَ لذلك وهو مكابرٌ، عنيد لا يتزحزحُ

عن قمة اعتقاده،

ومن هؤلاء نماذج الأب المرتدي عباءة الرأي المتحجر أو الزوج الحامل للفكر المتسلط أو الابن المغتر برأيه المكابر، هذا النموذج من الناس إما أنه يعاني في الأصل من خلل في الشخصية وعقدة نقص في تركيبها النفسية إثر حالة ما في فترة من حياته ثم حين تواتيه الفرصة لممارسة السلطة يحاول ردم فجوة النقص في نفسيته بتخطئة الآخرين الذين يمارس عليهم سلطته، وجلدهم بما كان يُجلد به من سياط الكلام، وإما أن يكون قد حملهُ الغرور لشعورٍ بالنقص لعدم إمتلاك ميزة أو صفة ثم يحاول التعويض عنها بالتحكم في مصائر الخلق الذين كُتب عليهم أن يكونوا في حماه، ويأتمروا بأمره، وكلا الإنسانين يمارس إستعباد الخلق، وسيدنا الفاروق يقول: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»

ومنهم من يرى أن عدم النقص المادي الذي يمدّه لأهله (زوجته وأبنائه) هو غاية الرضا، وكمال الواجب، متجاهلاً أن هناك ما هو أسمى وأغلى من المادة ألا وهو الحب الذي يجب أن يبثه أنساماً باردةً في قلوب زوجته وأبنائه وأهله، يتغاضى عن الحب، ثم يحاسب الآخرين على تقصيرهم في حبه فكيف لفاقد الشيء أن يُعطيه؟! وهل يمكن أن يُبادل إنسان بالحب وهو يعيش متمناً على من يعيلهم بالفضل الذي يقدّمه عليهم؟! أين الحكمة إذاً من عقله.. أين هو من المنطق؟!

لقد خسر هذا الصنف من الناس علاقاته بالآخرين من حيث ظن أنها حريّة رأي، واستقلالية سلوك، خسر العلاقات الإنسانية لأنه بناها على أساس من الهيكل السلطوي كما يحدث في المنظّمات ذات العلاقات العمودية التي لا ترتبط بعلاقات أفقية تتوسع فيها الإتصالات وتذوب فيها الحواجز، وإنما تنحون نحو الصبغة التوجيهية، الأمرة، خسرها لأنه لم ينظر للجانب الآخر من حياة الناس، حياة الشعور، ورقّة الأحاسيس، فعاشوا معزولين في بيوتهم وهم بين أهلهم، ومشوا على أرصفة المجتمع وهم في وسطه، هذا لأنهم آثروا التوقع في جب أفكارهم، ومحيط

قناعاتهم التي لم تغير فيها تجارب الحياة شيئاً، ولم تبدل فيها المعارف حالاً. مراجعة القناعات أساس المنطق، وركيزة التعاطي مع شؤون الناس والحياة فكما يقال: «لا شيء ثابت سوى التغيير».

ويقول الراحل الشيخ عبدالله العلايلي: «ليس محافظة التقليد مع الخطأ، وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة»، ولهذا فقد خسر هذا النوع من الناس الكثير بتشبههم بأرائهم، وتسفيههم لآراء الآخرين.

إن رقي الإنسان يتحتم عليه أن يقدر آراء الآخرين، ويثمن معنى العلاقات معهم، ويجعل للآخرين المرتبطين بمصيرهم منزلةً في اتخاذ القرار، والمشورة، والرؤية لأن يحملهم على رأيه، ويدفعهم إلى الإيمان بقراره، ويفرض عليهم قناعاته البالية، فإذا هم خالفوه ذكرهم بفضله المادي عليهم.



## التسامح... تقدم

لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا.

حديث شريف  
سنن الترمذي

هل في الحياةِ متسعٌ للكراهيةِ؟ أو هل في القلوبِ محلٌ رحيبٌ ضلّت المحبّةُ طريقها إليها فشغلته دواعي الضغينةِ وأسبابُ البغضِ؟

يبدو أن الكثير من طفيليات القلوب تعيش على بغض الآخرين، فهي لاهثةٌ متلهفةٌ لصنع التّوافه من الأسباب كي تكره، حتى لتصبح على شفا حفرةٍ من الكره للآخرين.

إنّك لتحترزُ في الكلامِ كي لا تنزل فتؤخذ على جريرة الخطأ القاتل، وتُتمتّ على زلل اللسان، وتبغض على فرط اللفظ، وتؤخذ على جرم القول غير المقصود.

فكيف بك تحيا إذن، وكيف بك تُقيم العلاقات مع النَّاس وهم ينتظرون منك الهفوات، ويطردون بك الأخطاء، ويقلبون ألفاظك، أو أفعالك رأساً على عقب، ويسّرون حديثك إلى المقاصد التي شعروا بها لا التي عنيت أن تبلغها، ويعكسون وصاياك إلى مذمةٍ قادحةٍ لهم.. كيف بك تحيا مع هؤلاء النَّاس وأنت تتحرز أن يفهموا هذا اللفظ أو ذاك على هذه الشاكلة أو تلك؟! إنك كالجالس على طرف السفينة يحاذر أن يخطأ فيقع منها.

تقول القول السليم من وجهة نظرك ثم سرعان ما يفجأك أحدهم وقد طوي الحديث وشغل النفس شاغل آخر ليقول لك بأنك قصدته في الحديث وأنت بعيد كل البعد عن مقصده، وأنت ذمته في قولك وأنت تعني أموراً أخرى ولم يخطر ببالك حينها أمره، ولربما لو جال أمره حينها فقد تناولته بشيء من التعميم وأنت تُسدي

النصيحة، وغطيت عليه بحيث لا يعرف المقصد من الكلام إلا صاحبه وهذه قاعدة دينية حميدة كيف وصل الحال بالناس إلياقتناص لحظات الكره، وكأنهم يصطادون سمكة ذهبية، غالية الأثمان، يقتنصون لحظات الكره في الوقت الذي أحرى بهم فيه أن يقتنصوا لحظات المحبة والصدقة التي تربطهم بالآخرين، بعد أن ندر المحبون المخلصون والأصدقاء الأوفياء، يقتنصون لحظات الضغينة بسرعة فائقة، ولأدنى سبب ولأتفه شأن، في الوقت الذي كان أجدر بهم فيه أن يضيفوا لبنات في صروح العلاقات القويّة الراسخة.

في هذا العصر الذي وهنت فيه العلاقات، وانطوى الناس فيه على شؤونهم الخاصة، وطغت الفردية على كثير من مصالحتهم، وهم مع شكواهم من هذا كله، ومع شعورهم به وتذمرهم منه يزيدوا بلبل الطين على أنفسهم.

لقد ضاقت قلوب كثير من الناس، وتزمتوا إلى حد الإفراط في حساسية الشعور، فخلت قلوبهم من التسامح الذي تتمتع به أحد الصحابة فقد كان مفتاحه إلى الجنة تسامح قلبه مع كل من أساء إليه أو أخطأ في حقّه ولهذا قدّمه النبي صلى الله عليه وسلم كرجل من أهل الجنة لا لكثرة عبادته ولكن لسماحة خاطره، وصفاء قلبه. يروي (دیل کارنجی) قصّة رجل أسود جاهد كي يعلم الناس، فملاً هذا الهدف حياته، وشغل أوقاته، حتى أنّ قلبه لم يكن ليتسع لشيء سوى هذا العمل الخيري الذي لا يعود عليه برّيع ماديّ وإنما برضى نفسي، وذات يوم ثارت نائرة البيض على السّود فاقْتيد إلى جبل المشنقة ووضع الجبل في رقبتّه، إلا أنّ أحد البيض طلب من جماعته أن يتركوا للرجل الأسود فرصة أخيرة للدفاع عن نفسه، فتحدّث الرجل الأسود عن مشروع حياته الذي نذر نفسه من أجله، مجاهداً عبر الوسائل المشروعة لتعليم الناس وأشهد بعضهم على أعماله السابقة، فدفعهم كلامه إلى إطلاق سراحه بل وتجميع مبالغ لإعانتة على مشروعه، وحين سأله أحد الناس فيما بعد: ألا تشعر بالكره نحو هؤلاء الناس الذين وضعوك على جبل المشنقة؟! ردّ عليه: لا وقت لديّ

للكراهية.. نعم.. لو شغل الناس حياتهم وهمومهم بأعمالٍ عظيمةٍ كعملِ هذا الرَّجلِ فلن يكون لديهم وقتٌ للكراهية، لو شغلوها بالأعمال الخيريَّة، أو غيرها من الأعمالِ المفيدة، الصالحةِ فلن يكون لديهم الوقتُ للكراهيةِ إذ لا يكرهُ إلاَّ الشاعرون بالتَّقصيرِ في قلوبهم، ولا يكرهُ إلاَّ صغارُ النفوسِ، ولا يحملُ الضغينةَ إلاَّ ضيقُ الصدرِ ذلك الذي ليس له في الحياةِ إلاَّ قلبٌ يكرهه، ليس له في الحياةِ أهدافاً عظيمةً ومشاريعَ هامةً يريد تحقيقها.

يقول أحد رؤساء الوزراء البريطانيين: «الحياةُ أقصرُ من نقصِّرها والكراهيةُ أحد أسباب تقصير الحياة».







## نقطة تحوّل

لا يمكنك عبور البحر عن طريق  
التحديق في الماء.

طاغور

التّجديدُ أهمُّ عنصرٍ من عناصرِ  
الشّعورِ بالحياة، فكيفَ لبركةٍ من الماءِ  
أن لا يأسنَ ماؤها إلاّ بتجدّد هذا الماءِ،  
وتبدّله بماءٍ آخر؟! هكذا هي حياةُ  
النّاس.

التّجديدُ يُضفي حياةً أخرى قد تختلفُ كليّةً على الحياةِ السّابقة.. حياةً قد تنفصلُ  
في شكلها ومضمونها عن حياةٍ سابقة، وما ذلك إلاّ لأن أصحابها وقفوا عند نقطةٍ  
تحوّلٍ، وقرّروا أن يغيّروا تاريخهم، بعد وصولهم إلى مرحلةٍ من المراحل، ولم يكونوا  
محتاجين سوى لتحليلٍ وضعهم، تحليلاً عقلياً، وحقّقوا التوازن الدقيق في أمورهم  
على شاكلة قول المتنبّي:

ووضع الندى في موضع السيفِ بالعلا

مضّرّ كوضع السيفِ في موضع الندى

أمّا من ارتضى سكونيّة الحياة، وهمود الرّوتين اليوميّ الرّتيب، وجريان الأحداثِ في  
مسارٍ لا يتغيّر ولا يتبدّل فذلك إنسانٌ راكدٌ العقل، آسنُ الفكر، ميّتُ النفس، حاملُ  
الجسدِ، مهزومُ القرارِ، لا يعيش إلاّ ليأكل، يقوده جسده في كلّ مكانٍ لأنّ الجسدَ قد  
تعوّد الطّرق ذاتها، ولا يتحرّك دماغه، فهو لا يستفزّه بأسئلة، ولا يوقفه عند قرارات  
حازمة، صارمة.

سألْتُ أحدَ الشّبابِ وقد كنتُ أعهدُهُ في مرحلةٍ مبكّرة من التعليم صبيّاً مجتهداً  
مثابراً، سألتُهُ وهو يعملُ في وظيفةٍ زهيدة، متواضعة، وكنتُ أشهدُ عمله في شركةٍ  
كبرى وقضى ردحاً من الزّمن فيها مثابراً ثمّ حينما ابتعثَ إلى الخارجِ صوّغت له  
نفسه أن يترك الأهداف الكبرى إلى أهدافٍ دُنيا، وغاصَ فيها، حتى وجدَ نفسه وقد

أعيدَ بعد أن أقيل.. وهاهو يعملُ في وظيفةٍ ممّلة، سألته: هل لديك فكرةٌ لنتقل إلى عملٍ آخر؟ لكنَّ إجابتهُ أبانت عن نفسه الخاملة، الهامدة، قال: أنا راضٍ بالوضع، فنحنُ بطبعتنا كسالى نحبُّ الإجازات، وهذا العملُ يمنحني الإجازات الكافية.

لقد حكم على نفسه إذنً بالتفوقِ في دائرةٍ يوميةٍ مكرورة، لا جديدَ يثيرُ فيها حسّاً، ولا لونَ يضيفُ إليها بعداً وعلى النقيضِ من هذا أخبرني صديقٌ بأنّه وصلَ إلى مرحلةٍ ما ف شعرَ بأنّه لم يعد لديه ما يضيفه لعمله أو لحياته، فقرّر أن يواصلَ دراسته كي يغيّرَ وضع مساره اليوميّ، وطبيعة عمله، وهاهو الآن يتبوّء مكانةً مرموقةً بسببِ هذا القرار.

وكتبَ إليّ صديقٌ إنجليزي رداً على رسالتي التي أسْتفسرُ فيها عن أخباره بعد أن كنتُ أعيشُ معه منذ أكثر من ثمانية عشرَ عاماً، قال: لقد قرّرت أن أغيّرَ حياتي بتغيير مهنتي، فقد كنتُ أعملُ في مستشفى لذوي الإعاقات، عدتُ إلى الجامعة ودرستُ نظم المعلومات وأخذتُ العديد من الدورات، وأنا الآن أترأسُ فريقاً وأؤلفُ كتاباً حول الحاسب الآلي.

فرقٌ بين هذينِ وذاك.. ذاك يحبُّ عملاً فيه إجازات ويدعو ربّه «اللهم لا تغيّر عليّ عملي حتى لا أصابُ بصدمةٍ عصبية»، وهؤلاء الذين وقفوا عند نقطةٍ تحوّلٍ وقرروا أن تتغيّر حياتهم عندها وعلى ذاتِ الشاكلةِ أناسٌ يستهويهم التكرار، والمضيّ على ذاتِ النسقِ ليلَ نهار، وهؤلاء كالقائلون

«إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ»<sup>(١)</sup>، فحياتهم رتمٌ واحد، دورةٌ مكرورة، لا يفكّرون في تغييرها لا يسألون أنفسهم لم يسلكون ذاتِ الطرقِ يومياً، ولم لا يغيّرون، لا يفكّرون في طريقة إنجاز أعمالهم لم لا يغيّرون من من عاداتهم التي اعتقدوا أنّها هي الصواب، وترسخ هذا الاعتقادُ في أنفسهم، ومضوا عليه، دون تفكيرٍ؟

لم لا يغيّرون من هيئاتهم، إذ كيف سيظهرون لو أنّهم غيروا في ملبسهم غير متجاوزين للأعراف الإجتماعية فكم من ملبس هو أجدى وأستر من ملبسٍ آخر، لكنّهم يرفضونه بحجّة أنّ سلفهم كان يلبسه، لكنّ السلف كانت له ظروفه الإجتماعية والإقتصادية والعملية، وهم لهم ظروفهم المختلفة، فلم لا يفكرون؟ أناس لا تزال منذ أن أدركت الرّشد تمضي إلى خيّاطين وحلّاقين معيّنين.. ماذا لو غيّرنا؟!!

يترددون إلى ذات الأماكن يزورون الوجوه نفسها، يردّدون العبارات، يمارسون الأنشطة اليوميّة نفسها يؤدّون الأعمال نفسها، الهوايات نفسها.. ماذا لو بدلّوا؟ أناس يقضون الصلاة كما تعلموها من آبائهم، فماذا يضيرهم لو بحثوا، وغيّروا بعض العبارات التي هي أجدى من بعض، أو أضافوا أدعيةً، أو أحلّوها مكان أدعية؟!!

أناس تلبّثوا بفتوى معيّنة في معاملات الحياة، وسلوكيات الإنسان وليس في العقيدة ومضوا عليها وتغيّرت الحياة، وتبدّلت ظروفها وهم متمسّكون، ولربّما صاحب الفتوى ذاته قد تراجع عنها، وبدّلها وهم لا يعلمون لأنّهم لا يريدون أن يعلموا الجديد نعم.. ليس المعنى هنا أن الفتوى تصاحب بالضرورة التطوّر فالثوابت لا جدل فيها، ولكنني أقصد أن يطلّع الإنسان على الأمور لتتضح أمامه، فلا يحلّ محرّماً، ولا يحرم حلالاً بحجّة عدم التغيير.

إن نقطة التحوّل وحدها مفصلّ التجديد في حياة الإنسان، وهي ليست بالضرورة نقطة تحوّل مفصليّ كبير، بل قد تكون نقطة تحوّل بسيطة لكن أن تملأ نقاط التحوّل المعاش اليومي في أشياء صغيرة، فمن شأن ذلك أن يبعد ما يسمى (الملل) ويترد الإكتئاب فما مشاكل الإنكفاء وانحسار الإبداع، ونضوب التفكير إلاّ نتائج للروتين المكرور.

كتب (هنري ديفيد ثورو): «إن ألف ضربة لقطع أغصان شجرة الشرّ تعادل ضربة واحدة لقطع جذورها»، وهذا لا يتم إلاّ بنقطة تحوّل جادة، تبرهن على قدرة الذات

على إحداث التغيير على منهج قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ»<sup>(١)</sup>

والناس تشتكي من سرعة تقادم الأيام، ومرور السنين لأنهم يعيشون الروتين اليومي الإعتيادي الذي لا جديد فيه، أمّا لو صاحبه التغيير المستمر، ولازمه التجديد الدائب فلن يشعروا بذلك وحين يذهب المرء إلى مكانٍ ما لأول مرّة فإنه يجد المسافة بعيدةً والزمن بطيءً، أمّا حين يعود للمسافة قصيرةً، والزمن سريع.. فكيف ذلك؟

في الحقيقة لا المسافة ولا الزمن قد تقلّصا وإنما السبب وراء ذلك، أن في الذهابِ تغيير، واكتشافٍ جديد، أما في العودة فلا جديد في المسافة والأمكنة عندها يمضي الزمن سريعاً والمسافة تتقلّص وهذه كلّها معالجات عقلية ليس إلاّ.

إن أغلب الناس لو طرحوا عنهم الروتين اليومي الممّص (المرهق، الصعب)، لو سألوا أنفسهم لم أفعل ما أفعله منذ سنوات، لم أتمسك بهذه العادة ولا أغيرها لم هذا اللبس دون سواه، لم هذا الرأي دون غيره، لم هذا الصديق دون آخر، لم هذا الطريق دون بديله، لم هذه الهیئة دون غيرها؟ لو سألوا أنفسهم لوجدوا إجابات قد تعزز ممارساتهم، أو تغيرها، إنّما الهدف من وراء ذلك هو السؤال الدائم الذي يقف وراء نقطة تحوّل. يروي (ستيفن كوفي) نصيحة والدٍ لولده بقوله: «أي بني، لا تعيش حياةً كالتي عشتها، إنني لم أفعل الشيء الصحيح تجاه والدتك، ولم أحدث تغييراً حقيقياً، أي بني عدني بأنك لن تعيش حياة كالحياة التي عشتها.. فكم من آباء لدينا يقولون لأولادهم: «نريدكم أن تكونوا مثلنا» ولا يقولون لهم: «نريدكم أن تعيشوا حياةً أفضل منّا».

في نقطة تحوّل تتغير فيها شؤون، أمورٌ تجدد من حياة الإنسان، وخيراً له أن تكون «نقطة التحوّل» هذه إيجابية وليست سلبية، الفرق هنا، أن التحوّل الإيجابي يقوده

العقلُ والعاطفة، أمّا السلبي فتقودهُ العاطفةُ والشهوةُ الإنسانية التي لا يحكمها عقلٌ، ولا يقودها فكرٌ، فلا ينتظرُ الإنسانُ الأزمات والعقد والمصائب كي تُملي عليه نقطة تحوُّله بل أن يبادر هو بالتغيير فليس «هناك أقوى من فكرةٍ قد آن أوانها» كما يقول فيكتور هيغو.



## مراجعات:

كل ما يستحق أن نفعله، علينا فعله الآن.

Ralph Stayer

إدراك الخطأ وتلافيه من شيم الإنسان النبیه الحصيف، ذلك الذي تكشفت له الأمور، وتوضحت له الأسباب فلم تأخذه العزّة بالإثم.

لكن لا يجب الوقوف عند حدود

الكشف والإدراك بل إن المراجعة هي خطوة تالية يجب القُدوم عليها كضرورة لازمة من أجل التغيير. إن المراجعات من شأن الإنسان المتجدد ذلك الذي لا يرتضي للجمود ديدناً، ولا للرتابة عادة.

ذلك الإنسان المفتوح على الإحتمالات وليس المنغلق على المسلمات عدا تلك التي تؤسس إيمانه بالله وتوثق صلته بخالقه، إن من يؤمن بضرورة المراجعات في شؤون حياته، وفي مناهج تفكيره، وفي طرق سلوكه هو الإنسان المتفتح الذي يستحق الإحترام، هو الإنسان الذي ينظر إليه على أنه رجل المواقف حيث لا تزمت ولا مغالاة ولا إفراط ولا إضرار ولا عناد، ذلك الذي يتبنى في موقفه مقولة هيرقليطس: «لا شيء دائم سوى التغيير»

الإنسان الذي يقبل مراجعة أفكاره وسلوكياته هو إنسان نبيل صادق النية للتغيير، أما ذلك الذي يتشبث ببعض الأفكار ويراهها مسلمات لا جدال فيها فهو جامد الفكر، خامد النفس.

لا نتحدث قط عن أمور العقيدة فتلك محسومة الأمر قال تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>

إنما الحديث عن بعض ما يتبعه الإنسان واهماً فيمضي عمره في اتباع سراب، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) ﴿١﴾.

ليس عيباً المراجعة، وليس عيباً الاعتراف بالخطأ إنما العيب الرضى بالجمود، والقبول بالإنغلاق.

يقول المفكر الراحل عبدالله العلايلي: «ليس محافظة التقليد مع الخطأ وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة».

العيب أن لا يرتضي الإنسان المراجعة حين تتكشف له حقائق، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤) ﴿٢﴾.

والضرر أن يستمر الإنسان الخطأ مع مكابرتة، وعناده، وصلفه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (٣).

إن من يتقبل المراجعة، بغية الإصلاح هو الإنسان الحكيم الذي متعه الله بالحلم، وسعة الصدر، وبعد النظر إلى جانب حكمته، ورجاحة عقله، ولهذا يعمد إلى الطرق الوسطى السليمة التي تمكن له معالجة الأمر وفق قاعدة «لا ضرر ولا ضرار».

وفي هذا يروى عن سيدنا عمر بن الخطاب أنه كان يعسُّ ليلةً فمرَّ بدارٍ سمع فيها صوتاً فارتاب و تسوّر فرأى رجلاً عند امرأة وزق خمر فقال: «يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين! إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت أنت في ثلاث: قال الله تعالى: ولا تجسسوا وقد تجسسست، وقال: وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت، وقال: إذا دخلتم بيوتاً فسلموا وما سلمت، فقال سيدنا عمر: هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، والله لا أعود،

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

فقال: إذهب فقد عفوت عنك»<sup>(١)</sup>.

إنما مصيبةُ بعض الناسِ أنهم لا يقبلون مراجعة أنفسهم، والتفكير فيما هم يعتقدونه جازمين أو يتبنونه من مذهبٍ مسلمين أو ينهجونه من مسلكٍ راضين.

المراجعة لا تعني بالضرورة التغيير فقد تحتملُ زيادة اليقين أو التغيير في الإتجاه، من مّا لم يمرّ بمراحل كان يتبنى فيها بعض المواقف والآراء التي كانت في اعتقاده حينها لا تقبلُ التشكيك أو الجدل أو الطعن لكننا نراها اليومَ برؤيةٍ أُخرى تختلفُ مظهرًا وجوهرًا، بل نكادُ أن نسأل أنفسنا مستنكرين، أو كُنّا نحن بالفعل من يعتقد أو يتبنى ذلك؟!!

قال جبران خليل جبران:

أراجع نفسي هل أنا ذلك الذي

عهدت بأمسي أم أنا رجل ثان

يقول صديق: حدثت خصومةً بيني وبين أحد الأقباء، فبعث لي: أنه يريد أن يزورني لينهي القطيعة، فرحبتُ بذلك إلا أنّني اشترطتُ أن أراجعَ معه أسباب الخصام لأنني لم أعرف سبباً له وذلك من منطلق اعتقادي بأن معرفتي للسبب سيجنبني فعله في المستقبل، لكن الطرف الآخر أبى ذلك مشروطاً بعدم رغبته في فتح صفحة الماضي، حتى أقتنع على مدى الأيام بضرورة ذلك فراجعنا الأسباب ووجدناها من التوافه.

إن المراجعات في تاريخ الأمم والشعوب هي مما تحتملُ مراحل العصر وتغييراته، وهذه سنة الحياة، فالإستقرار الذي تتمناه المجتمعات ليس استقراراً بمعنى السكون والجمود وإنما الطمئينة والسلام والأمان، ولعلّ من أعظم أدوات إدارة المؤسسات في هذا العصر هي (التغذية الراجعة Feedback) فهذه من أهم العوامل التي تتيح للمؤسسة الوضع الذي تسيرُ عليه، وهذه الأداة تستلزمُ النقدَ الصريح الأمين الذي

يحلّل الوضع وفق رؤية متمكّنة، هذه التغذية الراجعة هي التي اتخذها الإسلام شعاراً منذ أن تولى أوّل خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال سيدنا أبو بكر الصديق: «أما بعد، أيها الناس فإنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني».

إن الإعانة هنا رد فعل للإحسان، والتقويم رد فعل للخطأ وكلا الأمرين تغذية راجعة وهذا بالفعل ما يحدث في المؤسسات والشركات الكبرى في العالم تلك التي تطبق الإستراتيجيات والخطط ثم تعتمد على التغذية الراجعة في الدّعم أو التعديل..!

ليس عيباً أن يراجع الإنسان مسلكه أو الدول سياستها إنّما العيب أن يتشبّث بالخطأ بحجة المحافظة على التقليد، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢) (١).

ليس عيباً المبادرة إلى الإصلاح حين تتوجّب الضرورة إنّما العيب المكابرة، فكم من بشرٍ يكابرون على الحق وهو واضح وضح الشمس في رابعة النهار، المراجعة تستلزم التغيير والتغيير لا بد أن يلمس على الواقع، وإلا ما فائدة مراجعة دون نتيجة، كما يقال: «نسمع جعجعة ولا نرى طحينا».

إن الإنسان صاحب المبدأ القويم، والخط الثابت هو ذلك المتعامل مع كلّ مرحلة بما تقتضيه من التفكير والتقرير والتدبير وهو على عكس إنسان يزوّق الكلام وينمّق العبارة، ويفخّم الخطاب فلا يرى الناس له فعلاً، ولا يتلمّسون لوعوده واقعاً، إن نقد الذات هو عاملٌ صحيٌّ للتقويم والإصلاح، فمن منّا لا يحتاج إلى نقد، ومن منّا الذي تنزه عن الخطأ، إنّما ليس نقداً ذلك الذي يجلد الذات أو يسمّت الآخر، ذلك النقد الذي لا يريد الإصلاح وإنّما يقصدُ تفرّغ شحنات الحقد وإثارة الفتنة والبغضاء.

النقد البناء نقدٌ معلّم يتّصف بالتوازن، والحكمة والنيّة الصادقة، وأدب البيان،

ورفعة اللسان عن اللغظ والهذيان، النقد الذي يتوسل المراجعة، وينشد التقويم ليس ذلك الحامل للسوط يجلدُ به، أو دناءة اللفظ يحقرُّ به، أو فضاضة القول يقرعُ به .

للمراجعة أصولٌ ومبادئ تبدأ من نقد الذات أو تذكرة الآخر ثم إجراء التغيير فالتطبيق ثم المراجعة فالتعديل فالتطبيق وهكذا تستمرُّ عجلة الحياة في تجددٍ دائمٍ وإن توقفت الحياة.

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدُهُ

إن سآحَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطبِ



## النظرة نحو المستقبل:

عبر قرون كان هناك رجال  
وضعوا خطواتهم الأولى في دروب  
جديدة، دون أن يكون لهم من  
عتادٍ سوى رؤيتهم.

**Ayn Rand**

إذا كان المستقبل هو الذي نخطو له  
فكثيراً ما نفكرُ فيه، وقليلاً ما نعمل  
له، إننا نكرّر الحكاية مرّاتٍ ومرّاتٍ،  
نفعل قدرتنا على التذكّر ولكن قدرتنا  
على الخيال شبه معطله، وفي هذا يقول  
(جورج هنري لويس George Henry  
Lewes): «لم يحقق أي إنسان إكتشافاً  
عظيماً دون أن يمارس الخيال».

كثيراً ما نعيدُ حكايات الصبا والطفولة وهي وإن كانت ذات علاقة عميقة لها  
وقعها اللطيف في أنفسنا إلا أننا أشبعناها طحناً وعجناً، وكلّ ما نتحدثُ عنه هو  
الماضي، نتوق لكل شيءٍ ماضٍ لأنّ له نكهةً حتى لو كانت مرّةً لأنه فعلٌ منجز، أمّا  
حين يأتي الكلامُ عن المستقبل فحديثنا عنه غائمٌ، مشوشٌ، عامٌ مشتّت بينما المستقبلُ  
هو الأرضُ التي سنضعُ فيها أقدامنا في اللحظات القادمة.

يحسبُ البعضُ دائماً أن المستقبلُ هو القادمُ البعيد يحسبونه هو السرابُ المرئي، لا  
يوقنُ به غير ظاميء، في الوقت الذي يعني فيه المستقبل الساعات القادمة إن لم نقل  
الثواني.

لقد أعجبتني فكرةُ أحد المعاهد اللوجستية البريطانية وهو معهد تشارترد للدعم  
اللوجستي والمواصلات The Chartered Institute of Logistics and Transport،  
ففي عام ٢٠٠٦ حان احتفاله بمرور ثمانين عاماً على إنشائه، ولكنّه هذه هي  
الخطوة المحقّزة للخيالِ أثرُ ألا يذكر إنجازات المعهد خلال ثمانين عاماً ماضية كما  
تفعل أغلب المؤسسات والناس وإنما أن ينظر إلى ثمانين عاماً قادمة فأصدر تقريراً

بعنوانٍ مثير هو «العودة إلى المستقبل (Back to the Future)» وقد كانت فكرةً رائعة أن يفكر في المستقبل بالنّظر بصورة فوقيّة من عام ٢٠٨٦ إلى ثمانين عاماً مرّت وهي لم تمر بعد.

نعم.. التنبؤ صعبٌ جداً وخاصّة عندما يكون حول المستقبل كما يقول (يوجي بير)، ولكننا أفرطنا إذ تركنا الحبل على الغارب، فأسلمنا قيادنا لقول الشاعر: «دع الأيام تفعل ما تشاء»، وهو إذا كان يفصح عن مقصده في عجز البيت حين يقول: «وطب نفساً إذا حكم القضاء» فإننا اتبعنا الأول أكثر من إتباعنا للثاني.

انظر للحكايات التي تلوّكها مسلسلاتنا التلفزيونية والإذاعيّة حين تدور حول محور واحد، قضايا لا تخرج من إطار الماضي، قصّة تلو أخرى، قصص مغلقة لا تشرع أبوابها نحو المستقبل، واسمعنا حين نتحدث فإننا نقلّب الماضي تقليباً مملأً.

أجل نقرُّ بأن الماضي هو منبعٌ للكثير من الحكايات، فهو مطويات التجارب، وسلسلة الأحداث ومخزن الصور، ولكن ما فائدة الماضي إن لم يكن مُلهماً؟

يقول المسرحي سعد الله ونّوس: «ما فائدة التاريخ إن لم يسمح لنا بالتنبؤ» نعم.. ما فائدته إن لم يفتح للعقل أبواب الخيال الماضي قاعدة، الماضي تجارب استدلالية يمكنها أن تؤسس لقادم آت، لأن طبيعة الإنسانها تغيّرت العصور، وأنماط وسلوكيات المعيشة تظلّ محافظةً على طبائعها الجوهرية وإن تغيّرت بعض النظرات والآراء والتوجهات، منذ أكثر من ثلاثة قرون كتب (إسحاق نيوتن): «أبدو لنفسي كما لو أنني صبي يلعب على شاطئ البحر، تلفت إبتاهي من فينة إلى أخرى حصة أنعم أو صدفية أجهل بينما يمتد محيط الحقيقة أمامي ناظريّ دون اكتشاف» ذاك كان في عصر قصي، لا تتوفر فيه وسائل المعرفة الحديثة كمثّل هذا العصر، ولكن بالرغم من توفرها في مجتمعاتنا العصريّة فإننا نفتقد إلى الروح التي تتوقّد حماساً إلى صنع جديد، أو إبتكار حديث..

ولذلك نترك التفكير في المستقبل جانباً، والمستقبل كما يقول جلالة السلطان المعظم:

«هو الذي ينبغي أن يكون مدار تفكيرنا وتخطيطنا».

إن العيش في الماضي هو ما يعرقل حركة المجتمعات، ويثبط تقدّم الأفراد، وبلادة العقول، وفي ذلك يقول (ديل كارنيجي): «إن العيش في الماضي من أهم أسباب الشيخوخة المبكرة» فالشيخوخة هنا ليست مقرونةً بهرم الجسد وإنما ببلادة العقل، وسكونية التفكير، وجمودية الهمم، ولذلك أقول في موضوع اختارته وزارة التربية والتعليم ليكون ضمن كتاب المؤنس المقرر للشهادة العامة بعنوان (صناعة المستقبل) لا يمكن للمرء أن يفكر في المستقبل أو يرنو إليه وهو محاصر في فكرة جامدة، أو طاقة معطّلة، أو رؤية مبتسرة، لا يمكنه أن ينتظر كي ينطلق نحو فضاءات المستقبل لمسة الفضل الإلهي كي تحيل سكونيته البليدة إلى التفاتات سماوية تغير التاريخ دون أن يغير من نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

من منا الذي يمضي يومه، أسبوعه، شهره، عامه، وفق مخطط مستقبلي واضح الأهداف، مخطط ليس مبني على الرغبات فحسب وإنما على الإمكانيات والوسائل التي يمكن الحصول عليها؟!

نعم.. هو تحدّد ولكنها ليست مهمّة مستحيلة في الوقت ذاته، وذلك لو استطعنا توظيف الأوقات المهذورة من أعمارنا، واستثمرناها في هذا التخطيط بدلاً من هدرها بلا طائل.

هل نفتقد إلى الحماس، أم للطريقة إننا كلّما افتتحنا مشروعاً من المشروعات، أو احتفلنا نظرنا إلى الماضي في كلماتنا، وسطرنا الإنجازات التي مرّت والتي أتينا على ذكرها مرّاتٍ ومرّاتٍ، فلماذا لا يكون للماضي ثلثاً لإرضاء أنفسنا والمستقبل الثلثين في كلامنا؟!

لقد تقدّمت الأمم لأن أفرادها يفكرون في المستقبل بجديّة عمليّة، ولذلك أنتج تفكيرهم العمل من أجل تحقيق الأهداف التي خطّوا لها بينما يسكننا نحو صوت

شاعرنا الجاهلي وهو ننوحُ على الأطلال، أقول إن لم نتحرّر من النوح على الأطلال، واسترجاع الماضي مرّة بعد مرّة فإننا لن نتقدم، كما إن الإنسان إذا ظلّ يدور حول ماضيه دائماً وأبداً، فلا جديد في قوله، ولا حديث في فعله، ولا جدّة في طرحه ولا مبتكر في فكره، ولا مُبهر في أسلوبه فإنّه إنسانٌ منتهٍ، خرج من دائرة الحياة اليوميّة المعاصرة، فالتجديدُ في الفكر، ومتابعةُ ما يحدث من حولنا، ومراقبة تغيّرات الطبيعة، وأحوالِ الإقتصاد، وتبدّلات السياسة وطروحات العلم، وسلوكيات البشر، وفرص المعيشة، هي المرتكزات التي يبني عليها الإنسان تخطيطه، ويضع عليها تصوّراته للمستقبل والمستقبل هو الساعة المقبلة، اليوم/ الشهر/ العام/ الأعوام القادمة، وهذا الكلام لا ينطبقُ إلا على إنسانٍ حيٍّ، يريدُ أن يكونَ لعيشه معنى، ولحياته قيمة، ولإسمه أثر.. أمّا ذلك الذي يحبُّ العيشَ في دُجن الظلام، وأرصفتِ الهوامش، وصناديق النسيان فهو يعيش لكي يأكل، لا يأكل لكي يعيش، وهو ينامُ لكي يحلم، لا يحلمُ لكي ينام وهو يجمعُ الأصداف والحصى لكنّ نظره قاصرٌ عن النّظرِ إلى محيط الحقيقة الذي امتدَّ أمامه كما رآه نيوتن، يجمعها ليصوّبها نحو البحر ثانيةً لأنّه ساخطٌ على كلِّ شيءٍ، منهزمٌ من كلِّ شيءٍ، ولعمري ما عاش ولا بقى إنسانٌ ساخطٌ، منهزمٌ على ظهر هذه الأرض، إنّما العيشُ لمن جعل المستقبل منارته، فحفّز لها خياله وأعمل لها فكره، فهو مستمتعٌ بكل لحظةٍ يحيها لأنّها من نتاج فكره، وليست من فتات الآخرين.





## تغيير القناعات:

كل عمل جديرٌ بالقضاءِ هذا  
أوانه.

**Ralph Stayer**

تنقضي أعمارُ بعض الناس وهم  
متشبثون بقناعاتٍ معيّنة، تحوّلت في  
نظرهم إلى ما أسموه مبدأً إنّما قد  
يكونُ هذا المبدأُ ليس ضمنَ السياق  
الإجتماعي الملتزم بالأعرافِ والتقاليدِ،

أوليس ضمن الخلق الديني الذي نشأ عليه المجتمع، قد يكونُ إذن مساراً شخصياً  
متفرداً وغريباً، وحتى لا يفهم هذا الكلامُ لغير مقصده، أقول: لا ضيرَ أن يكونَ  
لكلِّ إنسانٍ سيرةٌ متفردةٌ، ومواقفٌ متميّزةٌ، وسلوكياتٌ تطبعَ شخصيته بطابع  
الخصوصيّة، هذا أمرٌ حسن، بل أن حكمةَ خلقه أن يكونَ مستقلاً يقول تعالى:  
﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (١).

لكننا نتحدّثُ عن مراجعةِ هذه القناعاتِ التي قد تكون ترسّخت في العقلِ  
وتراكت في الضميرِ بفعل فاعلٍ في زمنِ الطفولةِ غير الواعية، وبالتالي نشأت  
نفسه على هذه القناعة وهي قناعةٌ تستغربها من أناسٍ ربما قد عهدت فيهم الرشد  
ورجاحة العقل، فتبهرك سلوكياتهم في أمرٍ ما، فتراه غير منسجم مع شخصياتهم،  
ولربما لو كشفت عن صدورهم لقالوا لك أنّها ليست قناعة وإنّما مجردُ أهواءٍ أو  
رغباتٍ، لكن دوامهم عليها، وإصرارهم على تكرارها يجعلك تصفها بـ «القناعة  
الشخصية»، وقد لا تستغربها من آخرين لأنّها تنسجم مع السلوك العام في حياتهم  
إنّما تستهجنها في نفسك ولا تجد لها مبرراً سوى غياب الحكمة عنها تستغربُ مثلاً  
أن تجد بعض الناس يصرّون على معالجة الخطأ بالخطأ ويمضون على ذلك طوال  
حياتهم، وتستغربُ من آخرين إنكارَ الآخر وإقصاء رأيه، أو معالجة الزلّة من الآخر

بخصامٍ مستحكم الحلقاتِ لا يستطيعُ أحدٌ أن يفكَّ مغاليقها التي حشوهم غيضاً وضغينةً، أو فعلٍ سلوكٍ شاذٍّ لا يتناسقُ مع مسارهم العام أو أن هذا السلوك يسبب لهم وربما لآخرين أذىً نفسياً وجسدياً، أو لا يستنكفون عن الحماقة مهماً أدركوا أنها خرابٌ نفسيٌّ، ودمارٌ عاطفيٌّ لا يحقق لهم إحتراماً وتقديراً لدى الآخرين، أو يدعون المعرفة ويباهون الناس بعلومهم فلا يوقضهم ما أيقض لقي غلام أعرابي أبا العلاء المُعرِّي الشاعر..

فقال له: من الشيخ يكون؟ قال أبو العلاء: أنا أبو العلاء المُعرِّي شاعركم المعروف. فقال الغلام: أهلاً بالشاعر الفحل ذي القول الجزل والرأي الفضل، أنت القائل في شعرك:

إني وإن كنتُ الأخير زمانه

لأتِ بما لم تستطعه الأوائلُ

قال أبو العلاء: نعم أنا القائل ولا فخر، فقال الغلام: قولٌ طيب، وثقةٌ بالنفس واعتداد، ولكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً؟! فسكت أبو العلاء.. وقال: والله ما سكتُ في حياتي كمثل ذلك السكوت. ما فعله الغلام هو خلخلة الثقة المفرطة عن أبي العلاء، وتمزيق غشاء القناع السميك الذي أحاط به نفسه بأنه «الشاعر المعروف» القادر على الإتيان بما قصر عن إتيانه الأوائل.

إنما لا يزحزحُ قناعات بعض الناس مزحزح، لا إدراكهم الخطأ، ولا اعترافهم في دواخلهم بالعيب الذي يعانوه، ولا بما يسيرون عليه من نقصانٍ ملحوظٍ أو كبرياءٍ واضحٍ، أو خُلُقٍ شاذٍّ بئس، أو نصيحةٍ ثمينةٍ تُهدى إليهم، أو مُخرجاً يرمي لو خز وجه الحياء فيهم، يغلقون أسماعهم عن المثل القائل: «رحم الله امرأ عرف قدر نفسه»، ولو عرف المرء قدر نفسه لأنزلها المنزلة التي تستحقها، ولتلبس بالشخصية التي يجب أن يكونها، يقول المفكر الراحل عبدالله العلايلي في واحدة من شعاراته الجميلة: «ليس

محافظة التقليد مع الخطأ، وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة». إن مراجعة الإنسان لخصلة أو سلوك، أو فكرة أو مبدأ أو خلق أو رأي هو فضيلة، والفضيلة كما يعلم واقعة بين رذيلتين.

وهنا يأتي دور العقل الذي يجب أن تُطلق طاقاته في التفكير الذي يولّد قناعات ويرسخ أخرى ترسيخاً سليماً لا يرتكز على إرث السلف في جميع شأنه وإنما على إجتهد الخلف، التفكير وحده هو القادر على زحزحة القناعات المتلبّدة التي أحاطت العقل بفطرياتٍ دبقية لا يسهل إزاحتها إلا بالاجتهاد في المعرفة، والتخلي عن كبرياء النفس.



## بالأفعال تتحقق الإنجازات:

أنا معجب بسرعة الفعل، المعرفة ليست كافية، يجب أن نطبّق. القدرة غير كافية دون فعل. ليوناردو دافنشي

تتخدر العقول، وتعمى الأبصار، بخطابات مضلّة، أو بأحلام لا يُصاحبها في الواقع إنجاز، إمّا لأنها شطحات لا تمتُّ إلى الواقع المنظور بصلّةٍ أو لأنها مجرد أحلام لا تكلف الحالم إلاّ وقته فلا يبذل لها جهداً، ولا

يستهلك لها رفاً، وإذا كان الخيال الذي يكتنف الآتي أو القابل للحدوث ولو بعد زمنٍ أو المكتنف ما يُنظر إليه على أنه مستحيلٌ في اللحظة أقول إذا كان الخيال جميلاً، فإن بعض الخيال توهانٌ وتضليل إذا كان ضرباً من المستحيل، يقول إبراهيم ناجي: قد يكون الغيبُ حلواً

إنّما الحاضرُ أحلى

الحاضرُ أحلى لأنّه واقع، والمرءُ إن لم يكن واقعياً يغرّد خارج السرب ويهيم في البراري، وهذه معضلة كبيرة يواجهها بعض الناس الذين لا ينظرون إلى الواقع بعينٍ متفحّصة، ثاقبة، واعية بل إنهم ليسبحون في خيالاتهم الجالحة التي من الصعب تحقيقها في تلك اللحظة، فإن عرض عليهم أمرٌ قالوا: لو كان كذا، أو كذا، ولو أنّ كذا أو كذا مما يمكن تحقيقه لكان ذلك أمراً مشروعاً ومحبيّاً، أمّا أن تكون محض خيالٍ أو منجزٍ بعيد المنال فإنهم عندئذٍ لا يكونون واقعيين.

تعجبني واقعية الإنسان الذي يرى أن كل يومٍ تشرق فيه الشمس قد يكون آخر يومٍ في حياته، وهو اليوم الذي يحقق فيه ما كان قد خطط له! الإنسان الذي يتعامل بواقعية مع نفسه، فيشحذ قواه، ويجمع قدراته وهذا ما فعله «ستيف جوبز steve jobs صاحب شركة appel الذي أُصيب بمرضٍ خبيثٍ حسبَ أن فيه نهايته، لكنّه

خرج بعد ذلك إنساناً واقعيّاً، لم تشغله الأوهام، ولم تلهه الأحلام فوجّه نصيحته للآخرين بأن يكونوا واقعيين في حياتهم.

قال لي والد طفلي لم يكن يمتلك موهبة الغناء حين طلب منه ذلك: لقد قلتُ لإبني أن بعض المواهب لا يصنعها الإنسان وإن كان يمتلك العزيمة والإصرار فهي فطرةٌ وهديةٌ من الله، في حين فقد يمتلك موهبةً أو قدرةً أخرى لا يمتلكها صاحب الصوت الرخيم لقد كان ابنه الصغير يردّد عبارة: «ليس صعباً على...»، وذلك لتحفيز نفسه، وهي عبارةٌ إيجابيةٌ لكنها غير واقعيةٍ في بعض الأمور، ولذلك فقد يضرّه الإيمان المطلق بهذه العبارة إن لم يكن مرناً كما يقول المثل «لا تكن رطباً فتعصر، ولا يابساً فتكسر» وهذه دعوةٌ إلى الواقعية.

إن بعض الناس يتشبّهون برأيهم حتى وإن كان ذلك الرأي لا يتماشى مع الواقع، ولا يتناسب مع معطياته، هؤلاء لا ينظرون إلى الأمور من جوانب شتى، فإما الأسودُ أو الأبيض.. ونحن هنا نتحدث عن أمور الحياة بعيداً عن الأمور العقديّة التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾<sup>(١)</sup>، هؤلاء الذين يرون الدخول من بابٍ واحدٍ حتى وإن كان فيه مضرةٌ لهم وحسداً على عكس ما نصح سيدنا يعقوب عليه السلام بنبيه ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

فكم من أناس ذهبوا ضحيةً للرأي المتشبّث بالصواب وقد كانوا في وهم، وكم من أناس ضلّلوا بأفكارٍ وأوهام حسبوا لها جذوراً في الواقع وهي محض تضليلٍ وبهتان وفي المقابل فإن الواقعيين يبحثون دائماً عن الأبواب المفتوحة ولا يبحثون عن الباب الواحد فقط، ولعلّ مصيبةً الكثيرين في أتهم غير واقعيين في طرحهم، مضللين في

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦٧.

زعمهم وادعاءاتهم، ذلك لأنهم آثروا البقاء جامدين دون حراك، ولو أنهم تحركوا لتحركت أعينهم، وتفتحت أذهانهم، واستنارت أنفسهم.. بعض هؤلاء يرى في الغرب مجرد عالم إباحيٍ منحط، لا قيم له بسبب انتشار البغي والفجور وأشكال الإباحية، وهذه نظرة في عموميتها غير واقعية وغير منصفة وأبلغ دليل على ذلك ما نحيا عليه من متوجات الغرب، وما نتلقاه من علوم ومعارف في جامعاته.

نعم.. في الغرب مساوية وانحطاط وانحلال ولكن هذا لا يعني أن مستنقع الغواية قد كبّل الغرب من التقدم والابتكار والإبداع، في المقابل يرون أننا نحن الأقوياء بكلمة لا إله إلا الله، أقول نعم نحن الأقوياء بإيماننا ولكن هل نترجم إيماننا بالله إلى واقع؟!!

هل فعلنا القيم التي تكتنفها هذه الشهادة إلى سلوكيات؟!!

هل هي مجتمعاتنا نزيهة أيضاً من المساوية؟

هل أصلحنا عيوبنا لتفرغ لعيوب الآخرين؟!!

هذه هي الشعارات المضللة التي خدّرتنا بها البعض منذ الصغر دون النظر في الاعتبار بأن المسلم يجب أن يكون منفتحاً وأن يطلب العلم كما جاء في الأثر حتى من الصّين، أي يطلبه من ثقافات مختلفة.

إنما هي شعارات تحجب العقل عن الواقع.. شعارات يصفق لها البعض ممن لا يدركون خطرها، وسمّها المخدر الذي جعلنا نرسف في أحلامنا قرونًا من الزمن دون أن ننظر إلى الواقع بعين بصيرة تجعلنا نستيقظ لنرى الحال الذي أصبحنا عليه.

الواقعية تستلزم مواجهة الواقع والتعاطي معه بمسؤولية عالية هذا ما أراه، ولا تعني التهرب منه وإدارة الظهر له، والواقع يتغيّر يوميًا وعلينا أن نكيّف أنفسنا للتعاطي معه وفق منهج الوسطية والإعتدال الذي وصفه الدكتور (عصام البشير) بقوله:

«هذا المنهج الذي يقدم الإسلام نهجاً يرتبط بالزمان والمكان والإنسان موصولاً بالواقع مشروحاً بلغة العصر منفتحاً على الاجتهاد والتجديد لا على الجمود والتقليد

جامعاً بين النقل الصحيح والعقل الصريح مستلهماً للماضي معاشياً للحاضر مستشرفاً للمستقبل، ثابتاً في الكليات مرناً في الجزئيات، محافظاً في الأهداف متطوراً في الوسائل، مرحباً بكل قديم نافع، منتفعاً بكل جديد صالح، منفتحاً على الحضارات بلا ذوبان مراعيّاً الخصوصية بلا انغلاق، ملتمساً الحكمة من أي وعاء خرجت مرتبطاً بالأصل ومتصلاً بالعصر».

الواقعية تستلزم أن تفتح العقول على الثقافات الأخرى، والآراء الأخرى يقول المهاتما غاندي Mahatma Gandhi عام (١٩٥٨)<sup>(١)</sup>:

«لا أحبُّ أن تسدُّ الجدران المنيعة بيتي في كل جهة، وتغلق نوافذي، إنّها بدلاً من ذلك، أحبُّ أن تهبّ ثقافات الأرض المختلفة في بيتي قدر المستطاع لكنني أرفض أن تقذفني أيّاً من هذه الثقافات خارج بيتي».

ولهذا فإن بعض الناس يرون أن الإنغلاق هو الحلُّ الوحيد أمام الدفع الهائل من الأفكار والآراء وصور التعبير المختلفة، والثقافات الأخرى.

الواقعية تستلزم أن يصل الإنسان بعد تجارب إلى محصلة يرى فيها إمكانيات نفسه، وقدرات عقله، وجسده، فيتخذ قراره مما كان ينشدُ نيله إن كان مستحيلاً لأنه لا يمتلك القدرات لنيله، بدل أن يهدر عمره وطاقته في طلب المستحيل، يقول الشاعر أحمد شوقي:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها

تُنالُ إلا على جسرٍ من التعب

أما بعض الناس غير الواقعيين فيرون أن الراحة يمكن أن تنزل بين ليلةٍ وضحاها وهم نيامٌ في الغرف الباردة، وحين يتبهون يرون العصاميين من أقرانهم قد حققوا نجاحات وإنجازات فلم يملكوا سوى الحقد عليهم وحسداهم، فهذا غاية ما

(١) Simms, A. (2006). The strange story of footloose money. Radical economic.

يستطيعون فعلهم لأنهم لم يكونوا واقعيين كما كان هؤلاء.

غير الواقعيين يربطون أنفسهم بسراب فيجرون وراءه وكلّما أوشكوا أن يصلوا إليه ظهر بعيداً لهم فلم يتوقفوا ولم تصح عقولهم بل استمروا في الجري وراء السراب كأنهم عطشى يحسبونه ماءً.. وهكذا يمضي العمر بهم دون أن يصلوا إليه.

هؤلاء لا يريدون أن يتبهاوا للحقيقة لأنها ثقيلةٌ عليهم كما يصف ذلك (فاروق جويدة) في قوله: «سئمت الحقيقة.. لأن الحقيقة شيء ثقيل، فأصبحت أهرب للمستحيل» غير الواقعيين يملكون الظروف قياد أمرهم، وكأنهم مسيرون بما يحدث لهم طوال العمر، غير مخيرين بما يمكن لعقولهم أن تختاره»

«فللعقل أسماع وعاء وأبصار» كما يقول (الحلاج)، فجميلٌ أن يكون الإنسان واقعياً يرى الأمور من مختلف الجوانب غير متمزّت لرأي وغير متعصبٍ لحجةٍ إذا لم تمس الثوابت في دينه.

يقاسُ الإنسانُ حسبَ مقتضى المنطق بعمله لا بقوله، فمن القولِ هرجٌ ومرجٌ، فإذا جاء وقت العمل تحبّط الكلام، وعرجت الأقدام، فالإيمان «ما وقر في القلب وصدقه العمل».. لهذا فمن الناس من يكون لسانه أطول من يده التي تقصر عن تبجّح لسانه.

ذات مرّة أقعدنا أحد أصحاب المدارس الخاصّة ليعزف لنا قدحاً في المدارس المنافسة ومدحاً في مدرسته، واحترافيةً منهجه، وأفضليةً طريقته على سائر المدارس، وبالرغم أن لسان الرجل قد كشفه قبل أن نعيش مساوياً احتراميته فيما بعد.. إلا أننا آثرنا أن نتبع طريقه القصير في الكذب.. لنرى أين سينتهي، فانتهى إلى خلاصة تتوافق مع مقولة: «فاقدُ الشيء لا يعطيه»

المتنبى حدّر سيف الدولة ممن يظنّ فيهم الفضائل وهم بعكس ذلك قائلاً له:

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً

أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورُم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم

وقد تحدّث معي أحد الناس ممتعضاً عن عملٍ من الأعمال فقلتُ له: أنظر من وراء العمل، وسل عن أخلاقه، ومسالكه وأفعاله يغنيك ذلك عن التعجّب والإندهاش، فهل يُرجى خُلُقاً من إنسانٍ لا خُلُق له، وكيف ينتظر العمل الصالح من إنسانٍ فاسد..

أمرتك الخير لكن ما ائتمرتُ به

ولا استقمّتُ فما قولي لك استقم

إن من الناس من لا يصدق قوله فعله، فهو لا يقدر قيمة الكلمة التي يندلقُ بها لسانه، ويخرجها جنانه.. وهي التي تكبّه على وجهه في النار إن كانت كلمة سوء. ووالله إن الله ليكشف المنافقين، وهذه شرعة السماء، يقول تعالى في سورة البقرة: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُجَادُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ نَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ».

لقد كانت الإزدواجية سبباً في دائهم، فما يقوله عكس ما يفعلوه، وقد يشفى الداء حين يتبّه الإنسان منهم من غفلته ويعود إلى رشده، فكم من الناس من فعلوا ذلك، وساعدهم نضجهم إلى العودة إلى جادة الطريق.. أخبرني أحد الأخوة من دولة عربية يقول: كنت كذلك الشخص الذي يشير إليه أحمل أفكاراً بعيدة عن ثقافتنا، ومعتقداتنا.. أمّا الآن فقد عرفت الصواب من الخطأ.

هذا أمرٌ طبيعي أمّا أن يحسب البعض أنه يجادعون الناس بأقوالهم، بينما تنبأ أفعالهم عكس ما يقولون فلهم سوء العاقبة، حينما طلب مني أن أتحدّث أمام الياfeعين في ملتقاهم قلت لهم جملةً من الرسائل منها أن الكلمة أمانة فإذا خرجت فقدتموها دون رجعة، فاعرضوها على العقل كي يتفحصها قبل أن تسلّموها لألستكم.. فتناووا

من شرّها ما لا يحمد عقباه.

إن لابس الثوب ليست مخافته من المخرز يشق ثوبه بل من تفكك نسيج ثوبه، حين ينسلُّ خيط من الخيوط، ومصيبة كل جماعة ليست في خارجها بل فيمن يكون داخلها ويثُّ سموه في شراها وطعامها..! ومصيبة البيت ليست خارجه بل في أهله إن لم يصونوا عرضه وحرمة، ومصيبة الإنسان ليست في غيره بل في نفسه الأمّارة بالسوء، هو الداخلُ إذن أخطر من الخارج.. وهي مقولة قالها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هزمت فليس لقوة في عدوك وإنما لضعف فيك».

إن الحل لا يكون بالتلفت يمنة ويسرة لاتقاء السهام المرمية وإنما بتحسين النفس بالخير.. فالخير كامنٌ فيها وإنما يحتاج إلى تقوية وتعزيز «الخير فيّ وفي أمّتي إلى يوم القيامة»، والحذر من النفس أولاً ثم من الدائرة القريبة، ولقد ابتليت الأمة بأناسٍ غرّتهم أنفسهم، وانحرفوا عن جادة الصواب هم من الذين قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، توافرت لديهم المقدرة والوسيلة على الإغواء، وبث السموم، ووجدوا من يروج لأفكارهم عن غفلة، وسذاجة، أو عن تعمدٍ وقصد.

ومع الإيمان بأن ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، إيماناً جازماً.. فإن الله أمرنا أن نتنبه لمكر الماكرين.. وأن لانكون توابع لهم، حمالي رسائلهم، مروّجي أفكارهم.

(١) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.



## على كف القدر:

هناك أناس يسبحون في اتجاه السفينة.. وهناك أناس يضيعون وقتهم في أنتظارها.

يتحجج أغلبنا بالقدر في تعاطيه مع مقتضيات الأحوال، ومستلزمات البقاء والمآل وفي لبّ الحقيقة يكمن الإهمال وليس بين القدر وما يتحتم على الإنسان قضاءه، وتفرض معطياته اتباعه والأخذ به من تضاد.

إنما يعلّق أغلبنا أمر حياته على قدره كيفما شاء وأتفق وكأنّه مخلوق لا عقل له ولا تدبير، ولا تصرف ولا تفكير، ولا وعي ولا إرادة، تسمع عبارة ناطق: «هذا هو قدرى» وكأننا اطلع على الغيب، فرأى مسار قدره، وليس يعني أن يفسر إيمانه بالقدر خيره وشره وهو ركن ثابت من أركان الإيمان، حين يربطه بتقاعسه عن العمل، وتكاسله عن السعي نحو الأفضل «فالمؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

أغلبنا يهمل صحته ولا يأخذ بالأسباب التي تبقيه صحيحاً سليماً لا تعوزه اللياقة البدنية فإذا أُصيب بداء السكري بدأ في ممارسة رياضة المشي والتقليل من الأطعمة السكرية، وذات الدهون وغيرها مما يرفع يرفع من درجة المرض، أغلبنا لا يكثر لتوالي الأيام، وحدوث المتغيرات على الصعيد الجسدي لديه مع نمو سنّه، أو ممارسته لعادة ما حتى يحدث حادث ما يجعله يستفيق من غفلته، وينهض من غيبوبته، فإن كان مهملاً لنفسه يجري وراء الأشغال وجمع الأموال غير مكترث بالكشف السنوي على أقل تقدير للمخبوء غير الظاهر من تغيرات في جسده فإنه يبدأ في تفرّيع نفسه، ولوم غيره على التقصير، وإن كان معتاداً على التدخين فإنه يتحجج بأن قدره في

(١) أخرجه مسلم.

الحياة أن يعيش مدخناً، حتى إذا أصيب بداءٍ عضالٍ أو أصابته جلطة نسفَ كلِّ مقولاته السابقة عن قدره فأوقفَ التدخين الذي لم يعد قدره بعد هذه الحادثة. أغلبنا لا يربط الأسباب بالمسببات، لا يربطُ الطالبُ الإهمالَ في دراسته، والخمول في مذاكرته، بالرَّسوب في امتحانه، والضعفِ في محصَّلاته، لا يربطُ الموظفُ تسببه من عمله، وعدم تفانيه وإخلاصه فيه، بعدم ترقّيه وتأخّره في مستواه الوظيفي.. لا يربطُ اللاعبُ خسارته بمستواه المتدني، وضعف لياقته البدنية أو أفضلية الطرف الآخر عليه وإنما يربطه بظلم الحكم، وضعف أداء زملاءه.. لا يربطُ المتأخر عن الموعد بعدم تخطيطه الجيد للموعد، وإنما يربطه بالزحمة في الشارع كأقرب سبب.. لا يربطُ المسؤول تفريطه في عمله، وفشله في قراراته بسوء إدارته، وقلة خبرته، وضعف كفاءته.

في ثقافتنا يرسخ في البعض ما يقوله الشاعر الشعبي:

على كف القدر نمشي ولا ندري عن المكتوب

عبارة كنت أرددها صدق من صاغ معناها

متى يحالفني الحظ ويصحح وضعي المقلوب

يعدل قسوة الأيام وغلطة ما ارتكبتها

لقد حمل الشاعرُ وحمله معه كثيرون القدرَ والحظَ مسؤولية تصحيح وضعه المقلوب وتعديل غلطة ما ارتكبتها، ولهذا وقف يندبُ الحظَّ، ويشكو قسوة الأيام دون حراكٍ منه أو مبادرة على التغيير.

في ثقافتنا يعتقدُ البعض خاطئاً بما عبّر عنه الشاعر:

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلةٍ

فقد كذّبتَه نفسه وهو آثمٌ

يفوتُ الغنى من لا ينامُ عن السرى

وآخر يأتي رزقه وهو نائمٌ

إن مثل هذا الكلام ليثبط الهمم، ويمنع الإنسان عن السعي عن العمل وربط أسباب النمو والتقدم بقدر سعيه وهذا ما يأمر به تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَكُمُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾<sup>(١)</sup>.

البعض يسيء فهم القدر في قول المصطفى عليه السلام «أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك»<sup>(٢)</sup> ويحسبُ إمّا عن نشأة نشأها أو حجة تستر بها أن كل خطوة إقدام وإحجام، وحركة أيادٍ وأقدام إنما هي أمرٌ مقدّر مرسوم لا قدرة له فيه ولا إرادة لهذا تجبو في نفسه روح المبادرة، وتدوي في عضله عزيمة الهمة فيصبحُ فاتراً ضعيفاً، مهلهلاً عليلاً!.. وهو في هذا غير صائب.

ينقل لنا العالم (أ.كريسي) في كتابه (العلم يدعو للإيمان) قصةً ممتعة عن سمك السلمون فيها من العبرة والحكمة لهذا الإنسان فيقول: «أن العلماء اكتشفوا من خلال دراستهم لحياة هذه الأسماك، ظاهرة غريبة مذهلة، فهذه الأسماك تولد في النهر، ثم تذهب لتعيش سنوات في البحر، ثم تعود إلى النهر الذي ولدت فيه، وإذا نُقِلت من هذا النهر إلى نهر آخر متصل به، فإنها تسبح عكس التيار حتى تعود إلى النهر الذي ولدت فيه. إنها تعرف مكان مولدها، وترتبط به، وتبحث عنه، حتى تعود إليه لتعيش فيه».

هذا يعني أن السمك لم يستسلم لواقع حاله وإنما سعى جاهداً عكس التيار لتغييره حيثما يكمن معاشه الأفضل، فلم تتخثر دماءُ الهمة في الإنسان ويستكين لهزألة الواقع.

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

يقول جبران خليل جبران:

قدرٌ وهل يشكى القدر

ما الحزمُ إلا من صبر

إن من يرمي الزّمنَ، ويشكو قسوة الدّهرِ، ويندبُ الحظَّ، ولا يفهمُ معنى الإيمان  
بالقدرِ هو الضعيف الإرادة، الخائر العزمِ الذي لا يتحقق له مطمح ولا يقومُ له على  
أرض الواقع إنجاز، ويبقى الفوز للمبادر.



Tel. 1011 3  
\* send Email

IDEAS  
ACTION  
PLAN





## ما لا يعنني:

مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ  
لِسَانٍ .

من الأثر

مما يجلبُ العواقب الوخيمة على المرء زلّة لسانه، أو سقطّة لفظه بسبب هذره، وكثرة كلامه، ولغظه.. وخوضه فيما لا يعنيه من أمور الناس، وأعراضهم، وخواص شؤونهم، لأن ذلك مؤذٍ للآخرين، وجارح لمشاعرهم.

فكما يقال: «جرح اللسان أشد وطأة من جرح السنن» وهذر الإنسان في أمور لا تخصّه، وشؤون لا تعنيه إنتقاصٌ لقدر نفسه، وإنزالٌ لكرامته، فهو لا يخوض في شؤون الغير إلا عن نقيصة يحس بها، ودونية يشعر بها، إنما الشريف، العفيف هو من يصون نفسه عن التدخل فيما لا يعنيه، يقول صلى الله عليه وسلم: «من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه»، وحينما سأله معاذ بن جبل رضي الله عنه: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فأجاب عليه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال تقريرى فقال له: «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخيرهم في النار يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم؟!»، فإذا كان أطيب عضوين في الإنسان هما قلبه ولسانه، فهما أحبُّ عضوين أيضاً إن جرى عليهم الخبيث من القول، والفاحش من الكلام».

وإني لأعجب من هذه اللذة التي يجدها البعض وهو يخوضون في شؤون لا تعنيهم، وكأنما ليس في الحياة من الشؤون التي تستحق نقاشها، والحديث حولها، وتداولها سوى أعراض الخلق، وشؤونهم وتتبع عوراتهم، إنها لذّة المرضى أولئك الذين يداوون عليلهم بعسل أشد فتكاً، كمن يهرب من مشكلة يعانيتها إلى الخمر، أو إلى التدخين فهو «كالمستجير من الرمضاء بالنار»

لا يجدون حلاوة أكبر من الإنتقاص من شأن النَّاس، والتطرق إلى عيوبهم.. وفي المقابل يعلون من رفعة شأنهم أنفسهم.. ووالله لو انشغلوا بعيوبهم لأغتهم وشغلتهم عن غيرهم، ومنعتهم عن تقصي أمورهم، وتتبع عوراتهم، وقد شهدت من النَّاس من لا يلذ له حديثٌ سوى الإنتقاص من هذا وإلصاق العيوب على ذلك.. وهو والله مليءٌ بالعيوبِ غير أنه لا يتعظ بمقولةٍ حكيمٍ كالشافعي حين قال:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معاي

لقوم فقل يا عين للناس أعين

مثل هؤلاء رجل لا يظهر في مقابلة إلا وهو ينتقص من شأن الآخرين ويقلل من عطاءاتهم، ويسفّه من جهودهم، حتى أنه لم يستطع ذات مرة أن يكبح جماح نفسه دون أن يكتب رسالة إلى أحدهم مسفّها، ومنتقفاً فأذاع ذلك المرسل إليه الرسالة إلى أقرانه فما كان منهم إلا أن أهالوا سهامهم على المرسل معددين عيوبه، ومنتقصين من شخصه، فهل سيتلقى الردود التي لا يودّها لو صان نفسه عن القدح في الآخرين؟ وشاب آخر لا يحلو له سوى انتهاك عرض النَّاس حتى أسقطته لسانه عند قريب من امرأة يقذفها بلسانه، ويتهمّها بكلامه.. فأسلمته لسانه إلى عواقب لم يكن يحسب لها في ظنه.

إن الكثير من المجالس والمقاهي والمكاتب والمنتديات في مجتمعاتنا لا يهنا لها مقعد، ولا يطيّب لها حديث، ولا يأنس لها فضاء إلا بالخوض في شؤونٍ لا تعنيها، عمّارها أناس لا شغل لهم سوى إجراء اللسان في مذاهب لا يكون من وراءها الخير بل السمّ الزعاف، ولو اشتغل الموظفون بالحديث عمّا يطور أدائهم، ويحسن عملهم لكان ذلك خيراً لهم.. كذلك لو اشتغل الجلّاس في شتى المجالس والمقاهي فيما يضيف إلى النفس من خلائق، وفضائل، ومعارف، وعلوم لكان ذلك أفضل

وأجدى، ولو انشغل أرباب البيوت وأفرادها في اقتصاد المعيشة، وتحقيق الأهداف، واكتساب الشئائل لاغتنوا وارتقوا.. ولو اشتغل رواد المتدييات فيما يضيفُ يصلح من أنفسهم ويقوم من أخطائهم لاستفادوا لكن الكثير، الكثير من مجالسنا، ومكاتبتنا وبيوتنا ومنتدياتنا غارقة في شؤون لا تعنيها، وأمور لا تخصها، وهي لا تتطرق إليها على سبيل التعلم، وإنما على سبيل التهكم، فكم من الناس من وقع في المحذور أمام أهل الشأن فقامت القائمة بينهم، وكم منهم من هتك أعراض الآخرين فبلغهم اللغط فساءت العشرة، وتعكر الصفو.

ووالله لو كل واحد منا اتبع هذا الحديث لسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إيّاكم والظن فإن الظنّ أكذب الحديث ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا قالها ثلاثاً وأشار إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»<sup>(١)</sup>.

هذا منهاج طريق نير لا شائبة فيه، وكم شهدت على من يتظاهرون بالدين، ويدعون الثقافة، ويزعمون العلم، ويتفاخرون بالأدب وهم يحطون من أقدار الخلق، ويرفعون من شأنهم، لا يرون في العباد إلا عيوباً، ولا يرون في أنفسهم إلا كمالاً، يحكمون على هذا من مظهره، ويقدحون ذاك لصورته، ويشمتون آخر لجهله.. ولا يعلمون أن: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره» (،)، ولا يدركون أن التقوى في القلب كما جاء في الحديث الشريف السابق.. أولئك ما عرفوا أبسط قيم الدين والثقافة، والعلم، والأدب ترك المرء ما لا يعنيه.

وإنني لأقدر أناساً تراهم في المجالس صامتون، آذانهم صاغية، لا يخوضون مع الخائضين، فإما نطقوا بخير أو سكتوا أولئك صانوا أنفسهم عن الخوض فيما لا

يعنيهم، وترفعوا عمّا يؤذيهم هم المستحقون للتقدير والإجلال، ولو أن مصالحنا، وبيوتنا ومجالسنا ومنتدياتنا عمرها ما يعنيها لتقدّمنا ولكننا آثرنا أن نشغل الفراغ بالحديث فيما لا يعنيها، فتأخرنا وتلك واحدة من مصائبنا الكبار.

## تحديد الأهداف:

رأيت السرى فرضاً إلى سر من  
رأى، فبادرت والتوفيق حظ  
المبادر.

إبراهيم العاملي

تحديد الأهداف هو الغاية النبيلة التي  
يجب أن يسعى لها الإنسان الرشيد، لا  
يمكنُ لإنسانٍ يريدُ أن يعيش الحياةَ  
بواقعيةٍ أن يجيباً بلا أهداف، لا يمكنه أن  
يتخذ الحياةَ محضَ صدفٍ، ومواقفٍ،  
وأحداثٍ ليس لاعتباً مؤثراً فيها، وإنما  
ضحيةً من ضحاياها، ورقماً هامشياً من أرقامها.

فهل أغلبُ الناس يتخذون أهدافاً في حياتهم..!؟

الظنُّ لديّ أن أكثرهم يجهلون كيف يمكن تحقيق هذه الأهداف، وما هي الخطوات  
التي يجب أن يقطعونها للوصول إلى أهدافهم، هذه معضلةٌ كبيرة..

كثيرٌ من الناس تمضي حياتهم بلا أهداف واضحة، صريحة، بعضهم يتلذذ بإنحساره  
في وظيفة رتيبة، تدرُّ عليه راتباً ضئيلاً، وقد فرض بخموله وتكاسله الحياة البائسة  
له ولمن يعيلهم، لقد قتل الهمم الوقادة التي لا شك دفينه في نفسه، وشئت نشاطه  
في باقي جسده، واسترضى حياة الدعة وفوق ذلك فإنه يجبّط غيره، ويثنيه عن  
الوصول إلى غايته وتحقيق أهدافه.. راسلني أحد الأصدقاء المقربين من الولايات  
المتحدة الأمريكية وقد كان في برنامج دراسي / تدريبي، يطلبُ مني تشجيعه وهو  
محبطٌ من كلام بعثه له من قال عنه أنه صديق يقول له فيه: لماذا تركت وظيفتك  
المحترمة، وراتبك الجيد وسافرت دون أن تتمكن حتى من إصطحاب أسرتك كي  
تلقى الضنى والمشقة في برنامجك هذا، فرددتُ عليه بالقول: أعذرني فإنني لا يمكنُ  
أن أسمى هذا صديقاً فهو رجلٌ محبط، وكان أجدرُّ به أن يبعث إليك بكلمات التحفيز  
والتشجيع.. ولكنه ربما عاش بلا هدف، أو لا يدري كيف يصل إلى أهدافه، أو أنّه

متخاملٌ، متكاسلٌ مرتضى حياةٍ خاملةٍ، رتيبة، ولهذا يريد للآخرين أن لا يسعوا وراء أهداف لهم.

ها أنتم ترون في الشوارع أناساً أنعم الله عليهم بالصحة والعافية، ترونهم ذوي أجسام قد لا يهدّها العملُ الشاقُّ، ولا يرهقها الشغل المتواصل.. ولكن مع ذلك يستجدون الناس، يتعدون حتى عن الأعمال الصغيرة، ويرتضون بالأعمال المهينة التي لا تجلب لهم سوى الإحتقار والشماتة من الناس.. وها أنتم ترون الشباب الضائع، المهذور في المقاهي، فتمنون لو أنهم كانوا يتنافسون ميدان عملٍ، وكفاح من أجل تحقيق الأهداف، وليس الجلوس الخامد في المقهى، والتكديس بلا عمل، وإنني لأمن بأن الشاب أو الشابة الذين يدركون واقعية الحياة لا يستطيعون هذه الجلسات التي تضيع العمرَ فيما لا يحقق لها هدفاً، حتى إذا مضوا في أعمارهم نظروا خلفهم فرأوا كم بدّدوا من أوقاتٍ، وأضاعوا من أعمارهم بين ردهات المقاهي، أو الملاهي، أو غيرها من أماكن اللّهو الفاسد.

إن الثقافة الشائعة عندنا هي أن الهدف لدى الكثيرين منّا مجرد حلم يقظةٍ يحلم به الواحد منا، ولا يغادرُ هذا الإطار.

نعم.. إن الهدف حلمٌ ولكنه حلمٌ يجب أن نعمل له، ونسعى إليه، فذلك أبو المسك كافورٌ مؤسس الدولة الإخشيدية دخل مصر عبداً أسود يشتري ويباع ثم بعد عشر سنوات أصبح حاكمها، هكذا كان حلمه الذي سعى إليه، في حين تحقّق لصديقه العبد الآخر الذي كان يشتهي الطعام فأصبح يملك مطعماً.

وإنني حين أرى هجاء المتنبّي له، وقد جاء منه:

لا تشتري العبد إلاّ والعصا معه

إنّ العبيد لأنجاسٍ مناكيدٌ

أنكرُ على المتنبّي هدفاً قد لا يكون صالحاً له وهو أن يحصل على ولاية ما وحرمه منها كافور.. فذلك لم يكن ربّما هدفاً يصلح له حيث لم يحققه له سيف الدولة قبل

كافور هذا الهدف بينما تحقق له الهدف الأول الذي سعى إليه وهو الحصول على المال خاصة بعد قصة بائع البطيخ حينما رسم المتنبى هدفاً بأن يكون عنده أكثر من مائة ألف دينار

يقول (ديل كانيجي): «إن كل إنسانٍ موجهٌ لما خلق له، وإن من يضع نفسه في غير محلّها يفشل لا محالة» وأعتقد أن هذه معضلة الكثير من الناس: وضع أنفسهم في غير محلّها، فهم لا يتفكرون في مقولة: «أنت ما تعتقده عن نفسك» ومقولة: «حياتك اليوم محصلة لأفكارك السابقة»، فالإعتقاد في الموهبة، والقدرة والإيمان بها شرط هام لتحقيق الأهداف الواقعية، ولعل مقولة: «رحم الله إمرأ عرف قدر نفسه»

هي مقولةٌ تأسيسيةٌ على الإنسان أن يلتزم بها، فمعرفة قدر النفس هي ذاتها الإعتقاد بما تملكه من القدرات والهمم والمواهب.. ولو قدرّ الناس أنفسهم لوضعوها في محلّها الصحيح.

لقد رأيتُ أناساً يقفزون من عملٍ لآخر، كما يقفز العصفور من غصنٍ لآخر لا يكاد يطيب لهم عملٌ حتى يثبون لغيره، ورأيتُ آخرين لا يقتنعون بعمل ما يتناسق مع مواهبهم وقدراتهم، وإنما يتشبّهون بأعمال لا تتناسب مع طبائعهم، ولا مواهبهم ولا قدراتهم، فلا تشبههم نصائح المخلصين، ولا تردّهم شماتة الشامتين.

شروط الأهداف اختصرت في عالم الإدارة في هذه الكلمة «SMART» وهي أن يكون الهدف دقيقاً ومحددًا Specific، وأن يكون قابلاً للقياس Measurable وقابلاً للإنجاز Achievable، وواقعي Realistic، وأن يكون له بعد زمني Time، وحين نعود إلى المنهل الثقافي الأصيل نجد أن الإسلام قد اتبع أهدافاً محدّدة، واقعية، مقاسة، قابلة للإنجاز ذات بعد زمني محدّد، إقامة القاعدة المتمثل في إرساء العقيدة في مكة إستغرق ثلاثة عشر عاماً، وبناء الدولة الإسلامية استغرق عشرة أعوام، وفيها تم إرساء العناصر الأساسية لقيام دولة إسلامية تملك كل العناصر اللازمة لتكون قاعدة رصينة وصلبة للأزمة التي تأتي بعدها..

ثم جاء التوجيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

تحديد الأهداف من واقع حياتنا الثقافية، من أصول ديننا، لكننا نضيعها لأننا لا نقدّر أنفسنا تقديرًا جيّدًا وبالتالي لا نضعها المكانة التي تستحق بل نضيعها في أهداف غير واضحة، ومرامي مشتتة، وصدف غير محسوبة، ومواقف غير مخطّط لها.

حينما استضافتني إحدى المدارس منذ أشهرٍ لإلقاء محاضرة حول كتابي القادم المتعلّق بالقيم المعطلّة في المجتمعات العربية.. أدهشني أن يتحدث أحد الطلّاب عن الأهداف بهلاميّة وضبابيّة فأثار سخرية زملاءه وشماتتهم، فقلتُ في نفسي: هذا ممن لا يؤمنون بواقعية الأهداف ويفضّلون التهويم في فضاءاتها الحالمّة.

يقول رجل الأعمال المعروف / صالح كامل، صاحب مئات الشركات في برنامج قيم السوق: «درستُ حينما كنتُ صغيراً تأملتُ في جيراننا الأغنياء، فسألتُ نفسي كيف أصبحوا أغنياء؟ فوصلتُ إلى استنتاج بأنهم رجالُ أعمال لا موظفون في الحكومة وحينها بدأت أول الطريق لأصبح رجل أعمال من بيع صنفٍ من الأكلات، ثم العظام التي تستعمل للعب» وهكذا حتى أصبح اليوم مالكاً لشركات كبيرة وعديدة وفي الأخير، هذه بعض الوصايا المتواضعة لتحقيق الأهداف وهي.. الإيمان بقدرات النفس وأن الإنسان قادر على أن يحقّق أهدافاً حقّقها غيره.

فقد كان سيدنا أبوذر الغفاري يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الولاية، فيقول له: «يا رسول الله ولّني -أي اجعلني أستلم منصب- فقال: يا أبا ذر إنك امرؤ ضعيف لا تولين على اثنين ولا تحكمن في مال يتيّم»، وأن الإنسان يكون موقناً بواقعية الأهداف.

يقول الشاعر أحمد شوقي:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها

تُنالُ إلاّ على جسرٍ من التعب

وأن يبحث الإنسان عن العمل الذي يرضيه ويتفق مع مواهبه وقدراته ولا ينخرط في عمل «ليس له ناقةٌ فيه ولا جمل» كما يقال.. كذلك عليه تتبع السوانح، وإنتهاز الفرص إن حانت، كما يقول الشاعر:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها

فإن لكل حادثةٍ حديث

ومع ذلك نقول: أن عليه انتهاز الفرصة إن هبّت الرياح.. ولكن لا يجب عليه أن يسكن مع سكون الرياح، بل عليه أن يبحث عن الفرصة السانحة، وأن لا يتعلل بترديد بيت الشعر القائل:

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وإنما يردد مؤقناً ومؤمناً بالقول:

تجري الرياح كما تجري سفينتنا

نحن الرياح ونحن البحر والسفن

إن الذي يرتجى شيئاً بهمته

يلقاه لو حاربته الانسُ والجن

فاقصد إلى قمم الأشياءِ تدركها

تجري الرياح كما شئت لها السفن

كما عليه التثقف العميق، والإطلاع الواسع فيما يجد أنه يسعده ويتوافق مع طباعه فيه، ولا يركن للحظ فإن الحظَّ كلمةٌ هلامية، فإن الإنسان مجازى بحسب همته

وعمله، يقول تعالى:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١)</sup> وعليه أن يحذف من قاموسه كلمة «لفشل» بل يحوّلها إلى «تجربة» ويسعى لها مهما طال به العمر، فالإنسان الواقعي يجب أن يسعى لأهدافه بالطريقة المثلى وبكفاح مرير ولعل الحديث الشريف التالي هو الذي يوضّح أن على الإنسان أن يصل لهدفه حتى لو قامت القيامة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

## شبحُ الخوفِ السلبي:

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ  
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

سورة التوبة

يعيق الخوفُ الإنسانَ من التقدّم ويشكّل عقبة أمام طموحاته وقدراته ومواهبه، فكم من أفسدَ عليهم الخوف ملكاتهم، وكم من أضاع عليهم مواهبهم، وكم من عطّل عليهم أمالهم، وهو في حقيقته خوفٌ غير مبرر لأنه غير مبني على حقائق واضحة.

الهاجس السلبي هو المسيطر على الإنسان السلبي أكثر من الهاجس الإيجابي إن كان الإنسان مهتزاً في ثقته لنفسه، متذبذباً في تفكيره، لهذا يسود الخوف نفسه، ويتحكم في مشاعره فيشّل حركته، ويقيد أفكاره.

ومن المؤسف القول أن مفردة الخوفِ قد تغلغت في ثقافتنا حتى أصبحت صفةً من الصفاتِ المكوّنة للشخصية ظاهرةً أو باطنةً بحسبِ الظروف، فهي على أطرافِ الألسنِ بمناسبةٍ أو غير مناسبة، بشعورٍ أو لاشعور.. وهي مما يثبّطُ الإقدام، ويشجّع على الإحجام في تحقيقِ الطموحِ والمرام.

فإذا تحدّث أحدنا عن منجزٍ يريدُ إنجازه قال: «أخاف الفشل» وإذا أراد المضيّ في أمرٍ تردد قائلاً: «أخاف أن لا يتحقق»، وإذا فكّر في القادمِ قال: «أخاف من المستقبل»، وإذا ذكر الأب أو الأم أو لادهما قالاً: «نخافُ على أولادنا»، الخوفُ مزروعٌ بإيجابيته وسلبيته في النفس فإن كان في معاني الخوفِ ما هو إيجابي.

كقوله سبحانه وتعالى في التنزيل العزيز «وذكّر ربك في نفسك تضرّ عاً وخيفةً» فهو وسيلةٌ لطمئينة النفس بخضوعها لإرادة خالقها وطاعته، أمّا الخوف السلبي الذي نحنُ بإزاءه فهو الذي يزعزعُ النفس، ويصيبها بالتوترِ الدائمِ والقلقِ المؤذي، والهلعِ

من القادم المجهول مثل الخوف من المستقبل والفشل والفراق والفقدان والتغيير. وإذا كانت مفردة الحب ضعيفة، أو تطلُّ على استحياءٍ، لأنها ارتبطت في الفهم الجمعي بمعانٍ غير تلك التي تنقصدها في جوهرها فإن مفردة الخوف حضرت بقوة، زادها في ذلك الاعتقاد بأن الخوف وسيلة للخضوع والإذلال الذي هو بدوره يروض النفس، ويجلب الطاعة ويسهل القياد، فعلمنا الخوف من الله أكثر مما علمنا حبه، فإذا ذكر الله اقترن في الكثير من الخطابات والمواعظ والنصائح بالخوف منه، والزجر من معصيته، والوعيد من عذابه، ولم يقترن بحبه سبحانه، والرجاء في مغفرته، وإذا كانت النفس تحتاج إلى زاجر الخوف الإيجابي لصونها من الغفلة والانحراف، وأثره في إصلاحها فقد أبان الله ثواب الخائف الإيجابي في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنما محبة الله هي أيضاً دافع لرضاه، والإنهاء عن معصيته، فمن واجب المحبوب على الحبيب أن يبرَّبه، وأن يجري في مجرى رضاه ويسعى في مساعي طاعته. الخوف السلبي هو خلل النفس، واهتزاز ثقتها بإرادتها الحرّة، وتلمها في اتخاذ القرارات، وذلك مبعثه التريّة الزاجرة، المتوعدة التي تفرغ بالعصا، وتجلد بالسوط، وتقسو باللفظ، وتغلظ بالتهديد والوعيد.

فإذا قال قائل: أخاف من المستقبل.. فإن مبعث الخوف عدم البناء السليم من أجل مستقبل واضح المعالم، بين الطرقات، جلي الأهداف والمرامي، كمثّل القائل: «أخاف على البيت أن تهدم أركانه، ويهوي سقفه»، فذاك الذي شكك في رصانة القاعدة، وقوة الأركان وصلابتها.

وإن قال قائل: أخاف من الفشل فذاك هو الذي يمضي مكباً على وجهه لا يرى أمامه لأنه لم يشأ أن يؤسس للنجاح تأسيساً صحيحاً، ولم يكلف نفسه عناء التخطيط، فهو

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٦

(٢) سورة البينة: الآية ٨

يريدُ أن يجازفَ بغير هدى، ويمضي دون دليل دون وسائل تعينه على تحقيق النجاح فكيف لا يراودهُ الفشل، ولا يتخايلُ أمامه شبحُ التراجع والهزيمة.

أما من يؤسس للنجاح، ويستعين بوسائله، ويستحضر عوامله، فإن الخوفَ أبعداً ما يكون عن نفسه التي يملؤها التفاؤلُ بتحقيق المراد.

لقد كان الخوفُ السلبي في مجتمعاتنا سبباً في بطءِ التنمية والتطور الإنساني فيها، فالخوفُ على المناصبِ الوظيفية أنتج التسلُّطَ وممارسة النفوذ، وهذا ما تؤكده دراسة بعنوان «السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية-الدافعية والقيادة» قام بها د. عبدالسلام أبو قحف (٢٠٠٥) ووردت في كتابه إدارة الأعمال الدولية حيث جاء في محصلتها أن: «نتائج الدراسات الميدانية التي أجريت في معظم الدول العربية أظهرت أن نمط السلوك القيادي المتسلط هو النمط الأكثر شيوعاً في الإدارة العربية حيث تتم عملية اتخاذ القرارات في أعلى المستويات الإدارية كما تتمركز السلطة والقوة في هذه المستويات ويتصف الهيكل التنظيمي بالبيروقراطية الشديدة وتتم الرقابة الداخلية بشكل روتيني فضلاً عن الاعتماد على العلاقات الشخصية وصلات القربى لشغل المناصب الإدارية العليا»

والخوفُ من المستقبلِ سائدٌ في مجتمعاتنا وقد أشارت لذلك دراسة الأبعاد الثقافية لجيرت هوفستيد Hofstede, G. بمؤشر ضعيف للعالم العربي في «بعد تجنب المجهول Uncertainty Avoidance»، وهذا ما يجعل الأغلب في مجتمعاتنا يرفع شعار «عمل واحد في الحياة» فهو يخافُ من الإقدام في تجربةٍ قد يكون مصيرها الفشل، راضحاً للمثل السائد «إصبر على مجنونك حتى لا يأتيك من هو أجن منك»..!

ولو ربّي وعلم على الجرأة والإقدام، والشجاعة والمبادرة، والأخذ بالأسباب، وتهيئة العوامل الدافعة للنجاح لخاض غمار التجارب تجربةً تلو أخرى، ولما رضح لما يقتل مواهبه، ويوهن قواه، ويبدد طاقاته لغير فائدة، والخوفُ على/ ومن الأبناء يسودُ التربية في مجتمعاتنا وهو خوفٌ عاطفي منه ما هو مبرر ومنه ما هو سلبي

لهم، فالخوفُ على الأبناءِ يقيّدُ حرّيتهم ويلزمهم ذات الأفكارِ والعادات التي نشأوا عليها حتى وإن كانت لا تصلحُ في زمانهم إلاّ أن الخوف يدفعهم للحصانة من الزلزل والخطأ بالتمسك بها، وفي هذا يذكر تقرير مركز الدراسات المستقبلية بباريس إلى: «أن الشبيبة لم يعد لهم أن يصبحوا على نحو ما كان آباؤهم، أن عليهم أن يكتشفوا عالماً جديداً، وأن يحكموا عليه، لكي ينووا منه عالماً أحسن في أثناء حياتهم»<sup>(١)</sup>

وهو ما يطابق قول سيدنا علي كرم الله وجهه: «ربوا أبناءكم لزمان غير زمانكم» وأصبح الخوفُ من تمرّد الأبناء وإبقائهم في ربقة السلطة الأبوية هو الزمام الذي يقاد به الأبناء بسلاسة ويُسر، فانتشر التخويفُ من الساحرِ والطبيبِ والإبرةِ والشرطي من أجل ديمومة السيطرة على الأبناء، وقتل روح التمرد لديهم. والخوف في مجتمعاتنا أو هن قيمة المبادرة فجاءت الأمثال الشعبية معبرة عن ذلك، يقول إحداها «العين بصيرة واليد قصيرة».

والخوف من المعلم والمسؤول وكل صاحب سلطة ومنفعة هو المقدم على محبته وتقديره في أكثر الحالات، وهذا يدلُّ على خلل في الثقافة سائد، وإشكالية لا يمكنُ المضي قدماً دون معالجتها وفق معادلة متوازنة تأخذ من البعد الإيجابي والسلبي للخوف .

من هنا فإن خوفك إلاّ من الله لا مبرر له إذ يعيقك عن المبادرة، والتحرر منه هو الطريق الأسلم للمبادرة والإقدام على تحقيق الإنجاز وذلك وفق الخطوات التالية: إيمانك الواثق بالله والإعتقاد يقيناً بأنه لا يصيب الإنسان إلاّ ما كتب الله، يقول تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

اعتقادك الراسخ بأن الرزق ليس بيد البشر وأنه بيد الله سبحانه وحده ولهذا لن

(١) نبيل سليمان: وعي الذات والعالم.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥١.

تخاف على قطع أحد البشر رزقك.

عن أبي العباس عبد الله بن عباس قال كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ مَجِدُهُ مُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»<sup>(١)</sup>.

التوكل على الله فهو سبحانه نعم المولى ونعم الوكيل، وأن من توكل على الله فهو حسبه، لهذا فالخوف ينتفي ويتلاشى لأن الإنسان يضع كامل ثقته في عناية الله ورعايته له، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

مواجهتك لها جس الخوف بالحقائق أقوى الوسائل لطرده من نفسك، خاصة حينما تمر بمواقف قد مررت عليها سابقاً، يقول (اليانور رزفلت): «أنت تكتسب القوة والشجاعة والثقة من كل تجربة واجهت فيها الخوف. بإمكانك أن تقول لنفسك «لقد مررت بهذا من قبل، بإمكانني التغلب على هذا والمور منه.. فيجب أن تفعل الشيء الذي تخشى فعله».

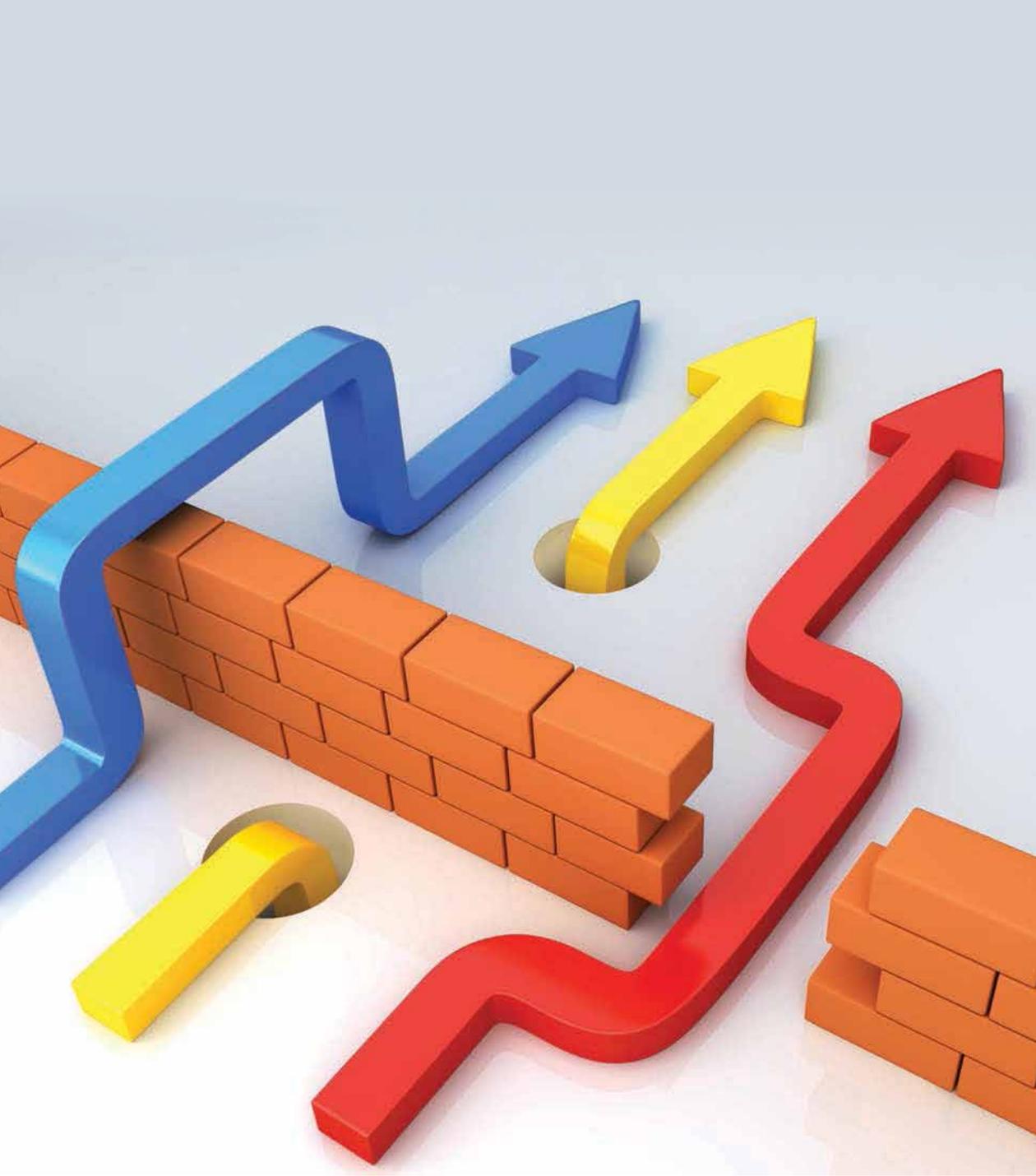
لا تعط المواقف أكثر من حجمها الطبيعي، فإن كانت صغيرة فإنها جس الخوف لديك سيجعلها كبيرة فتسيطر على تفكيرك وتمنعك من البحث عن حل لها، أما إن فكرت فيها بعقلانية ووضعتها في نصابها الصحيح، وفي حجمها الطبيعي فإنك ستكون مرتاح الخاطر وأنت تبحث لها عن حل ملائم، فالتجارب الإنسانية تثبت أن أكثر تخوفات الإنسان لا تتحقق وأن ٨٠ إلى ٩٠٪ مما يخاف وقوعه لا يقع.

ثقتك بنفسك وبما تؤمن به من مبادئ راقية، ومثلي نبيلة يبعثك عن الخوف من وقوع المحذور الذي تخشى وقوعه، لأن من يحمل القيم السليمة، الواضحة التي لا

(١) رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧).

(٢) سورة الطلاق: الآية ٣.

شائبة فيها كالأمانة والصدق والنزاهة وتقدير الذات يصبحُ طريقه واضحاً منيراً. لا تخش من التغيير، والتجربة، والإقدام على الفعل الجديد بحجة أنك تخاف الفشل، فبقائك في مكانك سيعيقك من تحقيق آمالك، وطموحاتك أمّا إقدامك فهو الخطوة لك لتشتيت مخاوفك التي ستجدها فيما بعد أنها كانت مجرد فقاعات فكما تقول (هيلين كيلر): «تجنب الخطر ليس أكثر أماناً على المدى البعيد من التعرض له.. فالمخاوف ستلاحقك في جميع الحالات»





## التخطيط طريقك للغايات:

سر التقدم هو البدء، والسر وراء  
البدء هو تجزئة الأعمال المعقدة.  
إلى مهام صغيرة تسهل إدارتها  
وبعد ذلك البدء بأول مهمة.

Mark Twain

أغلبنا بعيدون عن التخطيط المنظم  
في الأمور الأهم، كل شيء يُقضى في  
الدقائق الأخيرة، أساء المواليد تعلق  
حتى ما بعد الولادة وكأن الأمر  
مصادفةً قد حدث وليس بعد تسعة  
أشهر.

مشتريات الأعياد والمناسبات تؤجل  
حتى الأيام الأخيرة أو ليلة المناسبة أمور السفر تُركن حتى اللحظات الأخيرة.  
ما يتعلق بتشطيبات المنازل يُبحث عنها في ساعتها، المصالح تُقضى في الأوقات  
الضيقة، وتُحسب المسافات لقضاءها بالكيلومترات والدقائق وكأنها مسألة حسابية  
تحل على الورق.

الزواج لدى كثيرين يحدث بشكلٍ مبالغٍ دون تخطيطٍ وكأنه كأي مشروع لا يستحق  
التخطيط في الحياة.. أغلب الأشياء في حياتنا يُقضى دون تخطيطٍ مسبق.. وسيكون  
أمراً مبهرراً واستثنائياً إن تم التخطيط له آنفاً.

ما يفعله أغلبنا هو الجري وراء الأمور السطحية في الحياة في حين يتم تجاهل أو  
إهمال التخطيط في الأمور الأساسية في الحياة.

يقول ستيفن كوفي في كتابه العادة الثامنة من الفعالية إلى العظمة:

«إذا كنت تقوم فقط بالتخطيط اليوم فقط خارج الإطار الكبير المكوّن من قيمك  
وأهدافك المتعلقة بكل دورٍ من أدوارك في هذه الحياة وخارج إطار التخطيط  
الأسبوعي فسوف تقضي وقتك في إطفاء الحرائق وإدارة الأزمات، سوف تصبح  
الأمور الملحة هي الأمور المهمة بالنسبة إليك وستصبح مدمناً على القيام بها سوف

تقضي حياتك المتوترة غارقاً في الأمور السطحيّة».

يقول أحدهم: «لقد كان والدي صاحب همّة عالية لا تترك له وقتاً للراحة ولا متسعاً للإسترخاء، فقط كان يومه يبدأ بعد صلاة الفجر إلى الليل، يشتغل هنا، وهناك لكنّه كان بعيداً عن التخطيط، فيومه في الأغلب لا يُثمر، فما بينه اليوم يعود لهدمه في الغد».

هذه مشكلة أغلب النّاس، يجرون وراء قضاء المصالح دون غايات وذلك لأنهم لا يخططون مسبقاً لها ولهذا تضيع هدراً ويصدق عليها المثل القائل: «تمخّض الجمل فولد فأراً»، كثيرٌ من النّاس يتركون حياتهم للصدف هم على شاكلة من «إذا الريح مالت مال حيث تميل» فتمضي أعمارهم دون تحقيق إنجازٍ لأنّها مضت عشواء متخبّطة لا تعرف عن الأولويات شيئاً.

أحد العرب سافر إلى الغرب مصطحباً أسرته من أجل الدراسة، حاصلاً على موافقة عمله لإجازة عامٍ واحدٍ فقط دون راتب، وهناك تفاجأ بأن عليه أن يدرس عامين لأجل الحصول على الشهادة المطلوبة، ومع هذا استمرّ وهو ينفق على البيت المستأجر آلاف الجنيهات لإصلاحه وكأنه سيقوم فيه عشرة أعوام، ومرّ العام وطلبت منه جهة عمله العودة، عاد بلا شهادة بعد أن أضاع عاماً كاملاً من عمره وأنفق فيه عشرات الآلاف من الجنيهات.

وعند مروري على بيتٍ وسط وادٍ سألتُ كيف لصاحب هذا البيت أن يغمض له جفن في بيت بوسط وادٍ فقيل لي: أنّه أثناء البناء أحاط به الوادي فما كان من صاحبه الذي كان متواجداً إلا أن صعد على السطح يطلب النّجدة.

مثل ذلك وهذا كثيرون يضيعون أوقاتهم وأعمارهم وأموالهم بسبب من عدم التخطيط أو ضعفه.

أناسٌ كثيرون يسافرون من أجل قضاء غايةٍ دون تخطيط فيفشلون. منهم الذي يسافر إلى دولةٍ أخرى فيريد أن يحصل على مُرادِهِ في اليوم نفسه دون أن يضع في تفكيره أن

بيت ليلةً، أو يمكث أياماً لا اختيار المناسب، ومقارنة الأسعار، ومعرفة طبيعة الباعة وكيفية التعامل معهم وغير ذلك، يتعجل في الاختيار ويتعجل في الدفع ليفرّ عائداً على عجل حاملاً غنيمته، ثم حين يعود يكتشف النقائص والعيوب.

ومنهم من يسافر للسياحة دون تخطيط وهناك يلقي الأمرين بدل الراحة والإستمتاع.. ومنهم من يعتمر أو يحجّ برفقة قافلة لا يعرف عنها شيئاً فيلقى الضنى والكلف..

وهكذا يمضي الناس في أمورهم دون تخطيط في حين فإن تفكير ساعة كما يقال يوفّر ساعتين عند التنفيذ، وتقول عبارة إنجليزية If you fail to plan you plan to fail وتعني إذا فشلت في التخطيط فقد خطت للفشل.

كثير من الناس يتخبّطون في يومهم، فتسألهم ما هو الجديد؟ فيردون عليك: لا جديد تحت الشمس، بينما لا تشرق الشمس إلا على جديد، فلسان حال اليوم ينادي عند بزوغ فجره الإنسان قائلاً: «يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاعتمني فإني لا أعود»

فكيف يغتئم الإنسان يومه إلا بالتخطيط المسبق؟!

سألت ابنة ب(يتر دراكار) أب الإدارة في العالم والدها: كيف يمكن لي أن أنجز أعمالي المتراكمة على مكتبي، في الوقت نفسه عليّ الإهتمام بطفلي؟ فقال لها: اسألي نفسك: What is the direction ما هو الإتجاه؟ حينها تستطيعين ترتيب الأولويات وفق ذلك الإتجاه، وقضاء أعمالك بكل أريحيّ.

إذن فمعرفة الإتجاه هو مفتاح السر، ولعلّه سرّ قديم بدء مع خلق الإنسان، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١).

يعشش الخوف من التخطيط في أذهان الكثيرين، ولذلك قائل قائلهم «أنفق ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب»، ويقدم البعض على الأمور إقبال الذي أغمض عينيه وأصمّ سمعه، كالهواي من أعلى قمة وفي اعتقاده بأن فراشاً وثيراً سيستقبله.

تقول القاعدة: «ليس هناك فشل في الحياة ولكن هناك خبرات وتجارب» ولهذا حين سئل أحد المديرين الناجحين عن سر نجاحه في الحياة قال: «القرارات الصائبة» ف قيل له: «وكيف تأتي بالقرارات الصائبة» قال: «من الخبرة» ف قيل له: «وكيف أتت الخبرة» فقال: «بالقرارات الفاشلة» التخطيط لا يعني التمسك بحذافير ما تم التخطيط له تمسكاً أعمى بل إن المرونة مطلوبة مع بزوغ الفرص السانحة الأفضل، أو مراجعة الخطط الموضوعة هو أيضاً أمرٌ هام، فالكثير من المؤسسات تبتعثُ موظفيها دون حاجةٍ تنظيمية، ودون دواعٍ تتطلبها ضرورات العمل وخططه الإستراتيجية وإنها يحدث الأمر عشوائياً خاضعاً لرغبات شخصية وتوجهاتٍ لا ترتبط بالمنظمة وهنا فإن الموظف لم يزد شيئاً على وظيفته بل يصبح عبئاً على جهة عمله ويصبح الأمر معاناةً للإثنين، ولا يعني التخطيط أن لا تحدث أمورٌ خارجةٌ عن الإرادة أو الحسبان بل يحدث منها الكثير في الطريق، وهذا أمرٌ مسلمٌ به، ولكن التخطيط كذلك لا يقتصرُ على الأمور اليومية بل التخطيط في أصله يؤسس للأمر الأساسية في الحياة، تلك المرتبطة برسالة الإنسان وقيمه واعتقاده، فمن كانت إحدى قيمه مساعدة الآخرين فإن تلك قيمةً متينةً في إطار التخطيط وفي إطار التخطيط العام يأتي استثمار الفرص .

لقد قام ديننا الحنيف منذ نزول الوحي على تخطيط، ونهض وفق خطةٍ قويمه حتى أضاع المسلمون التخطيط البناء وانخرطوا في جدالات سقيمة، وانشغلوا بمسائل في العلم والحياة لا ترتبط بتخطيط قويم تأسس عليه الإسلام.

واليوم يبين سلوك أغلب المسلمين فقدان التخطيط في حياتهم إلا القلة منهم.. أولئك العصاميون الذي نظروا إلى مواقع أقدامهم قبل أن يضعوها، ولذلك أبصروا على يقين، ومضوا على بصيرةٍ فنجحوا.

## التسامح خلق المبادر:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ  
أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤)

سورة فصلت

تأملتُ كلمة التسامح فوجدتها عذبةً في اللسان سلسلةً في المنطوق، رقيقةً، ذات رنينٍ جميلٍ في السَّماع، لكنها ثقيلةٌ على النفس، يقبلها العقلُ كلمةً مجردةً لكنه يجدُ كلفةً في تطبيقها واقعاً.

فماذا الذي يمنعُ كثيراً من البشرِ من

تطبيقها، ورفضِ التخلُّقِ بها، وتحميدِ الغلظةِ، والحدّةِ، والغضبِ، والكبرياءِ بديلاً عنها، إن المسامحَ كريمٌ كما يقالُ في المثل وكرمه هذا يصدرُ من نفسٍ زكيةٍ، واسعةٍ لا تضيقُ مع أغلاطِ الناسِ، ولا تتكدرُ مع سقطاتِ أنفسهم ولا تهبجُ لإستفزازاتهم. إنه كريمٌ لأن الكرمَ هو بذلُ العطاءِ في وقتِ الشدّةِ، والشدّةُ هنا حين يُغلظُ الناسُ في قولهم المهين، ونقدهم المشين فيقابلهُ هو بعطاءِ التسامحِ والعفو، وهنا يعلو بمكانته فوقهم مكانةٌ ويسمو بخلقهم مرتبةً يحسده عليها الناسُ.

إن مصيبةُ أغلبِ البشرِ في أنّهم غير متسامحين، يهبجون للكلمةِ الخارجةِ دون قصدٍ عن مسارها، ويؤلّونها كما تصوّر أنفسهم الضيقة، وعقولهم التي لا تحملها حقيقةً أن عظمةِ النفسِ تكمنُ في التّسامحِ فهو خُلقٌ لو تحلّى به المرءُ لعلى منزلةً، وارتفع قامتهُ بين الناسِ.

ولو نظرت لأكثرِ خصوماتِ الناسِ لقلت: إنّهم لو كانوا متسامحين لما تخاصموا.. ولو عفوا لما كابدت قلوبهم من الضيقِ، والبغضِ، والحقدِ والمشاكساتِ ما كابدت، ولعاشوا كبارَ النفوسِ، لا تغيبُ الإبتسامَةَ عن شفاههم، ولا يفارقُ البشُرُ وجوههم. يقول سيدنا علي رضي الله عنه: «من لانت كلمتهُ وجبت محبّتهُ، وحلمك على السّفيةِ يكثرُ أنصارك عليه».

ويفهم أن من أنزل نفسه إلى مرتبة السفية حطَّ من قدر نفسه وخلطَ الناسُ عندها بينه وبين السفية.

يخبرني أحد الأصدقاء أن رجلاً جاءه مدفوعاً بكبرياءٍ زائفة، ونفسٍ مغرورة، يأمره بفعل شيء لا توافقه نفسه على فعله وحين يسر منه هذا الرجل رأى من رفضه إهانةً لشخصه، فوجه إليه كلمةً مُهينةً، لكنَّ الصاحبَ الذي يُخبرني ردَّ عليه بالكبرياءِ الصادقِ، والأنفةِ الأصيلةِ: سأمك الله، ولقد كانت هذه الكلمة كالسهمِ الجارحِ على قلبِ ذلك الموهوم بعزّةِ نفسه، وحين أسمع رجلٌ سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعض ما يكره، ردَّ عليه: لا عليك إنَّما أردت أن يستفزني الشيطانُ بعزّةِ السلطانِ، فأنا ل منك اليومَ ما تناله مني غداً، إنصرف إذا شئت.

إن الواحدَ منّا إذا استطاع أن يستبدل الغضب بالحلم، والعجلة بالأناة فإنه لا شكَّ سيكونُ في مأمن، فإننا نستطيع أن نقرّر ردة أفعالنا بشرط أن نتمهّل في الردِّ، وحينها سنفكرُ بشيءٍ هام وهو أن لا نوذي أنفسنا فإذا أيقنا بذلك توقّفنا عن ردة الفعلِ المنتقمةِ وانتصرنا لأنفسنا بالتسامح يقول الله العفو الكريم:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾<sup>(١)</sup>.

كثيرٌ من الناسِ يترصدون الأخطاء من أقرب الناسِ إليهم، لا تعرفُ أنفسهم التسامح إن أخطأ فيهم أحد، ولا تركزُ إلى العفو إن نالها أحدٌ بغير قصد..

هؤلاءِ يكونُ التعاملُ معهم كما يورد ديل كاينجي عن فقرة وردت في نشرة صادرة ذات يومٍ من الشرطة الأمريكية في إحدى المدن، تقول: «إذا سوّلت لقوم أنفسهم على أن يسيئوا إليك، فامحُ من نفسك ذكراهم، ولا تحاول الإقتصاص منهم، إنك إذا تبيّت نية الإنتقام تؤذي نفسك أكثر مما تؤذيهم»، هذا هو بالفعل ما سيحصلُ للنفس فالمنتقم يؤذي نفسه قبل أن يؤذي الآخرين.

قصَّ عليَّ أحد المقرّبين يقول: أنه كان يطلبُ القُربى من أناسٍ، لكنَّ بعضهم كاد

له المكائد كي يُثنيه عن مقصده، ويرده عن مبتغاه، ونفسه تجاهد كي تظفر بآماله، وتحقيق أحلامه فيمن كان يراها الإمراة التي يستطيب لها قلبه، ويسعد بها معاشه، فلما أن مكّنه الله وحقق له ما أراد لم يجد في نفسه ذرة من غرور الإنتصار على الرافضين، وإنما ساعهم وعفا عنهم، فصارت بينه وبينهم أدمة طيبة، وسيرة حميدة. إنك لتكسب الناس حين تعفو عن زلاتهم، وتغفر لأخطائهم، وتفسرها على أنها غير مقصودة، وأتالن تنتقص من شخصك شيئاً، وأن تعلم أن الشيطان ينزغ بين الناس ويدخل في دمائهم فلا تركز إلى وساوسهم وأغلب الناس يقرؤون الآية الكريمة: «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، فيقولون: إن بعض الظن فقط هو إثم.. محاولين تعصيد ظنونهم التي لا تدخل في باب الإثم، لكن أخرى بهم أن يتمثلوا بالآية من أولها فيقرأوها كاملة، حيث يقول الله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾<sup>(١)</sup>، إذن فإن أكثر الظن مبغوض، يورد ابن كثير في تفسيره للآية مقول سيدنا عمر بالخطاب التي قول فيها: وَرَوَيْنَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَلَا تَظَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ إِلَّا خَيْرًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ حَمَلًا» .

أتذكر أن رجلاً كان يتحدث في برنامج إذاعي عن قيمة التسامح، ثم حين ذكر اسمه تذكرت موقفاً لهذا الرجل يُقصيه عما يتشدد به من التسامح، لقد هاجم من لم يوافق في فكره ومعتقديه وظن به ظناً غير حميد، فإذا كان التسامح مطلوباً عند غير أتباع العقيدة الإسلامية فما بالك بالمسلم.. والقاعدة التي تؤسس لذلك هي ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿١٣﴾<sup>(١)</sup>، وهي تأتي سبحانه الله بعد النهي عن الظن والتجسس والغيبة التسامح إذن ليس شعاراً يُرفع وإنما واقعاً يُمارس مع المخالفين أولاً على نطاقٍ واسعٍ وهذا ينطلق من التوجيه السماوي، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾<sup>(٢)</sup>.

ويؤسفني أن أرى أناساً يدعون التسامح وهم أغلظُ الناس قلوباً إن تعرّضوا لما يغضبهم لأنفسهم وليس للحق، ويتخذون من التسامح شعاراً براقاً فإذا خالفهم أحدٌ في الرأي خرجوا من العباءة الزائفة التي كانوا يتلفعون بها فإذا بهم على حقيقتهم دون مواردٍ ضيقوا النفوس، مستعجلون في التهمة، متهورون في الظن، وهكذا فلن تعرف حقائق الناس إلا عند التجارب فهي التي تُظهرهم على حقيقتهم. التسامحُ خلقٌ عظيم لا يناله إلا عظيم النفس، واسع القلب، ذلك الذي يثق بنفسه عند الأهواء والمغريات، فلا تستفزّه كلمة طائشة، ولا فعلٌ متهور، وهو ثابت كالجبل الشامخ، الأصم أمام صغار النفوس، وأقزام القامات، أو هو عفوٌ عند قدرته على الانتقام، أو متسامحٌ لما خالف رأيه من الآراء.. هكذا ينال المرء عظمته، ويعلو شأنه...

وهذا ما يجبُ أن يكون عليه المبادر.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

## فشل النجاح:

«إن لي نفساً تواقّة، كلما حصلت  
على شيءٍ تاقّت إلى ما بعده»  
عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

إنّها لفكرةٌ تثيرُ الإهتمام بل  
والإستغراب، كيف يكون النجاحُ  
طريقاً للفشل، هذا هو الإنطباع  
البديهي الذي يقابلُ عبارة: «لا شيء  
أكثرُ فشلاً من النّجاح»، نعم فالنّجاحُ

وإن كانت له محطّاتٌ هي عبارةٌ عن أهدافٍ وإنجازاتٍ تم تحقيقها ونيلها، إلاّ أنّه في  
الحقيقة دربٌ متواصلٌ من العمل! العملُ الدؤوب وحده يضمنُ استمرار النجاح.  
لا شيء أكثرُ فشلاً من النجاحِ إذن حينما يستسلم المرء لأهدافها حقّقها أو لإنجازاتٍ  
ظفر بها، أو لمطامحٍ حازها يصيبه الغرور، ويظنُّ نفسه أنّه قد وصل إلى الغايات  
العليا التي لا تفوقها غاية، ولا تعلو عليها قامة، وحينها يتوقّف عقله عن الابتكارِ،  
وعضله عن الإشتغالِ، وفكره عن التّدبر فتُموتُ فيه الحماسة لأنّه في نظرٍ نفسه قد  
حقّق ما كان يصبو إليه، ووصل نهاية المضمار، والمتّصفون بهذه الصفات كثيرون في  
مجتمعاتنا فلمجرّد ما يظفر الإنسان بما كان يريدُه وظيفَةً أو زوجةً أو بيتاً أو بعضها أو  
جميعها، أو لمجرّد أن يحقّق نجاحاً في مشروعٍ معيّن، فإنّ قواه تُحمد، ونشاطه يذوي،  
وحماسته تبهت، فتجدهُ مترهلاً لا شغلَ له، وكأنّ دوره الحيوي في هذه الحياة قد  
انتهى، وتجدهُ غارقاً في المقاهي، مواظباً على جلساتها، وكأّتها هي احتفالاته المستمرّة  
بالنّجاح وتجدهُ يتخذُ موضع المدافع عن نجاحاته، المنافع عن إنجازاته، مهدراً قواه  
في الردّ على هذا، ودحض حجّةٍ ذاك.

إن من البلاءِ الوخيم أن يشعرَ متقاعدٌ أنّه راضٍ عن نفسه، ويقفُ عند حدودِ  
التقاعدِ، معطّلاً كل القوى التي كان تحرّكه، ومجمّداً كل الأفكار التي كانت تثيري  
حياته، ليستسلم لأسباب الإسترخاءِ ويشعرُ بالإكتفاء، فلا يواصلُ العملَ بأيّة

طريقة تكفل له استمرار نجاحاته السابقة.. وكم أستمعت إلى بعض من ينتقد أداء الآخرين، ويثني على أداءه من منطلق شعوره بأنه قد نال من المعرفة حظاً وفيراً، ومن الحكمة نصيباً كبيراً أرثي عليه.

وقد شاهدتُ واستمعتُ أحد هذه النماذج في أحد البرامج وهو ينتقد هذا وذاك، ويمتدح إنجازاته وإنجازات جيله، وحينما سأله المذيع عن ماهية النقد، تأرجح في كرسيه وتوتر، فاختلط عنده الحابل بالنابل فلم يدر ما يقول.. ولو تواضع هذا الرجل لنجح ولتحدثت بأريحية، ولسان حاله يقول: إن التواضع سر النجاح المتواصل.

يروى لي أحد المسؤولين عن التدريب في إحدى المؤسسات أن كثيراً من المدراء يرفضون الدورات التدريبية محتجين بأنها يجب أن توجه للموظفين الصغار، لقد شعر هؤلاء المديرون بالرضا عن أنفسهم والإكتفاء.. وهذا ما يجعلهم بليدين غير منتجين، متوقفين عن نقاط معينة، ينظرون إلى الخلف، نحو نجاحاتهم، ولا يرون أن في اكتساب المعرفة نجاحاً متواصلاً ألم يقل سيدنا عمر بن عبدالعزيز: لا يزال المرء يتعلم ويتعلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل؟!

مثل هذا النموذج المغرور حينما رأى أحد الناجحين وهو مستمرٌّ في نشاطه وحيويته لم يستطع أن يكتم حسده وغيرته فقال له حاقدًا: أتأخذُ زمناك وزمن غيرك!

يروى (روبين شارما) في كتابه (دليل العظمة) قصته حينما ذهب إلى مطعم إيطالي مشهور، يتهافتُ عليه الناس، لكن الخدمة فيه سيئة جداً يقول: طلبت من النادلة أن تتكرم وتلتقط صورة لنا ونحن نتناول العشاء فردت بإجابة جافة مقتضبة «ليس لدي وقت» يضيف شيء لا يصدق! مشغولة لدرجة أنه ليس لديها خمس ثوان لكي تسعد أحد عملاءها!! ويعقب: إنهم لا يعرفون أن الإستسلام للنجاح هو بداية نهايتهم..! ويخبرني أحد الأخوة قائلاً: إشتريت جهازاً من إحدى الشركات المرموقة في البلد، وحينما أصابه عطل، توجهت إليهم فقالوا أن علي الذهاب شخصياً إلى

ورشة إصلاح الأعطال في منطقةٍ أُخرى وهذا يذكّرني حين أعدت جهاز نظم المعلومات خاصتي إلى الشركة التي زعمت إصلاحه، فأوجدت فيه خللاً لم يكن فيه سابقاً، وبالرغم أن هذه شركة ناجحة في بداية طريقها إلا أن خدمتها سيئة فقد أنكروا أنهم سبّبوا الخلل، مما يعني اتهامهم للزبون، وبعد أن أدبرت عنهم تلقيت رسالة نصّية على هاتفي «شكراً على اختيارك لنا زرنا مرةً أخرى «فهل لي أن أعود إليهم وهم بهذا السوء من الخدمة؟! هؤلاء يراهنون بنجاحاتهم لأنهم يفرطون في جودة الأداء».

عقب وزير الداخلية البريطاني Alan Johnson ذات مرة على بعض المؤسسات المعنية في حماية أفراد المجتمع قائلاً: «هذا نموذج للرضا الذاتي الذي نسعى للقضاء عليه أينما كان»، وما أكثر المؤسسات التي تشعر بالرضا الذاتي فتفشل في أهدافها، وتضيع قيمها.. وما أكثر المؤسسات الحكومية والخاصة التي تسبب رضاها الذاتي في تدهور خدماتها، وكثرة أخطاءها، وضعف أداءها.. نعم لا شيء يمكن أن يردي الإنسان إلى مهاوي الفشل كاستسلامه للنجاح.

لقد تعلّمنا من نبينا الكريم أن الإنسان لا يقف عند حدود الرضا والإستكفاء بل يواصل ما يديم نجاحه وفلاحه، لقد كان - صلى الله عليه وسلم - يصلي من الليل حتى تفتطرت قدماه، فقالت له السيدة عائشة - رضي الله عنها - : «هون عليك، لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أفلا أكون عبداً شكوراً.. والشكر ديمومةٌ للنجاح لأن الشاكر العظيم يقول:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ (١)

فكم من الناس من يتوسّد ماضيه، فلا يستذكر سوى نجاحاته التي يتبجح بها وكم منهم من يتلذذ بعبارات: نحن قمنا بكذا، وفعلنا كذا، وهم يلوكونها مراراً وتكراراً في كلّ مناسبة حتى ملّ الناس منهم واجتنبوهم نعم للمرء أن يفتخر بنجاحاته ولكن

عليه أن لا يستسلم للشعور بالرضا الذاتي، والغرور، فالنجاح هو أن تستمرّ بالعنفوانِ والحيوية، والمثابرة، والتواضع «فإن جاءتك الساعة وفي يدك غرسة فلتغرسها» كما جاء في الحديث الشريف لأن النجاح أن توصل العمل الحسن الديني بالآخرة حتى آخر نفسٍ في حياتك.. حينها يكون نجاحاً أصيلاً وليس مؤقتاً.

## الرضا الذاتي.. معضلة المبادر

الرضا يكمنُ في الجهدِ لا في  
المكسب. الجهد التام هو النصر التام

أنديرا غاندي

يُحسب بعض الناس يُحسبُ أنّ  
القَمَّةَ هي ذروة ما بلغوه، ولذلك  
يغشاهم ويخدرهم «الرضا الذاتي  
complacency» وهو داءٌ سلبيٌّ في  
هذه الحالة.

القَمَّةُ في نظر البعضِ أن تحقّق بعض  
الإشترطات الأساسية للمعاش الحياتي ثم تنزوي بعيداً، خامداً، تضعُ القدمَ فوق  
القدم لا تحبذُ شُغلاً، ولا تطيقُ ثقلاً ولا تتمهنُّ عملاً وما ذلك إلا جهلاً، وهو ما  
يحدثُ لكثيرٍ من المتقاعدين أولئك الذين رأوا أئهم وصلوا القمَّةَ، وما يعني التقاعدُ  
لهم سوى شهادة الكفاءة على منجزاتهم، بينما هو الإنحدار للجانب الآخر من  
القمَّة إن هم اختاروا هذا السبيل، واستسلموا لمنجزاتٍ مرّت.

لقد أعجبنى صديق في كفاحه إذ أنّه بالرغم من مسؤولياته العديدة في جوانب مختلفةٍ  
في الحياةِ أُسريّةٍ كانت أم وظيفيّةٍ يواصلُ طلاب العلمِ قائلاً: ليس للعلمِ قَمَّةٌ  
ومردداً قول المتنبي:

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمرٍ حقيرٍ

كطعم الموت في أمرٍ عظيمٍ

ولهذا فإن هذا الصديق لا تهدأ له نفس، ولا يقرُّ له جفنٌ حتى يكتسبَ شيئاً ما  
يضيفُ إليه معرفةً وجدّ ذات مرّةٍ متّسعاً في مدينةٍ من مدن دولةٍ غربيّةٍ لبعض

الساعات اعتذرتُ له فيها عن إنشغالي لقضاء بعض الأعمال، وحين سألته كيف قضى وقته، قال لي: لقد أُجريت إحصائية إقتصادية بعد أن مضيتُ إلى العديد من المحلات التجارية وقابلتُ العديد من العاملين فيها، كل هذا حدث في بضع ساعات وفي مدينة غربيّة ولم يكن ذلك غريباً على رجلٍ لا يقنع بما دون النجوم.

وتحدّثني طالبةٌ في إحدى الكليات تقول: «كنت أرى الحارس الكبير السن يقرأ فكنت أعجبُ بإهتمامه بالقراءة، ثم غاب فسألت عنه فقيل: إنّه يجتبر للشهادة العامّة، فازددتُ إعجاباً به»

وفي إحدى المناطق رأيتُ عمارةً بارزةً في فضاء فكانت عملاقة مقارنةً بغيرها.. قلتُ في نفسي: ربّما يخالجُ الإعجابُ نفس صاحبها لأن هذه العمارة هي أعلى قمةً في المكان، ثم بعد فترةٍ من الزمن قامت عمارةٌ أخرى أعلى منها بثلاثة أضعاف فحدّثت نفسي بمثل ما حدّثتها للعمارة الأولى ثم قلت: ما هو شعور صاحب العمارة الأولى الآن؟!!

إن منظر هاتين العمارتين كالناس، إذ يتتابُ أحدهم الشعورُ بأنّه قد وصل القمة التي لا يطاولها أحد، فإذا به يرى أنّ أحداً قد بزّه، وطاوله فأصبح قزماً أمامه فإمّا أن يواصل كفاحه مثابراً، وإمّا أن يرضخَ مستسلماً أو يتفرّغ للحسدِ والغلِّ ورمي الآخر بما شاء من الاتِّهامات، وقد يتعذر البعض بالقناعة.. إنّما القناعة هي قرينُ العملِ والكفاح وليس قرينة الخمول والدعة والكسل، وإنني لأشفق على الكثيرين من الشباب والفتيات مضي العمر في المقاهي، أولئك الذين يجسّدون مثلاً غير حميد لأبناء أمتهم بإهدارهم الوقت، والوقتُ جوادٌ غير محدود العطاء إن مُلاً بالعمل.. إنّهُ لمنظر محزن، ذلك التكدّس في المقاهي من أجل شيشةٍ حقيرة أصبح لها رواجها في مجتمعاتنا حتى جعلها البعض علامةً من علامة التّحضر وما هي إلا علامة من علامات التّفهقر.. ويؤلمني أكثر أن يكون الواعين، العقلاء هم من مناصريها ومن أبرز جلاّسها.

إنّ ما لا يدركه الكثيرون هو أنّه كلّما تقدّم الإنسان خطوةً ازدادت مسؤولياته

وواجباته، وازداد تواضعه.

وقد أعجبتني في هذا الصدد كلمة قالها رئيس الإتحاد الإنجليزي حينما فرض عقوبات على مدرب نادي مانشستر يونايتد «السير فيرجيسون» لتهجمه على أحد الحكام، قال: «إننا نقدر إنجازات فيرجيسون الكبيرة ولكن كلما زادت إنجازات الإنسان كبر حجم مسؤولياته»، وهو كلامٌ منطقي ومعقول يتجاهل حكمته الكثيرون.

المسؤوليات قمة، والقمة سلطة، والسلطة قوة، والقوة إما أن تكون قهرية، استبدادية أو حكيمة، رشيدة فالاستبدادية أوصلت الإنسان إلى حدود التهادي والتطرف والتجاوز، ففي الملك لقب أحد الملوك نفسه بـ «ملك الملوك»، تمادى فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤)، وفي المال قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٢) وهي نفس المقولة التي وردت في القرآن الكريم على لسان من ينعم الله عليه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩). (٣)

وبالرغم أن المنطق في العلم يقتضي الخشية من الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٤) فإن كثيراً من الناس يقول ما قاله لي أحد الغربيين أنني أشغل في حقل العلم ولذلك لا أؤمن إلا بالدليل المادي على وجود الله وهذا وأمثاله لم يزد هم ما يكتشفونه أن الأرض هي مجرد كونٌ بسيط في ملكوت عظيم يصيب بالرهبة والخشية من خالقٍ عظيم..!

ومن الناس من يزكي نفسه أو يزكي على الله، والله يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ

(١) سورة النازعات: الآية ٢٤.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٩.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٨.

أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾<sup>(١)</sup>، وفي تفسير القرطبي قوله عن هذه الآية: وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: «سَمَّيْتُ ابْنَتِي بَرَّةً فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ هَذَا الْإِسْمِ وَسَمَّيْتُ بَرَّةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبَرِّ مِنْكُمْ» فَقَالُوا: بِمِ نُسَمِّيهَا؟، فَقَالَ: «سَمُّوَهَا زَيْنَبَ»

فَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى الْمُنْعِ مِنْ تَزْكِيَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَيَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى مَا قَدَّ كَثُرَ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ الْمُضْرِيَّةِ مِنْ نَعْتِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالنُّعُوتِ الَّتِي تَقْتَضِي التَّزْكِيَةَ كَزَكِيِّ الدِّينِ وَمُحْيِي الدِّينِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لَكِنْ لَمَّا كَثُرَتْ قَبَائِحُ الْمُسَمَّيْنَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ ظَهَرَ تَخَلُّفُ هَذِهِ النُّعُوتِ عَنْ أَصْلِهَا فَصَارَتْ لَا تُفِيدُ شَيْئًا.

وَأَمَّا تَزْكِيَةُ الْغَيْرِ وَمَدْحُهُ لَهُ، فَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مَرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِبُهُ اللَّهُ وَلَا يُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»

فَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُفْرَطَ فِي مَدْحِ الرَّجُلِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَيَدْخُلَهُ فِي ذَلِكَ الْإِعْجَابِ وَالْكَبْرِ وَيَظُنُّ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى تَضْيِيعِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْفَضْلِ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ».

ولقد شهدت في مناسبة منذ أيام أن أحد أصحاب النظم الشعبي قد مدح بما ليس فيه فتسبب هذا المدح في إدخال الإعجاب والكبر في نفسه فأطال على الحضور، ونغص عليهم، وأثقل أنفاسهم.

إن القممة قرينة المسؤولية، وهذه إن لم تفرض التواضع فإنها تكن شوكة لا صرحاً شاهقاً.. والقممة قرينة الكفاح فلا قممة لشيء إنما القمم هي ما صنعه الخيال إما





كي يحثَّ الإنسانَ إلى الإجتهدِ وإمَّا كي يحدِّره ويُسلمه للظلال وهي قرينة التراخي والكسل.. وما أكثرَ من المستسلمين الواهمين في مجتمعاتنا.



## صناعة الفرص:

بادرِ الفرصةَ واحذرْ فوتها ..  
فبلوغُ العزِّ في نيلِ الفرصِ  
فابتدرْ مسعاك واعلمْ أنْ مَنْ ..  
بادرَ الصيدَ مع الفجرِ قنصَ  
البارودي

صناعة الفرص مهنة المبادرين الناجحين، أمّا صناعةُ المشكلات فمهنةُ المتقاعسين الفاشلين، أناسٌ يلمسون الخشب فيحولونه إلى ذهب، وغيرهم يكنز الذهبَ ويجري وراء الخشب. إن المبادرة تتجاوز فكرة «إذا هبت رياحك فاغتنمها» إلى فكرةٍ أسبقَ منها وأجدر وهي «بادرْ لتُصنعَ من ربحِ المني فرصاً».

فالفكرةُ الأولى تتضمنُ انتظار الرياح كي يُغتنم هبوبها مهما طال.. أمّا الثانية فهي روح المبادرة لصنع الفرص دون انتظار الرّيح هبت أو لم تهب، ففي الإنتظارِ وأدِّ للمواهب، وقتلٌ للقدرات الكامنة في أعماق الإنسان، وفيها أيضاً أهدارٌ للفرص الشاغرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾<sup>(١)</sup> وفيها تضييع للسوانح ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْنَتْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي﴾<sup>(٢)</sup>.

أمّا في الثانية فصنعُ الفرصِ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

مشكلة الكثيرين تكمن في الإنشغال بالمشكلات..

وإشغال الوقت بالحديث عنها وحولها وليس بتخطيطها والتفكير فيما وراءها،

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٢) سورة طه: الآية ١٢٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

بل وصنع الفرصِ منها، وهذا ما حدا بهم للإعتقادِ بأن الأيام هي التي تعالجُ جروحهم، وتشفي صدورهم، والظروف هي التي تغير أحوالهم، وتقوم شؤونه، مسلمين بمقولة الشاعر: «دع الأيام تفعل ما تشاء» ولهذا نكصوا عن فعلِ أيِّ شيء من شأنه تغيير حياتهم، بل انشغلوا بالماضي أكثر من انشغالهم بالحاضر والمستقبل، وهذه معضلة.

يقول: Brian Tracy «إقض ثمانون بالمائة من وقتك مركزاً على فرص الغد بدل مشكلات الأمس».

إن ما أفعَدَ الكثيرون، وألزمهم مساكنهم، وأحبط من همهم هو ثقافة التقاعس والخدر الذي سرى في أنفسهم انتظاراً للريحِ كي تهب، أو للسماءِ كي تمطر، أو للأمنيات كي تأتيه خيباً..!

في حين فإن المبادرة هي أساس ديننا الكريم

«لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً» حديث شريف في سنن الترمذي.

والتوكل هو روح المبادرة، لكن الكثيرون يفتقدون إلى المبادرة ولهذا يسعون إلى فلانٍ من الناس كي ينجز معاملاتهم، ويسهل لهم أمورهم، ويفعل عنهم ما لا يريدون أن يتجشموا عناء فعله حتى إذا أنجز العمل قللوا من شأن إنجازهِ.

إذن فلمَ لم تقوموا بأدائه بأنفسكم؟! يقول أحد الأصدقاء: «طلب مني أحدهم ذات مرة أن أساعده في إنجاز مصلحةٍ معينة فسعيتُ لإنجازها سعياً حثيثاً واجتهدتُ اجتهاداً مضنياً فلما سلّمته المصلحة جاهزةً قال: كنت أعرفُ أن الأمر بسيط ولن يحتاج لجهدٍ أو وقت» يقول الصديق: فحزّ في نفسي هذا التقليلُ من الجهدِ، والتحقير من المساعدة.

في البيوت عندنا كثيراً ما يعتمد الأبُّ أو الأم على أبنائهم في تقريبِ القريب من الأشياء، فينمو هذا الطبع في الأبناء فيما رسونه بدورهم على أبنائهم وهكذا دواليك.

إن دروس المبادرة يجب أن تبدأ من البيت حيث يقتدي الأبناء بالديهم، وتستمر في المدرسة حيث يقتدي الطلبة بمعلميهم، وتتواصل في العمل حيث يقتدي العاملون بمسؤوليهم.

لكن أين كل هذه المبادرات؟!

في البيوت تكثُرُعاملات لسببٍ أو لغير سببٍ ولهذا فلا يكاد الواحدُ يكلف نفسه عناء القيام من مقعده لإرواء نفسه العطشى جرعة ماء بنفسه.. وفي العمل يكثُرُ المراسلون لسببٍ أو لغير سببٍ فلا يكاد الواحد يكلف نفسه عناء نسخ ورقة، أو تسليمها لآخر، كأنه منهمكٌ في اختراع سيفاجأ البشرية به..!

في بعض دول الغربٍ دون أن ننظر إلى ذلك من المنظور الاجتماعي لا توجد عاملات في المنازل، لهذا نمت الإعتدال على النفس فرأينا رجالاً ونساءً هرمين في العمر لا تكاد قوائمه تعينهم على المشي وهم يتسوقون أو يقضون حوائجهم دون مُعين، لقد تعودوا منذ صغرهم على الإعتدال على الذات.

سيقول أحدهم لو كانوا في مثل تلاحنا وتقاربنا وتعاطفنا لاعتمدوا على أبناءهم أو أقربائهم مثلنا، فنقول نعم قد تكون محقاً، لكن الإعتدال على الذات خصيصة من خصائص ديننا الكريم، فرسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم كما روت عنه السيدة رضي الله عنها أنه: «كان يخيظ ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم» رواه أحمد، وهو قدوتنا في المبادرة.

وفي بلاد الغرب لا يوجد مراسلون في المصالح الحكومية والخاصة ومع ذلك لم يتعرقل العمل، ولم تنتظر المعاملات من يوصلها.

يقول أحدهم: كان يديرنا أحد الألمان فلم يطلب في يومٍ من الأيام من أحد أن ينسخ له مجرد ورقة بل يقوم وحده لأبسط الأعمال.

إن درجة الإعتدال على الذات تعلّم الإنسان المبادرة، تعلّمه أن يشق طريقه في صعاب الحياة، وفي أرزاءها بعزيمةٍ وصبرٍ ومثابرة، تعلّمه أن لا ينتظر الريح كي تهب كما قال

الشاعر فـ«الرجل الحكيم هو الذي يصنع الفرص أكثر مما يجد» كما يقول Francois Bacon فرانسيس بيكون، ولهذا وردت بعض الأمثال كي ترجح كفة المبادر على القاعد المتكاسل فأحد أمثالنا يقول: كلبٌ حائمٌ أفضلٌ من أسدٍ نائمٍ.

أمّا البعض من الناس فيفضّل القعود على الحركة، والكسل على النشاط، والخمول على العمل، حتى صرّح المطربون بهذا الكسل فهذا يصيح «هاتوا لي حبيبي» وذاك يبكي «هاتوا حبيبي» والآخر يسأل «يامين يجيب لي حبيبي».. وما رجائهم إلا انعكاس لثقافة سائدة حتى يروى أن سفيراً أجنبياً قال في سنواتٍ غابرة حين سمع المطرب ينشد أحد هذه الأغاني: حتى مطربكم كسول يطلب أحداً كي يحضر له حبيبه .

إن البحث عن الفرص أو صنعها هو الطريق الأمثل لكي يترك الإنسان أثراً لنفسه في الحياة، أمّا الذي يترك الأمر للزمن قائلاً: الزمن خير معلّم، أو يتركه للظروف قائلاً: «نتظر الظروف تُفرج» أو ينتظر الأزمة كي تحل، هو كالمقيّد الذي يرى طرف العقدة لكنّه لا يريد أن يحمل نفسه على حلّها، وإنّما ينشغل بالأزمة، ويؤذي قلبه بالمشكلة بينما لو نظر من جانبٍ آخر لرأى شيئاً آخر، قد يرى الفرصة ماثلةً أمامه من هذه الأزمة.

يقول المثل العربي «الخيرُ من بطنِ الشرِّ» وفي هذا السياق أيضاً،  
يقول مثلٌ صيني «الأزمات تأتي بالفرصة والتغيير».

كيف يا ترى هو حال وجودنا في الأرض منذ أن نزل سيدنا آدم وحواء عليها لولم يصنع الإنسان الفرص.

المبادرون الناجحون هم الذين أوصلونا إلى هذه المرحلة من التطور الإنساني في الإيمان والفكر.

الناجحون صنّاع فرص، لا يقرّ لهم قرار، ولا يهدأ لهم خاطر إلاّ بصنع الفرصة بعد الأخرى، والإنشغال بها بدل الإنشغال بالمشكلات، والسهر على أغنيات الماضي

وذكرياته، والبكاء على الأطلال كما بكى الشاعر الجاهلي.

يقول مثل إنجليزي: «الفرصة تأتي متنكرة في ثوب العمل الشاق»، والمثل يعني أن الفرصة لا تُرى من الشرفة عابرةً في الطريق وإنما يتوجه الإنسان إليها وهو متسلح بالمجاهدة والمثابرة والصبر والعزيمة.. فالعيب لا يكمن في السعي ولكنه يكمن في الخمود والدعة والسكون وطول الإنتظار، يقول الشاعر:

عليّ طلابُ العزِّ من مستقرِّه

ولا عيب لي إن خالفتني المقادرُ

فالنجاح الحقيقي هو السعي لاقتناص الفرص واستثمارها والاستفادة منها وما الفشل في حقيقته كما يتوهم بعض الناس في سعي الإنسان إذا حاول ولم يوفق بل الفشل هو في عدم السعي أصلاً، فكما يقال: الفاشل هو الذي إذا سقط لم يستطع النهوض مرّة أخرى ولكن لا ضير ولا عيب على من يسقط فينهض لأن الضربة التي لا تقصم الظهر تقوي وهكذا يستمر المبادر المتحملي بالإصرار والإقدام في سعيه الدؤوب دون كلل أو ملل لا تحمد له همّة، ولا تفتر به عزيمة.

## التفكير خارج الصندوق..

أحب أن أفكر خارج الصندوق، أنظر في الأعماق لما يحدث حقيقةً، لا أستطيع أن أقف منغلق العقل، ضحل التفكير، مجهول، يَحصرُ أغلبُ الناسِ خاصّةً في مجتمعاتنا أنفسهم داخل صناديق تقليديّة أغلبها متوارثة لا يريدون الخروج منها، وهم راضون كل الرضا عن هذا النسق التقليدي، غير المتجدّد لحياتهم، فحياتهم مجرد تكرار يومي لأنماط من العادات والتقاليد والكلمات والأفعال، بحيث يمكن للقريب منهم أن يتنبأ بردة أفعالهم، أو سلوكياتهم عند استشارتهم، أو مواجهتهم، أو الطلب منهم للقيام بأمر ما، لا جديد مبتكر يمكن أن يُتظَر منهم، ولا إبداع متصوّر يمكن تخيُّله كتناج لأفعالهم، وتفكيرهم، يعيشون في أطرٍ تقليديّة، ضيقة لم ينفعهم الإطّلاع على ثقافات الغير ولم يغيّر فيهم السّفر، ولم يبدّل منهم العلم، ولم

تحفّزهم الأنماط السريعة التغيّر للحياة من حولهم، ذوي أفكارٍ غير مبتكرة، وإنّما تقفزُ إلى القياس على ما سبق، وتلجأ إلى الأحكام المقرّرة، والحياة من حولهم تتجدّد، والعالم من حولهم يتغيّر وهم في مركزهم لا يتزحزون، ولا يتغيّرون، هؤلاء النّاس يحبّون أن يكتبوا بأقلامٍ معيّنة طوال حياتهم، وبألوانٍ محدّدة، وبطريقةٍ لا ثاني لها، يحبّون أن يسلكوا نفس المسالك اليوميّة، يرتادون نفس المطاعم والمقاهي، يشربون نوعيّةً واحدةً من الشاي أو القهوة أو العصائر، يلبسون ملابس ذات صنفٍ واحدٍ، يتشبّهون بهيئةٍ واحدةٍ، يقودون أنواعاً معيّنة من السيّارات، يختارون نفس الألوان، يردّدون نفس العبارات إن بعض هؤلاء يتبادلون نفس الخرائط التي يبنون عليها بيوتهم دون تغيير أو تبديل.. الرّغبة في البقاء في الصندوق هي التي تجعلهم لا يضيفون نقطةً واحدةً في هذه الخرائط..

فكيف يرتضون أن يسكنوا في أفكارٍ الغير؟! أذكر أن خارطة أحد المنازل قد تم نسخها من قبل عديدين دون تغيير نحن هنا نتكلّم عن شباب، لكنهم تقليديّون لا زلت ترى أن الكثير من رسائلنا تطبع باللون الأسود بالرّغم من تعدّد الألوان.



أحد الأصدقاء قال لي أنه حين نُقل إلى إحدى الوظائف اقترح أن تُعمل القرارات بألوان متعدّدة فثارت ثائرة الموظفين الآخرين وواجهوه بالإستغراب والحكم المسبق بمعارضة المسؤول الأعلى لوجود ألوان متعدّدة لكنّه أصرّ وحين رأى ذلك المسؤول الأعلى سرّاً لهذا الصنيع وابتهج قائلاً إن شكل القرار أفضل بهذه الصورة فصار ذلك نهجاً متّبعا في تلك الجهة.

تشغلي فكرة الخروج الدائم من هذا الصندوق..

أفكر دائماً في يوم غير تقليدي، ورأي حديث، وفكرة مبتكرة، وسلوكٍ جديدٍ أعظم ما يصيب المرء بالملل والسأم هو السكون والجمود والتلبّد داخل الصندوق... ولعل عبارة «التفكير خارج الصندوق Thinking out of the box هي العبارة التي

أحتاجها ونحتاجها جميعاً.. هي البلسمُ الناجعُ لاستبدال التكرار النمطي للتفكير والسلوك البليد.. هي الحكمةُ التي يقول عنها مايك فانس وديان ديكون مؤلفا كتاب «التفكير خارج الصندوق» أنها السبب في إنتاج: السيارة والقطار والطائرة والمصباح الكهربائي والتطعيم ضد شلل الأطفال، والمصاعد وأجهزة التكييف، وأنابيب المياه، والتلفاز.. حكمةُ «التفكير خارج الصندوق» هي التي حفزت الشخصيات التاريخية العظيمة، أن تترك أثراً عظيماً للإنسانية، فخلدت أسماؤها لأنها أرادت أن «تأتي بما لم تستطعه الأوائل» - كما قال الأصمعي -

وهي التي جلبت الثروة، والشهرة، والسعادة، والمتعة، والتغيير لكثيرين! إن مجتمعاتنا قد أنهكها الحصارُ داخل الصندوق، فلا تريدُ أن تخرجَ منه مخافةً المجازفة، الفردُ يخافُ الحلول المبتكرة، أو تغيير العاداتِ لآته يخشى من ردة فعل المجتمع.

ومن هو المجتمعُ في نهاية الأمرِ؟!

هو مجموعةُ الأفراد، فإذا ما ابتكر أحدهم حلاً مبتكراً ربّما قوبل في البداية باستهجانٍ، أو باستخفافٍ أو بمعارضة، ثم ما إن تثبت الفكرةُ الجديدة فاعليتها وجدواها وأفضليتها في الواقع حتى يهرع الآخرون إلى تطبيقها ومنهم في كثيرٍ من الأوقاتِ الأكثر تشدداً و معارضةً للتغيير.

قلتُ ذات مرّة لشابٍ يريدُ أن يعقد قرانه: «لست بحاجة أن تدعو أهل القرية جميعاً لمأدبة تكلفك المبالغ الطائلة التي أنت في أمس الحاجة إليها حيث تستطيع أن تقعد قرانك في مجلسٍ صغيرٍ بحضور ثلثة من الأهل والأصدقاء المقربين» لكنّه خشي الأخذ برأيي مخافةً الكلام

لقد دفع «التفكير داخل الصندوق» بالكثيرين إلى أن يلبسوا ما يريدُه الآخرون، ويقودوا السيارات التي تعلقو في نظر الآخرين، ويظهروا كما يود الآخرون... ولهذا لم يعيشوا الحياة التي يريدون في كثيرٍ من الأحيان كما يسعدهم أن يجوها،

متلذذين بما يظهرون عليه، أو متوافقين مع إمكانياتهم المادية.. وهذا خطأ في حقّ أنفسهم إن لم يكن يتجاوزُ القيمَ الفاضلةَ التي شرعها الدين.

فلم لا ييارحُ بعض الناسِ أماكنهم التي ينظرون منها نحو بعض الأمور هذه الأمور تحتاجُ إلى النظرِ إليها من عدّة زوايا ولعل هذه أولى أفكار الخروج من الصندوق..

النظر نحو المشكلة أو الأمر من عدّة زوايا وليس من زاويةٍ واحدة وتصنيف الإيجابيات والسلبيات فيه، ثم البحث عن الحلول المبتكرة، والأفكار المحدثه ولعلّ قصّة في هذا الصدد يمكنُ سردها كمثلٍ فقط للتفكير خارج الصندوق.

طلب أحد رجال الأعمال من أحد البنوك في مدينة نيويورك قرضاً وقدره ٥٠٠٠ دولار، لغرض السفر إلى أوروبا، وحين طلب البنك ضماناً للمبلغ رهن الرجل سيارته (الرولزرويز) للبنك كضمان مالي وبعد أن قام الموظف المختص في البنك بفحصها، قبل البنك هذا الضمان الثمين، وبعد حصول الرجل على القرض ومغادرته البنك..

اندهش مدير الفرع وموظفوه من تصرّف هذا الرجل الغريب وضحكوا كثيراً لسذاجته إذ كيف يرهن سيارة قيمتها ٢٥٠٠٠٠ دولار كضمان مبلغ مستدان وقدره ٥٠٠٠ دولار، ثم إن السيارة أوقفت في مواقف البنك السفلية.

وبعد أسبوعين، عاد رجل الأعمال من سفره وتوجه إلى البنك وقام بتسليم مبلغ ٥٠٠٠ دولار مع فوائده بقيمة ٤١, ١٥ دولار، فسأله مدير الإعارات في البنك قائلاً: «سيدي، نحن سعداء جداً بتعاملك معنا، ولكننا مستغربين أشد الاستغراب!! لقد بحثنا في معاملاتك وحساباتك وقد وجدناك من أصحاب الملايين، فكيف تستعير مبلغاً وقدره ٥٠٠٠ دولار وأنت لست بحاجة إليه؟»

رد الرجل وهو يتسّم: «سيدي، هل هناك مكان في مدينة نيويورك الواسعة أستطيع إيقاف سيارتي (الرولزرويز) بأجرة ٤١, ١٥ دولار دون أن أجدها مسروقة بعد مجيئي من سفري؟»

يورد مايك فانس وديان ديكون في كتابهما الآنف الذكر الأفعال التي تجعل الإنسان محتجزاً داخل الصندوق: «التوقف، الجهل، الصداقة المزيفة، الاستسلام للسيطرة، التعصب الأزواجية، العدوانية، اللامبالاة، الكذب، الانطوائية، إدعاء معرفة كل شيء، التسرع، التكبر، قول أشياء بلا معنى، الحديث المتبدل، إساءة التوضيح»  
 فأبني جمود، وسأم، ورتابة للحياة داخل الصندوق وأبني حرية جميلة ومعيشة متجددة وسعادة راقية خارج الصندوق؟!  
 فلا أحد يصدّق الشتاء حين يقول أن الربيع في قلبي كما يقول جبران خليل جبران إلا بالتفكير الإيجابي، غير التقليدي التفكير خارج الصندوق.



## بين الطَّبْع والتَّطْبِيع:

فَأَحْسَنُ وَجْهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ  
وَأَيْمَنُ كَفٌّ فِيهِمْ كَفٌّ مُنْعِمٍ  
وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً  
وَأَكْثَرَ إِقْدَاماً عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ  
المتنبي

انفلت بعض النَّاس من روابط القيم، فأصبحوا كالحلقات الفارغة التي تدرجت عن خط سيرها المتسلسل، تثير لوحدها صليلاً باهتاً..

لقد حملتهم الأنايَّة على الانفلات بعد أن غلبوا مصالحهم

الشخصيَّة على المصلحة العامَّة التي يستوجب المنطق أن يسير على منهاجها المجتمع بصفته كياناً موحداً له غاية مشتركة مهما تعددت المصالح الفرعيَّة للأفراد.. هذا الانفلات قادهم إلى تجاوز القيم الفاضلة، والأخلاقيات القويمة التي أسستها مصادر التشريع المؤسَّسة لكيان المجتمع ولهذا فإن أئمة مصلحة شخصيَّة هي مقدَّمة عندهم على المصالح المنسجمة مع الغايات الوطنيَّة وفي هذا حبُّ للذات غير حميد، ومحاباة لغاياتها الذاتيَّة الضيِّقة..

تلقت نظري الفوضى العارمة التي تواجهني في أمكنة مختلفة، وتثير في نفسي سؤال: لم يتصرَّف الناس وفق هذه الطَّباع غير الحميدة، ففي الشارع ما إن تعطلَّ السَّير لغرضٍ من الأغراض حتى فاض صبرُ النَّاس وغلبت عليهم طباع الأنايَّة، ولجوا في فوضى التجاوزات من اليمين والشمال ومن كل النواحي حتى تصبح كل الأمكنة مشاريع طرق في تلك اللَّحظة كي يصل أصحاب هذه الطَّباع الأنايَّة قبل غيرهم.. فأتساءل: كيف فهم هؤلاء الدِّين!؟

ثم في إحدى المؤسسات الحكوميَّة، حيث وضعت تلك المؤسسة سياجاً بسيطاً لكن البشر يلتفون حوله كي يصلوا إلى الموظَّف الذي أصبح يتحرَّك بصورة أفقيَّة مشوشة،

هذا يناديه من هنا وذاك يطلبه من هناك.. نظرتُ خلال هذه الجلبة الصاخبة إلى امرأة شابة أجنبية وقد وقفت لوحدها داخل السياج تحسبُ أن طابوراً مستقيماً، وهادئاً كما هو الحال في بلادها سيمتدُّ وراءها، وأنها بحكم كونها على رأس هذا الطَّابور سوف تقضى مصلحتها قبل غيرها.. لكنَّ أتا لها هذا الحلم فما هي إلا واهمة، كنت أرى الخطوط المشوشة التي تصنعها فوضى البشر تنسجُ حولها شبكةً غير منظّمة، وكأني بهذه الخيوط تقيدها مكانها فلا تروم حراكاً ولربما هي ساهمةٌ، تستنكرُ هذه الفوضى في نفسها فرثيت لمنظرها.. وتذكرتُ الطَّابور والهدوء في بلدِ الغرب.. في موقف آخر تستمرُّ طباعُ الأنانية البغيضة، فأجدها متمثلةً في مواقف السيارات في أحد المستشفيات المرجعية حيث تناثرت السيارات في حلق الشارع وبين المواقف وفوق الأرصفة.. قلتُ في نفسي: «ما الذي يحدثُ في مجتمعنا فوضى في كل مكان يؤمه بشر لهم مصالح فيه، حتى المسجد لم يخلُ من الفوضى كثيرون سدّوا مداخل المسجد وطرقاته وهرعوا ملبّين نداء الحق.. والحق يوجبُ عليهم أن يميّطوا الأذى عن الطريق، وهم فوق ذلك يعطلّون الطريق، فأين هم من مقولة سيدنا عمر بن الخطاب: «إني لأخشى أن تتعثّر بغلة في الشام فيحاسبني الله لم لم تفسح لها الطريق يا عمر»

فإذا كان هذا هو شعوره رضي الله عنه تجاه دابةٍ في مكانٍ بعيد فكيف كان حاله بدروب البشر الذين يعطلّ هؤلاء الفوضويون طريقهم ويهرعون لأداء الصلاة، وما قيمة الصلاة بلا أخلاق، ما قيمة العبادات التي يحرص عليها كثيرٌ من الناس دون قيم حياتية، تقنن نظامهم الاجتماعي، وتضبط علاقاتهم مع الآخرين؟!!

إن امرأة ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاتها وصيامها وتصدقها على الناس ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار، وامرأة مقلّة في العبادات لكنها لا تؤذي جيرانها فقال هي في الجنة.

وهذا ما لا يفهمه الكثيرون فيهرعون للصلاة خشعاً ركعاً وفي الخارج يؤذون البشر

بفوضاهم وسياراتهم التي تعيق حركة الشوارع.

قال لي أحد الإنجليز: إننا لا نذهبُ كثيراً إلى الكنيسة ولا نهتمُّ بالدين ولكن كثيراً من القيم لازالت تعمُّ في حياتنا وأنظمتنا المختلفة فقلتُ له: «ذلك بسبب حدة القوانين وصرامتها».

وكثيرٌ من الناس عندنا تفسَّخوا من الطُّباع الكريمة حتى أننا لم نعد نسمع خصلةً عظيمة هي «المروءة» في قاموس حياتنا، تلك الطُّباع التي تأسست على القيم الإسلامية فكانت خير منطلق للنفس البشرية بالرغم من طبع هذه النفس الذي ينحوها إلى الرغبة في التحرر من هذه القيم.

هذه الفوضى الناتجة عن الإنحراف في الطُّباع لا بد وأن يقابلها التطبيع لقد سألني أحدهم ذات يوم: كيف نستطيع تقويم الطُّبع إن لم ننجح بالكلمة، قلت له: بالقانون، فالقانون هو الضابط الضامن لحرية الآخرين، وهو الرادع أمام تعدي أي كائن لحرية الناس.. إنني لا أتوق إلى مثالية (يوتوبيا) أفلاطون وكأننا نكتبُ المستحيل، ولا نكتبُ ما يمكن لبشرٍ أن يتهجهوه في حياتهم، ويمارسوه في واقعهم، فلديهم الأدوات القيم ويتبقى عليهم التطبيق.. إنني وغيري ممن يشاركوني هذه الهموم نتوق إلى مجتمع يفعل القيم الحميدة التي جاء بها دينه ولا يحرصها في العبادات، فكم عدد المصلين، وكم عدد الحجاج، وكم عدد الصائمين، والعدد الكبير يملأ القلب بهجةً، لكن كم هم الذين يفهمون القيم النبيلة، والأخلاقيات السلوكية القويمة ويطبقونها.. كم هم الذين تنسجم القيم الإسلامية مع تعاملاتهم وأخلاقهم؟

إذا كان «الدين الخلق» و«الدين المعاملة» فإن العبادات لوحدها لا يمكن تجزأتها عن السلوك وأخلاقيات المعاملة.. إن غاندي الذي أفنى عمره في مسيرة الإستقلال قال عام ١٩١٧ بمناسبة افتتاح المعهد الذي أسسته (الآنسة آني بوسانت) متوجّها إلى الحضور من مواطنيه: «إن الهند لا تستحق الإستقلال مادام المارُّ في أحد شوارع

بومباي أو كالكوتا معرّضاً لأن يتلقى بصقّةً على رأسه من إحدى النوافذ»  
فكيف بنا نحن أصحاب القيم حين نحيد عنها، ونحرف نصرّةً لأنفسنا، وتغليباً  
لمصالحنا؟!!

إن التطبيع هو واجبٌ حينما يخرجُ الطبعُ من دائرة القيم والأخلاقيات فمن يريد  
أن يستبق الناس في الطوابير يُحرم، ومن يستهتر بالنظام في الشوارع ويعرّض الناس  
للمخاطر يُردع بقوة القانون، ومن يتجاوز الأنظمة ابتغاءً مصلحةً يقضيها بحاسب،  
ومن يشهر بالآخرين يحاكم ومن يثير الفتنة يغلظ له الجزاء، ومن ينشر الشائعات  
يكبح، ومن يتفوّه ببذاءة يؤدّب.

فإن المرء الذي لا تضبطه أخلاقه، ولا تردعه قيمه فإن القانون هو القيّم عليه كي  
يضبط له خلقه، ويطبّعه على أخلاقه.. وهذا الكلام يجعل من تغيير الطباع أمراً  
ممكناً إن كان فيه المصلحة وذلك على عكس الفهم السائد في الثقافة الشعبية... ومع  
النسبة الكبيرة لأحقية المقولة القديمة القائلة «نقل الجبال أهون من تغيير الطباع»  
إلا أن الإستسلام للطباع السيئة التي تحرّف صورة المجتمع إذا ما أصبحت ظاهرة  
يعدُّ أمراً غير مقبول، بل مؤشر غير حضاري لا يرتضيه المجتمع الواعي، الطامح  
إلى الإزدهار والرقى.





## بيدك الحل لا بيد غيرك:

«رحم الله امرأً جعل لنفسه  
خطاماً وزماماً، فقادها بخطامها  
إلى طاعة الله، وصرفها بزمامها  
عن معاصي الله»  
من الأثر

من العوائق النفسية التي تتردد على الألسن ما تختصره جملة «ليس الحل بيدي» وهي وإن تكن صادقة في بعض الأحيان إلا أن كثيراً من الناس يستغلونها ليدفعوا بها أي عملٍ يمكنهم القيام به، ويبررون تكاسلهم وعجزهم باختصار، يكشفون عدم مبادرتهم.

هذا طبعُ البُلداء<sup>(١)</sup> أولئك الذي آثروا الخمول على النشاط، والتقاعس بديلاً للعمل، والمكوث على ما هم عليه من الهموم والمشكلات لا يجدون ما يؤنسهم غير مقولة أبي المعري: «هذا ما جناهُ أبي عليٍّ وما جنيتُ على أحد».

هي ثقافة نشأت في البيوت إذ الإبنُ ينتظرُ الحلَّ من أبيه، والإبنة من أمِّها، واستمرت الثقافة في بيئات العمل فالموظف ينتظر الحل من مسؤوله وكل واحد ينتظر الحل من الآخر، والمواطن ينتظرون الحل من الحكومة.. ولا أحد يدرى من يبادر أولاً. عَشَّشت هذه الثقافة في عقول الحالمين فتصوروا أن السَّاء تمطرُ ذهباً أو فضةً، وتردد بعضهم على المشعوذين والدجالين كي يأتيهم الفرج وتتساوق عليهم البركات، وتحلَّ في دارهم الأنعم، وتغصَّ بيوتهم بالأرزاق، وأرصدتهم بالثروات من دون عملٍ أو تعب.

يقول أبو تمام:

من كان مرعى عزمه وهمومه

مرعى الأماني لم يزل مهزولاً

عرف المحتالون نقاط الضعف فيهم، تبييض الأموال دون شغل أو نصب، فخرجوا بحيل غريبة وعجيبة منها: أن يكثرُوا الأموال النقدية بمجرد ما يسلمهم كل حالم واهم مبلغاً معتبراً من المال، لكن الوزّة لم تلد بيضة الذهب فسقط في أيديهم<sup>(١)</sup>، ولكن بعد فوات الأوان، وتبخّرت الأحلام والأوهام.

المبادر الحقيقي هو الذي لا يرفع شعار الحل ليس بيدي على الفور بل أن يغلب الهمة ويقدم الإمكانية أول ما يفعل.

قيل لنابليون بونابرت يوماً: «ان جبال الالب الشاهقه تعوقك عن التقدم» فقال يجب ان تزول من الارض إن الرجل الذى عقد النيه على الفوز لا ينطق كلمه مستحيل.

كيف لا يقول ذلك وهو الذي كان يرد بثلاث على ثلاث فمن قال لا اقدر: ردّ عليه حاول ومن قال لا اعرف: ردّ عليه تعلم ومن قال مستحيل: ردّ عليه جرب.

المبادر الحقيقي هو الذي لا يرى الظلمة أو النقطة السوداء بل يرى الشعاع أول ما يرى لأن الأبصار لا تغمى وإنها تغمى القلوب التي في الصدور<sup>(٢)</sup>، إذ أن الله أعطى كل إنسان من المواهب والهدايا ما تميّزه عن الآخر وما يمكن له عن طريقها بلوغ الغايات والمطامح.

يقول جمال الدين الأفغاني: «تبلغ المرأة بضعفها ما لا يبلغه الرجل بقوته»

(١) أي ندموا.

(٢) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج: الآية ٤٦.

«الحلُّ بيدي» أول عبارة ينطقها المبادر حتى تفتح أمامه الأبواب والفرص السوانح، والإمكانات، أما لو قال على الفور: الحل ليس بيدي، فهو يغلق قاصداً أو غير قاصد أبواب الحلول ويترك الأمر راكداً كما هو أزمنةٌ عديدة، فيظهر كما تنمو الطحالب على سفينةٍ غارقةٍ، أو كما يطفو العفن على بركةٍ آسنة.

إن النية وحدها لتفتح الباب أو تغلقه، فإن نويت في أمرٍ من الأمور نيةً حسنة كان الله مُعينك ثم تُعلن أنك ستبحث في الحل ثم تفكر في خطةٍ عملية وتستعرض الفرص المتاحة.

هذا التوجّه الإيجابي سيفتح لك مسالك التفكير، وسيهيئاً عقلك للتفكير والبحث عن الوسائل الملائمة للوصول إلى الغاية.

وإن نويت نيةً عدم المبادرة كي لا تكلف نفسك عناءً أو وصباً فقد حجبت كل حل عن عقلك، وبددت كل أمل في قلبك.. لهذا يوصينا الخالق الكريم سبحانه في حديث قدسي بقوله: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» وبالتأكيد فإن الظن الوحيد المنبثق من الإيمان بالله واليقين به هو: الظن الحسن.

وبعد النية الحسنة والظن الحسن بالله يأتي العزم الأكيد الذي لا يشوبه تردد ثم يأتي التوكل على الله توكلاً لا يعتريه شك ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) ﴿١﴾.

نعم إن للإنسان قدرة معينة وطاقة محدّدة حتى أن خالقنا العظيم لا يريد تكليف الإنسان فوقها، قال تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢).

لكن أن يقول الإنسان عبارة «الحل بيدي» أمرٌ في حد ذاته يدلُّ على التفاؤل وعلى الروح الإيجابية التي يتمتع بها المبادر.

قد يحسبُ الإنسان أن ما هناك مما لا يملكه ولا يمكنُ أن يبدع فيه أو تظهر فيه

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

موهبتة أو أن يتصور أن يكون مهنته أو صنعتته.. لكن قد يحدث العكس فكم من طالب كره مادة الرياضيات كرهاً مقيتاً لكنه أصبح معلماً لها..

وكم من شاب كان يهوى نظم المعلومات فأبدع في التصميم المعماري الذي لم يتصور نفسه يوماً فيه.. وقس على ذلك من الأمثلة والشواهد ما شئت.

الشاهد أن الإنسان يملك من القدرات والمهارات ما يجمله حتى يبدأ في تعلّمه أو اكتساب مهارته فيبدع فيه.

جاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم»

ويقول الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى: «لست بحليم ولكنني أتحمّل»

وجاء في شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء قال: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يوقه».

إن الإنسان لا يجب أن يبخر نفسه بقوله «الحل ليس بيدي» إلا بعد محاولة وجهد وتفكير حينها وإن قالها فهي نابعة عن رضى داخلي عن نفسه، وقناعة مبنية على أسس واقعية لا على أوهام وافتراضات مسبقة.

## خداع الذات

يَرَى الْجُبْنَاءُ أَنَّ الْعَجَزَ عَقْلٌ  
وَتِلْكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ  
أَبُو الطَّيْبِ الْمُتَنَبِّي

الإشكالية في مجتمعاتنا أن أغلبنا قد تعلق بوهم أحاط به عقله، وسكّر به أبواب النور والأمل في نفسه.

هذا الوهم تمثل في قول معلّم لي أمام طلابها وقد دُعيت للحديث إليهم:

لماذا علينا أن نغير إذا كان المجتمع لا يتغيّر؟!

وفي مناسبة أخرى قالت لي مديرة مدرسة أمام المعلمات وقد كنتُ حاضراً للحديث إليهم: المجتمع يفرض علينا أن لا نكون صادقين طوال الوقت، تلك المعلّمة وهذه المديرية تعكسان نمطية التفكير التقليدي السائد الذي ثبّط العقول كي لا تبادر إلى التغيير متمثلاً في وهم إسمه المجتمع.. لقد كان ردي عليها عفويّاً: ومن نحن سوى المجتمع ذاته، فإن تغيّرتُ أنا وأنتِ سيتغيّر المجتمع بصورة تدريجية وإن كان بطيئاً. في مجتمعاتنا ثقافةٌ تسري كالخدر في الجسد، تعمي فيه البصر، وتغلق التفكير، وتميت الأعصاب، وترخي العضلات، ثقافة تمثّلها أمثلة شائعة يستخدمها الناس كثيراً منها «قص صبع ولا تغير طبع» وهو مثلٌ يغلق أبواب الأمل في تغيير الآخرين بزعم أنه من المستحيل تغييرهم لأنهم في نظر القائل لن يتغيروا؟!!

فكيف إذن غيّر الإسلام أطباع من دخلوا فيه؟!

غيّروهم من جاهلية رعناء ذات طباع صلّفة، وقسمات جامدة، ومشاعر حادة إلى شخصيات رقيقة، ذات طباع رقيقة، وأخلاق سامية، وعواطف حميمة.

وكم من أناس لم تكن في يوم من الأيام تحسبهم يتغيرون فإذا بك تنصدم لمرآهم وقد تغيروا؟!!

إذا فليس من الصحة أن يردّد الواحد منا هذا المثل ولا مثل «من شب على شيء

شاب عليه» ولا مثل «العادة التي في البدن لا يغيّرُها إلا الكفن» ولا مثل «تغيير النهر من مجراه أسهل من تغيير الطّباع» ولا مثل «ما تأخذه مع الحليب لا يخرج إلا مع النفس» فهي أمثلةٌ تمنع من التغيير الإيجابي.

لا وهم إلا الوهم الذي يصنعه الفرد في نفسه بأن لا إمكانية في التغيير ولا قدرة ولا عزيمة.. فالإستحالة هي الشعار الأبرز وهي الجدار السميك الذي يقفُ أمام الإنسان وهو جدار وهمي لم يصنعه سوى الإنسان لنفسه.

إن كل تغيير حصل في التاريخ بدأ عن طريق فردٍ واحدٍ أكان تغييراً نافعاً أو ضاراً..

بدأ بفردٍ حطّم هذا الوهم المسمّى المجتمع فبادر إلى التغيير في نفسه أولاً ثم بدأ تدرّج التغيير ككرة الثلج تكبرُ وتزداد حجماً مع تدرجها من الأعلى إلى السفح. والإسلام يشجّع على التغيير الإيجابي ويكافأ عليه كما يعاقب في المقابل التغيير السلبي المضر.

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمَلٌ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمَلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمَلٌ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمَلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

المبادر لا يأبه بهذا الوهم المسمّى المجتمع بل عليه أن يبادر بالطرق السليمة الواعية التي تركز على فكرة ومنهاج يقودها اليقين والصبر والثؤدة والعزيمة فما ضر الأمم السابقة وما كان سبب هلاكهم إلا لأن كل واحدٍ منهم كان يقول: لا يهمني أمر فلان وما يفعله من منكر فلا يبادر إلى نصحه ولا يسعى إلى إيقاظ ضميره ولا يعتمد

(١) رواه مسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم.

إلى تنبيهه، ولا يمضي لأجل تحذيره بل تركه هكذا حتى ازاددت استفحل المنكر في المجتمع كما استفحل الداء السقيم بالجسد فهلكوا جميعاً.

يقول تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء حالهم كحال الراكب سفينة يرى ماءً يتسرّب إليها من ثقب في هيكلها فلا يحرّك ساكناً غير مكرثٍ أو قائلٍ لنفسه بأن آخر قد يبادر لإصلاحه ويقول كل راكب مقولته ويظنون ظنونه حتى يغرقون جميعاً.

يقول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا، جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»<sup>(٢)</sup>.

وكم من بيننا من يقول «والله ما بيدي حيلة»، ويقول: «العين بصيرة واليد قصيرة» يقول ذلك وهو يرى غريقاً يغرق ويستطيع أن يمدّ إليه بحبل أو يُلقِي إليه بعود شجرة لينقذه فلا يفعل كي لا يسحبه الغريق معه.

تبنت إحدى القنوات التلفزيونية برنامجاً لتخفيف الوزن، وكان عبارة عن مسابقة يتنافس فيها أصحاب الأوزان الثقيلة، والأجسام السمينة فكان كل واحد منهم يبذل قصارى جهده بتشجيع من فريقه لتخفيض وزنه.

طبّق الجميع الحمية والتمارين ومروا على الكثير من الضغوطات النفسية ولكن في نهاية الأمر كان النتائج طيبة إذا غيرت البعض منهم إلى نصف أوزانهم التي كانوا

(١) سورة المائدة: الآية ٧٨-٧٩.

(٢) رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

عليها قبل البرنامج فكان ذلك مدهشاً ليس للجماهير المتابعة بل ولهم أيضاً. إن وصولهم إلى مستوى لم يكونوا يلمحوا به سابقاً أو أن آخرين لم يتوقعوه منهم أضحى أمراً واقعاً لا مرء فيها فهاهي المرأة الشابة البدينة قبل البرنامج تظهر رشيقة القوام بعد ستة أشهر من فترة البرنامج.

لهذا فإن لم يتحرر الفرد من أوهام عدم القدرة على التغيير الإيجابي - وأشدد على التغيير الإيجابي - فإنه سيحيا تابعاً لغيره وليس سيداً لنفسه.. فيتبعُ الناس فيما يضيِّعون أموالهم، ويقلِّدهم فيما يسرفون لأشياءهم ويجاريهم فيما يبددون من أوقاتهم وهكذا يحيط نفسه بالوهم المرعب.

المبادر يتبع السنة الحسنة في المجتمع ويقلِّدها بل ويطورها فإن كان سنة المجتمع الكرم فإنه يطورها بحيث تكتسبُ قيمتها المثلى بالحفاظ عليها دون إضرار.

## المبادر صاحب همّة:

«لو كان الإيمان عند الثريا لناله  
رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء»  
حديث شريف

كيف يمكن للصاروخ الذي يحمل القمر الصناعي أن ينطلق به نحو الفضاء بدون قوة دفع؟! وكيف يمكن للإنسان أن يزعم المبادرة بدون همّة؟!  
الهمة هي العزم العتيد الذي يعدُّ من

أقوى أسلحة المبادر، قد تنوي فعل أمر ولكنك لن تبادر إلى فعله ما لم تكن فيك همّة .

وما أولئك المسوّفون الذين يؤجلون عمل اليوم إلى الغد، والذين يتذرعون بمختلف الأسباب، وأصناف الظروف إلا الخالية قلوبهم من وقود الهمّة وهكذا تمضي أعمارهم وهم يرددون: سنفعل كذا.

الإنسان الخالي قلبه من الهمّة هو إنسانٌ خامل، متقاعد، باهت لا يخطو إلا ليأكل ولو وجد من يضع اللقمة في فمه لما تردد، ورحم الله والدتي فقد كانت تردد مقولة الشاعر:

الماكثون بأرضهم عندي كسكان القبور

لولا التنقل ما ارتقت درر البحور على النحور

فكم من أناسٍ لا يطيب لهم الخروج من بيوتهم إلا لضرورةٍ قصوى..! وكم تكثُر في البيوت الأوامر الصادرة من آباءٍ أو أمهاتٍ لأبنائهم بإحضار ما قد تطوله أيادهم فيتعاجزون عن القيام إليه فينمّون خلة العجز السيئة في أبنائهم الذين يتنازعون هذه العادة التي تميمت الهمّة فينقلونها لأبناءهم فيما بعد.

وفي إحدى أسفار النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذبح شاة وطبخها فقال رجل يارسول الله علي ذبحها وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها فقال صلى الله

عليه وسلم وعلي جمع الخطب<sup>(١)</sup>.

هذه هي نفس نبي الإسلام الذي بنى بها دولته، وأرسى بها دعائمه ولولا هذه النفس لما قامت للإسلام قائمة.

وهو الخلق الذي سيستمر مع خلفاءه الراشدين عليهم رضوان الله فهذا سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه يرى مبادراً يؤدي العبادة لكنه يفتقد للهمة فيعتمد على أخيه في إحضار الطعام إليه فلم يثن عليه لحسن عبادته أو انقطاعه عن أهله وتفرغه لأدائها وإنما سأله أول ما سأله عمن يحضر له الطعام وإذا أجابه بأن أخاه يحضر له الطعام يرد عليه سيدنا عمر صاحب الهمة العالية: أخوك خير منك.. الشاهد هنا أن الهمة هي روح المبادرة وهي لا تذكى إلا بنفس المرء ولا تحبو كذلك إلا بها، فمن الناس من يمتلك بين جوانحه هممة عالية تحمله إلى تحقيق الإنجازات المتتالية، ومنهم من تبقية نفسه الواهنة الضعيفة في الحفر فلا يخرج منها حتى تحين ساعته، يقول ابن الجوزي رحمه الله: «وقد عُرف بالدليل أن الهمة مولودة مع الأدمي وإنما تقصر فيه تقصر بعض المهتم في بعض الأوقات تفتّر أو تقتر، فإذا حُثت سارت فمتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم، أو كسلاً فسل الموفق فلن تنال خيراً إلا بطاعته فمن الذي أقبل عليه ولم يرد كل مراد»

وقد كنت أسمع دائماً أحد آبائنا يردد بيت شعر لشاعر شعبي عماني يقول فيه:

والصقر تلقاه من يوم مولود

مديم من رأسه يقاسي عتاله<sup>(٢)</sup>

إذ مثل الشاعر صاحب الهمة العالية بالصقر الذي لا تغادر رأسه الهمة وكأن الهمّة أمراً فطرياً خلق مع الإنسان، وهذا صحيح إلا أن الصحيح أيضاً أن النفس التي

(١) ذكر الطبري في خلاصة سير سيد البشر (١/٨٧).

(٢) الشاعر العماني علي بن سعيد بالضبع الديباني الجنيبي، المولود في سنة (١٨٤٠م) وتوفي في ١٩٢٠م.

تدرّب على الهمة وتمرّن لها تصبحُ صفةً لازمةً من صفاتها التي تزيّن بها وتباهي.  
 أنظر إلى الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف بعد أن آخى نبينا الكريم عليه  
 أفضل الصلاة والتسليم بينه وبين سعد بن الربيع رضي الله عنهما بمثل ما آخى بين  
 المهاجرين والأنصار لم تقعه همته التي تتوقد في نفسه، ولم تحمد عزمته التي تتأجج  
 بين ضلوعه بل قال مقولته المشهورة: دلّوني على السوق، وليس غريباً على مثله أن  
 يقول هذه العبارة فهو القائل: لو رفعت حجراً لوجدتُ تحته ذهباً.. فهل بالفعل  
 عنى ذلك؟ لا بل لأن نفسه ذات الهمة العالية هي التي تقول له أن تحت الحجرِ  
 ذهباً فاستجمع قواك كي ترفعه، ولو حدثت كل إنسان نفسه بأن تحت الحجر ذهباً  
 لكانت له من الهمة ما لا يشعره بثقل الصخر، ولا بوطة الحر، ولا بمجهود النصب.  
 ذلك لأن للمبادر همة كأداء عاتية لا تستسلم ولا تدعن.

ففي يوم ما سألت أبا مسلم الخرساني الذي يعود إليه الفضل في تأسيس دولة بني  
 العباس، سألته أمّه وهو صغير يتقلب كثيراً في فراشه: أي بني.. ما بك؟ فأجابها:  
 همة يا أمّاه تنطح الجبال.

إن من الملاحظ أن همة الكثير من الشباب تظهر فيما لا يفيدهم، فمن أجل لعبهم،  
 ومن أجل سمرهم فإن لهم من الهمة ما لا يشق له غبار أمّا أن ينهض من فراشه  
 لأجل صلاةٍ أو أن يقوم للقيام بعمل، أو تقديم خدمة فإن همته رخوة، وجسده  
 متبلّد خامل.

لهذا فلا يمكن لمبادر أن يكون إلا بسلاح الهمة.. الهمة التي تحتاج إلى قوة إيمانٍ  
 ويقين بالعمل المقدم عليه، وفي هذا السياق أذكر القفزة التاريخية التي قفزها فيليكس  
 بوغارتنر Flix Boumkratner من ارتفاع ٢٩ ألف كم..

ألم يتسلّح هذا المبادر إلى الهمة العظيمة؟! هذه الهمة ولدت فيه فظهرت في شكل  
 رسمة طفولية في سن الخامسة حين رسم رجل يهبط بمظلة كتب تحتها «كل واحد  
 له حلم وهذا حلمي» ثم يحقق حلمه بعد ٣٧ عاماً فأية همة هذه التي تتلجج

بين ضلوعه عشرات السنين وهو يصقله بالمران، ويزيدها بالثقة والاحتمال، ويقويها بعظمة الإنجاز وروعته.

المبادرُ الأصيلُ إذن صاحب همّة نفسيّة عالية الهدف، طامحة إلى الكمال، إذ أن المرء كما يقال: «حيث يجعل نفسه إن رفعها ارتفعت وإن قصر بها اتّضعت».

فكم من ساهر ليل في خمّارة يعب من السُّكرِ عبّاً، وكم من ساهر ليل على العلوم يعبُّ من الفكرِ عبّاً.. وكم من بيدّد وقته في المقاهي هدرأً، وكم من يعتلي بنفسه في العمل قدراً.

لقد تأملتُ الفرق بين الألماس والفحم فوجدتها من نفس العنصر، عنصر الكربون.. إلا أن هذا ألماسٌ وذلك فحم، فكم في الناس من هذا ومن ذلك.

## بين الحوْم والنُّوم<sup>(١)</sup> معنى حياة:

في تراثنا الشعبي مثل يقول «كَلْبٌ حَائِمٌ ولا أسد نائم» يقصد تفضيل الكلب في حومه بحثاً عن لقمة عيش يأكلها على الأسد النائم الذي ينتظر أثنائه تأتي له بالفريسة.

الإنسان الساعي لأجل لقمة العيش يحظى بعدة جوائز: محبة الله وتوفيقه سعاده الذاتية وزيادة ثقته بنفسه وحسن نظره لها، محبة أهله له ومحبة الناس.

أما الأولى فالله سبحانه وتعالى لا يجب العبد المتواكل، المتقاعس، الكسول «إن الله يحب العبد المؤمن المحترف»<sup>(٢)</sup> وورد أيضاً «إن الله يكره الرجل البطال» وربط الحق سبحانه الأسباب بالنتائج، إذ لا يمكن لإنسان أن يقعد في مكانه وهو يملك المكنة والقدرة على السعي فيدعو الله رزقاً ويتنظر أن يأتيه إلا أن يكون لله حكمة في ذلك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم إنه يحفظ له عمله من الضياع وحرمان الأجر ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الحوْم جمع لحائم وهو الذي يحوم ساعياً لرزق، أما النوم فجمع لنائم.

(٢) رواه الحكيم الترمذي والطبراني والبيهقي عن ابن عمر.

(٣) سورة الملك: الآية ١٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٣٠.

بقدر الكد تكتسب المعالي ..

ومن طلب العلا سهر الليالي

يغوص البحر من طلب اللآلي ..

ويحظى بالسيادة والنوال

ومن طلب العلا من غير كد ..

أضاع العمر في طلب المحال

الإمام الشافعي

فهو سبحانه ينظر ويراقب ويثيب أو يعاقب ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

أما الثانية فإن الإنسان المبادر للسعي للرزق تختلف نظره لنفسه وللحياة من ذلك القاعد الخامل الذي ينتظر اللقمة تأتيه حتى فاهه، إذ تتحرك في نفس الأول الهمم والعزائم بينما تخمد في الآخر.

انظر لنفسك بعد أن تقوم بعملٍ ما كيف تراها..

أي شعورٍ جميل بالإنجاز ينتابك؟ لا شك إن في نفس رغبة جامحة لتقدير الذات. هذا هو المطمح الجميل الذي كنت تريد أن تصل إليه لهذا بدأت تقدر ذات وأنت ترى نفسك تنجز شيئاً دفعك خطوة للأمام مما يؤدي إلى ارتفاع الثقة في نفسك وهكذا فكلما أنجزت شيئاً نافعاً ارتقيت سلماً في نفسك وازدادت نسبة الثقة في نفسك وزاد عطائك وهزمت أقوى أعدائك: الملل، والفقر، والشور.

أما الثالثة فهي محبة الأهل والناس له إذ أن المرأة في طبيعتها غالباً تستثقل وجود الرجل المتواكل في البيت؛ ذلك الذي يجد لذته في مكوثه الطويل الممل في البيت، وتقاعسه عن لقمة العيش له ولأهله بل تحب الرجل المتوقع العزيمة، الساعي يمنةً ويسرة في سبيل الإرتقاء بمستوى معيشة أهله « والمرأة ضعيفة بفطرتها وتركيبها، وهي على ذلك تأبى أن تكون ضعيفة أو تُقر بالضعف، إلا إذا وجدت رجلها الكامل، رجلها الذي يكون معها بقوته وعقله وفتنته لها وحبها إياه، كما يكون مثال مع مثال»<sup>(٢)</sup>

هذا النوع من الرجال يكبر في نظر المرأة فهو وإن يطول بعده عن البيت فإن كده في سبيل المعيشة يشفع له عند زوجته، ويرفع من رصيده عندها وعند أبناءه.

ولا شك بأن أولى القدوات التي يتأسى بها الأبناء تكمن في والديهم، لهذا فإن كانوا

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) مصطفى لطفى الرافي، من وحي القلم، ج ١، زوجة إمام.

على درجة رفيعة من الوعي بالمبادرة للسعي فيما يجلب لهم ولأبنائهم المنافع بوسائل خيرة مجتهدين في ذلك ومثابرين كانوا خير القدوات.

وإن كانوا كسالى يتلذذون بالنوم والخمول لا يطيّب لهم القيام بعمل، أو السعي لمنفعة كانوا قدوات سيئة لأبنائهم ومن هنا تفاوت مشاعر الأبناء تجاههم.

فتصوّر صورة الأب الذي يفتقده أبناءه طوال اليوم ويتظرونه وهم يعلمون أنه يدبُّ في الأرضِ جامعاً لهم المال، حاصداً لهم الثمرات حاملاً لهم الأرزاق..

تصوّرهم وهم يترაკضون إليه فيلقون أنفسهم في أحضانهم، مقبلين يديه التي تعمل من أجلهم.

ثم تصوّر الأب الخامل الذي ليس في البيت من شأن سوى سؤال هذا وذاك: إلى أين تذهب؟ ومن أين جئت؟ حتى ضعف حبّه في قلوب أبناءه فصاروا يطيلون

المكوث خارج البيت أكثر من داخله!

تصوّر هذا الأب وذاك.. وتخيّر أيهما تريد..

أمّا حب الناس للمبادر الساعي للخير وقضاء المصالح وجلب المنافع ودفع المضار فهو حبّ عظيم يتمثل في الإعجاب به من نحو ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب

رضي الله عنه: إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا قيل لا صناعة له سقط من عيني..

الناس تحب المبادر لأنه ليس أنانياً لا تهمّه إلا مصلحته بل إنساناً يؤثّر قضاء مصالح الآخرين قبل مصلحته، وتحقيق منفعتهم قبل منفعته فيحبونه ويعظّمونه ويجلّونه

لأنه ارتقى بنفسه عالياً فوق المصالح الضيقة.

المبادر الحقيقي متوقد الهمة يرى في الإقدام على العمل تحدياً هو جدير به وقادر على

الفوز عليه، يؤمن بقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً<sup>(١)</sup>

المبادر لا يهنأ له نوم، ولا يهدأ له خاطر إلا بالحركة الدؤوبة التي تُشعره بقيمة الحياة، ومعنى العيش فيها، وأهمية تركه لبصمة في وجوده تضيفُ إلى الإنسانية شيئاً ما.





## الصمت قرين العمل

«استعينوا على إنجاح الحوائج  
بالكتمان فإن كل ذي نعمة  
محسود»

حديث شريف

في عام ٢٠٠٧م كان فيليكس بومجارتنر  
Felix Baumgartner في عمان يقفزُ في  
بطن ثاني أكبر كهوف العالم، كهف  
الجن.

فمن كان يعرفُ ما يضمُرُ في خباياهُ من  
حلم، وما يخطط له من إنجازٍ بدأه في  
سن السادسة عشر من عمره وحققه في سن الثالثة والأربعين.

قفزةٌ في عمق قدره ١٠٩ أمتار قادته إلى قفزة طولها ٣٩ كيلو مترا.. وفتحة كهفٍ  
قطرها ٢٥ متراً قادته إلى فضاءٍ مفتوحٍ بلا حدود، إنه الحلم.. الذي بدأه صغيراً  
برسم طفولي على الورق حين كان عمره خمس سنوات ليحققه بعد ٣٧ عاماً، لم يكن  
حدثاً عادياً، لقد كنتُ أنتظرُ هذه اللحظة وأترقبها منذ أن عرفت أنها ستحدث.

لم تكن قفزةً مجردةً قفزها إنسان بل هي مجموعة دروسٍ ملهمة، أولها تحديد الأهداف،  
فقد كتب فيليكس تحت رسمته التي رسمها في سن الخامسة وهي عبارة عن إنسان  
يخلق بالمظلة «أنا لذي حلم.. هذا حلمي فكبر وقد وضع هدفه أمامه.. كان الهدفُ  
متميزاً ولولا ذلك لما وجد الحافز الحقيقي والقوي للإستمرارية، هدفه أن يحقق  
أعلى قفزة في التاريخ الإنساني ويخترق سرعة الصوت وكان له ما أراد.. أما كيفية  
تحقيقه لهدفه الأسمى فكان عبر المِران الطويل والتدريب المستمر، لم يصبه الإرهاق  
ولا الضجر ولا الملل.

ولو لم يتسلَّح بالصبرِ لما أكمل مسيرة إنجازهِ.. يقول الشاعر:

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ

لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

والصبرُ دواءٌ مَرِيشَبُّهُ هنا بالمكابدة والمعاناة والهمة العالية وقد أبان أحد المقربين إليه حين قال: «لا أتخيل فيليكس جالساً على طاولة يقرأ الجريدة ويتناولُ شراباً» فلو لم يكن يتحلى بروح العزيمة العالية والشكيمة المستبسلة، والإصرار العنيد لما حقق هذا الإنجاز التاريخي.

وفي هذا السياق فإن أعداء النجاح متربصون لتثبيط الهمم والانتقاص من أهمية ما يسعى إليه المجتهد، يقول أحدهم معقّباً على قفزة فيليكس في كهف الجن «كأحد المظليين السابقين أقول بأن فيليكس لا يحظى باحترام، إنه يواجه صعوبة في الوصول إلى أماكن من السهل على مظليين الوصول إليها»

هذا التعقيب كان قبل عامٍ واحدٍ فماذا هو قائل اليوم وقد هبط فيليكس من ارتفاع ٣٩ ألف كيلو متر في المكان الذي حُدده.

إن من الدروس البليغة هي التحلي بروح عالية النظرة، سميّة الرؤية في صنع النجاح فالرجل الذي كان العالم يسمعه وهو يوجه فيليكس في الفضاء ويقدم له النصائح والإرشادات هو جوزيف كيتينجر Joseph kittinger صاحب الرقم العالمي السابق في أعلى قفزة منذ عام ١٩٦٠ وما ذاك إلا لعلو نظرتة، وسمو فكره كي يساعد إنساناً آخر على تحطيم رقم قياسي كتب بإسمه أكثر من نصف قرن، بل ويقول له إنه قد سبق أن رأى الإنجاز يتحقق في رؤيا<sup>(١)</sup> déjà vu لقد نظر إلى مصلحة الإنسانية، وتسامى خدمة للعلم كي يتقدم الإنسان ولم ينظر لمصلحة شخصية ضيقة الأفق وهذا درسٌ بليغ، كما وقف إلى جانبه فريق مكون من مائة شخص منذ سبعة أعوام لأجل أن يحقق هذا الإنجاز الإستثنائي لا لطلب شهرة، أو الحصول على مأرب وإنما أيضاً خدمة للإنسانية من وراء هذا الإنجاز.. إنه درسٌ آخر من دروس العلو

(١) الديجافو كلمة تعني حدث سبق عيشه أو سبقت تجربته.

الإنساني، والصبر لتحقيق الإنجاز.

هؤلاء كانوا في خيمة القائد حين صنع النصر على سياق المثل القائل: «النصر يصنع في خيمة القائد» ولم يكن ليعنيهم أن يظهروا علناً بل كان ما يشغلهم أن الإنجاز يتحقق للإنسانية.

والإنجاز درسٌ ملهمٌ للآخرين الذين فتحوا أعينهم على حقائق غفلت عنها قلوبهم، وأغلقت دونها عقولهم. تقول إحدى المغردات في تويتر «نهضت الصبح وأنا أشكو من الإرهاق، لكنني حين تذكرت قفزة فيليكس بوجارتتر بالأمس أغلقتُ فمي وقمتُ على أقدامي، لقد رأى فيليكس في إنجاز كيتنجر منذ أكثر من ٥٠ عاماً حافزاً له فهل رأى منّا من ذلك الحافز في عباس بن فرناس العالم المسلم الذي يعد أول طيار في التاريخ (٨١٠-٨٨٧).. منذ أكثر من ٥٠٠ عام وليس من ٥٠ عاماً.

لقد نظر المغامر الباسل الأرض بتواضع كما يقول مما يشف عن حقيقة الإنسان أمام هذا الكون العظيم الأمر الذي لا يزيد المؤمن إلا إيماناً بخالق هذا الكون العظيم ومدبر أمره، ومحكم السيطرة عليه.

فيها لمن همم عتية في صدور رجال قدّموا للبشرية تضحيات جسيمة ولو أن عمر بن أبي ربيعة حيّاً لما احتار متسائلاً:

من رسولي إلى الثريا، فإني

ضافني همم، واعترتني الغموم

إذ أن رسوله إلى الثريا هو فيليكس بوجارتتر...! الذي على حسب شاعر أندلسي:

ملك بنى غرف العلياء وشيّدتها

على دعائم عزّ ليس تنهدم

فكم هناك من الدروس ما يطول الحديث حولها.. إنها يجب أن نقف عندها وقفة تأمل وتفكير عميق.



## إِسْعَادِ الْآخِرِينَ:

«تَبَسَّمْكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»  
حديث شريف

بعد نهاية العامِ جاءَ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ ذُو العَشْرَةِ أَعْوَامٍ بَهْدِيَّةً إِلَى سَائِقِ بَاصِ المَدْرَسَةِ وَقَدَّمَهَا لَهُ قَائِلًا: تَفَضَّلْ يَاعَمِي هَذِهِ الِهْدِيَّةُ لَكَ.

نَظَرَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ الكَبِيرُ مَدْهُوشًا وَسَأَلَهُ: لِمَ يَا ابْنِي؟

فَرَدَ عَلَيْهِ الطِّفْلُ: لِأَنَّكَ بَدَلْتَ مَجْهُودًا كَبِيرًا لِنَقْلِنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ المَدْرَسَةِ إِلَى البَيْتِ وَالعَكْسِ وَأَنْتَ صَابِرٌ وَاسِعَ الصَّدْرِ مَتَسَامِحٌ مَعَنَا مَثَابِرٌ فِي عَمَلِكَ.

فَلَمْ يَجِدْ سَائِقِ البَاصِ مِنْ جَوَابِ سَوْى دَمَوْعٍ تَدْفُقُ مِنْ عَيْنَيْهِ تَأْثَرًا بِهَذِهِ المَبَادِرَةِ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ طِفْلِ صَغِيرٍ.

رُوحُ المَبَادِرَةِ هَذِهِ كَامِنَةٌ فِي نَفْسِ الطِّفْلِ، فَكَمَا سَأَلْتَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنْ أَجْمَلِ شَيْءٍ يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ فَرَدَ قَائِلًا: أَنْ أَسْعِدَ الْآخِرِينَ.

يَقُولُ شَابٌّ فِي مَقْتَبَلِ العَشْرِينَاتِ: لَقَدْ آمَنْتُ بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلسَّعَادَةِ أَنْ تَتَحَقَّقَ لِلفَرْدِ إِلَّا بِأَنْ يَحْقُقَ السَّعَادَةَ لِلآخِرِينَ.

إِنَّ رُوحَ المَبَادِرِ لَتَعْبَرُ بِصَدَقٍ لَيْسَ عَمَّا يَرِيدُ تَحْقِيقَ لِإِسْعَادِ فَرْدٍ آخَرَ فَحَسَبَ بَلِ إِسْعَادِ البَشَرِيَّةِ.

فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ وَضَعَ نَصْبَ عَيْنَيْهِ سَعَادَةَ فَرْدٍ وَاحِدٍ لَكِنْ مَا قَامَ بِعَمَلِهِ لِذَلِكَ الفَرْدِ أَسْعَدَ العَالِمَ بِأَسْرِهِ.

أَذْكَرُ قَصِيدَةً إنْجِلِيزِيَّةً عَنَوَانُهَا (Smiling is infectious) تَشْبَهُ الإِبْتِسَامَةَ كَالعَدْوَى حَيْثُ تَتَنَقَّلُ الإِبْتِسَامَةُ مِنْ وَجْهِ لآخَرَ كَمَا تَتَنَقَّلُ العَدْوَى، تَقُولُ القَصِيدَةُ:

الإِبْتِسَامَةُ عَدْوَى

تصبيك كالإنفلونزا  
حين ابتسمَ أحدهم في وجهي هذا اليوم  
بدأت بالابتسامِ كذلك.  
مضيت نحو الزاوية  
وهناك رأى أحدهم ابتسامتي العريضة  
وحين ابتسمَ أدركتُ أنني نقلتها إليه!..  
فكرتُ في تلك الابتسامة ثم أدركت أنها تستحق.  
إبتسامةٌ على وجهي يمكن لها أن تسافر حول العالم  
لهذا حين تشعرُ بابتسامةٍ قد بدأت ترسمُ على وجهك دعها تظهر  
لنبدأ هذا الوباء سريعاً  
كي يصاب العالم بالعدوى<sup>(١)</sup>

وليس غريباً بالطبع أن يكون للإبتسامة في الإسلام مكافأة واصفاً إياها كالصدقة  
يتصدق بها الإنسان على غيره، ألا ما أعظم هذا الدين الذي وسَّع في مفهوم الصدقة  
كي لا تكون حِكراً على من يملك المال فقط.  
يقول أحد العلماء:

«لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع  
المادية. لا بد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف، المستمد من روح الله، ألا وهو  
الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فيشرح لها الصدر وتنفرج القسامات  
فيلقي الإنسان أخاه بوجه طليق».

وهذا مأخوذٌ من جوهرِ الدين الإنساني الذي سعى لتوطيدِ الروابط بين النَّاس  
عبر تألف الجواهر، وشفافية المشاعر وصفاء السرائر، إذ يقول النبي صلى الله عليه

(١) الترجمة إلى العربية من قبل المؤلف.

وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»<sup>(١)</sup>  
 إذا فإسعادُ النَّاسِ ليس بالمالِ وحده بل هناك ما هو أعمقُ أثراً، وأجدى نفعاً في  
 ظرفٍ من الظروف، فربَّ إنسانٍ لا يحتاجُ إلى مالٍ في لحظةٍ كربٍ وإنَّما يحتاجُ إلى  
 كلمةٍ مواسيةٍ، وربَّ آخرٍ يحتاجُ إلى لمسةٍ حانيةٍ وآخرٍ يحتاجُ إلى بشاشةٍ وجهٍ يضيءُ  
 في قلبه مناطقٍ مظلمةٍ كما يفعل المصباح، إننا حين نقابلُ من نرى في وجهه الغلاظة  
 والتجهم فإن إحساساً بالنفورِ منه يسري في قلوبنا وهذا أمرٌ نفسيٌّ طبيعيٌّ بينه  
 الخالقُ عزَّ وجل لنبيِّه الكريمِ قائلاً:

﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
 وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أما حين يقابلنا طلق الوجه، منشرح القسَمات، يتهلل بشاشةً، ويفترُّ تبسُّماً فإننا  
 نقابله بالإرتياح والتقبُّل والإطمئنان وهذا أيضاً أمرٌ نفسيٌّ طبيعيٌّ، يقول الشاعر  
 إيليا أبو ماضي في قصيدة بعنوان ابتسم قال:

الليالي جرعتني علقماً..

قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقماً

فلعلَّ غيرك إن رآك مرثماً

طرح الكأبة جانبا و ترثماً

أترك تغنم بالتبرم درهما

أم أنت تخسر بالبشاشة مغنماً؟

يا صاح، لا خطر على شفيتك أن

تثلثها، و الوجه أن يتحطماً

(١) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

فاضحك فإنَّ الشهب تضحك والدجى

متلاطم، و لذا يجب الأنجا

المبادر الذي يُسعد الآخرين إنّما هو كالمصباح الذي يُنيرُ الدروب ويمنحُ البشرَ شعوراً بالأمان.

هي تجلياتٌ نفسيّة لا تحتاجُ إلاّ إلى تعديل النظرة الداخلية في النفس تجاه الوجود، وتصحيحها تجاه الناس، وتصويبها نحو الغايات، وهذا يتطلب مثابرةً وتعويد ومِران ف «العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم والطبع بالتطبّع» وعلى هذا المنوال يأتي الإبتسام بالتبسم.

هنا نتحدّث عن إسعاد الآخرين بلا ثمنٍ مدفوع، ولا فاتورةٍ مؤجلة الدّفع بل بفعل مجاني لكنّه الأقوى تأثيراً في النفوس، فالإنسان بلا شك يملك دائماً ما يسعد به الآخرين بطريقةٍ أو بأخرى يقول أبو الطيب المتنبّي:

لا خيلَ عندي أهديتها ولا مالٌ

فليسعف النطق إن لم يسعف الحال

إن لإنفاقِ المال سبيله إلى إسعاد النفوس لأنه ينقلها من حالةِ ضنكٍ في العيشة إلى حالة سعةٍ ورحابة فالمال هو الذي يلبي الحاجات الأساسية للإنسان كالمأكل والمشرب والمسكن والملبس لهذا فلم يترك الناس على حالهم، ولم تُهمَل المجتمعات الإنسانية كي تفعل بالمال ما تشاء فتجعله دولة بين الأغنياء أي ملكاً متداولاً بينهم خاصّة وإنّما فرض عليه الزكاة، وشجّع فيه الصدقة ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٧) وشبهه عدم الإنفاق كإلقاء النفس في التهلكة.

الشاهد أن المبادر يملك وسائل مختلفة لإسعاد الآخرين تبدأ من الإبتسامة وطلاقة الوجه وبشاشته إلى المال الذي يقضي حوائجهم وينفّس كرباتهم، ويجلي همومهم وبلا شك فإن من لا يسعد الناس لا بهذا ولا بذاك فهو من الأشقياء، فعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: تُقبّلون الصبيان؟ فما نقبلهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أوأمّلك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»<sup>(١)</sup>.



## مساعدة الآخرين على التغيير:

إن أعظم الفضائل...  
هي تلك الأكثر نفعاً للآخرين.  
أرسطو

جميلٌ أن تنتشل إنساناً ما من الضياع  
فتعيده إلى جادة الصواب... تعيده إلى  
الطريق المستقيم.. تعيده إلى الحياة مرة  
أخرى فكم من بيننا أحياءٌ ولكنهم  
أموات..!!

أمواتٌ لأنهم لم يفتحوا بصائرهم على الحقائق بل يعيشوا لحظاتهم القصيره، ويشبعوا  
متعمهم المحدودة».

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى  
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦) (١)

وكم من بيننا من لم يكتشف فضائل أو قدرات أو مواهب أو دعها الله في نفسها،  
وأهداها له، أهدرها في ميادين لا جدوى من ورائها ولا نفع ولا كسب، فمضى به  
العمر دون أن يحقق له شيئاً من خير الله عليه، لم ينفع نفسه ولا أهله ولا مجتمعه بل  
عاش سهيلاً (٢) لا يرجى منه تحقيق مصلحة، ولا إنجاز عمل.

وكم من بيننا من ضيقت عليه الظروف الحياتية إجتماعياً أو اقتصادياً فلم يجد  
بحسب قدراته وتدابيره من طرائق تنقله من ضيق المعيشة إلى سعتها، ولم يجد من  
الحيل ما يحتال به ليرتقي سلماً نحو ما ينفس عليه الضوائق ويخفف عليه الأحمال  
يقول ابن الخياط العصر العباسي:

فَعَثْرًا لِدَهْرٍ لَا تَرَى فِيهِ قَائِلًا

لَعَا، لَفَتَى زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمَانِ

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) السهيل: الرجل الفارغ.

فهل أنت مؤولٍ نعمةً فمُبادِرٍ

إلِّيَّ وقد ألقى الردى بجرانٍ

جميلٌ أن يساعد الإنسان أحد هؤلاءٍ وغيرهم من المحتاجين للمساعدة النفسية أو المالية بل هي مقدّمة في الدين عن بعض الفروض الكفائية ابتغاءً لمصلحة أمة وتلبيةً لحاجاتها.

وفي هذا يروي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله حوار دار بينه وأحد الذين يتهيئون للحج بعد أن قضى فريضته في السابق، فيقول الشيخ: «ومن قبيل الاستهانة بالفروض الكفائية أن رجلاً رغب أن يحج نافلةً أظن ذلك للمرة الثالثة فقلت له: كم تتكلف هذه الحجة؟ قرابة ألف جنيه؟ قال: نعم وأكثر قلت له: أدلك على عمل أفضل، إن فلان تخرّج من كلية الصيدلة، وهو فقير والمسلمون فقراء إلى صيدليات إسلامية، فضع في يد الشاب المتخرّج هذا مبلغاً يبدأ به حياة تنفعه وتنفع أمته، ولك عند الله ثواب أكبر من ثواب حجّك هذه فنظر الرجل إلِّيَّ في دهشة وصاح: أهذا كلام يقال؟

قلت له: إنك إن أطعنتني أقمت فريضة وسددت ثغرة، وشاركت في جهاد جليل الثمرة بدل هذه النافلة التي تبغي.. قال وهو لا يزال في دهشة: أدع الحج! وأعين على فتح صيدلية، ما هذا؟»<sup>(١)</sup>

هذه العقلية لا تريد نفع الأمة لأنها تحسب أن دفع المال لشباب فقير سوف يضع قدمه على طريق الغنى على حساب ما جنوه من مبالغ لأجل حجة النفل تلك، ولو أن الرجل نظر إلى أن سيساعد أمة وليس شاباً وحسب لاقتنع بأولوية دفع المال.. وما يدرية لعله حين يدفع المال لذلك الشاب الفقير المتخرّج حديثاً من الجامعة ليفتح صيدلية سيكون ممن يتنفعون بتلك الصيدلية يوم يحتاج إلى دواءٍ في ساعة حاجةٍ ماسّة؟!!

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية - الشيخ / محمد الغزالي.

أعجبني مشروع لطالبات جامعيات لتوعية الأحداث<sup>(١)</sup> في السجون كي يرتقوا بهم إلى مستوى الوعي بالحياة وبالواجبات المنوطة على الإنسان فيها، وأعجبني فيهن إصرارهن على مساعدة أولئك الأحداث بالرغم من فقدان الدعم المادي لمشروعهن في بداياته..

لكنّ مشاريع الخير في نهاية المطاف لا بد وأن تجد الأيادي التي تمتد إليها نهاراً أو ليلاً لتدفع بها قدماً.

وفي ديننا الحنيف تحفيزٌ عظيم لمن يساعد الآخرين على التغيير، يقول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام «لئن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم» فهو إذن وصف للسعادة الداخلية التي ينالها الإنسان بمساعدة إنسانٍ آخر على التغيير أعظم من امتلاك ركائب من جمال أو خيول.

(١) الأحداث جمع الحدث وهو صغير السن.



## قواعد جوهريّة... «استخلاصاً مما احتواه الكتاب

### قاعدة (١) توكل على الله حق التوكل:

التوكل على الله مناط المبادرة، إذ الإنسان المبادر لا يملك القدرة والقوة لتحقيق ما يسعى إليه دون رصيدٍ روحى زاخر، هذا الرصيد هو الإيمان بالله الذي ينير جنابه فيفتح له الطرائق، ويمهد له السبل، ويهون عليه صعائب الأمور، ويفتح عليه مغاليق الأبواب.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً»<sup>(١)</sup>، إذن فالإيمان بالله هو مبعث التوكل عليه، ودافع النجاح الذي يحققه الإنسان لأنه يدرك وهو في مبادرته أن التوفيق بيد الله وإنما هو يأخذ بالأسباب فما تحقق له فبإذن من الله وإحسانٍ ومنّة، وما لم يسعفه التوفيق لتحقيقه فتلك حكمة من الله لعل مردّها إلى نفسه أو إرادة من الله لأمرٍ لا يعلمه.

### قاعدة (٢) تحكّم في استجابتك:

نحن البشر معرّضون لمواقف مختلفة، وظروف متباينة، فما يكشف شخصية الإنسان، وما يبين خصائصه وأخلاقياته وطباعه هو ردة الفعل التي تبدر منه في ذلك الموقف أو الظرف لحظتها.

لا يحتمل الموقف الخطأ بل ردة فعل الإنسان إزاء ذلك الموقف، لهذا يقال: «المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه»

(١) أحمد، النسائي، ابن ماجه، الحاكم، وقال الترمذي حسن صحيح.

إذاً القاعدة هي: لا تدع الظرف الحادث، أو الموقف الناشيء هو الذي يتحكّم بك بل أنت الذي تتحكّم به حين تتبدّر الأمر، وتقلّبه في قلبك وعقلك، وتستشير فيه. وما أعظم أن نستند إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١).

فكم ذهب الذين لا يتحكّمون في استجاباتهم مذهب الحمق والطيش والرعوننة والتهور فكانت النتيجة أنهم دفعوا أثماناً باهضة، لهذا قيل: «مقتل المرء بين فكّيه».

### قاعدة (٣) تحلّ بالمسؤولية ولا تكن إنفعالياً:

كثيرٌ من البشر يتهرّبون من المسؤولية وقيودها ونتائجها إن كانت وخيمة بل الأدهى أنّهم يلقون تبعاتها على الأبرياء.. وليس هذا من المروءة بمكان كما أنه ليس من الإنسانية الراقية من محلّ لقد أردنا الله سبحانه أن نتحمّل المسؤولية.

فقال سبحانه تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢)، وجعلنا خلفاء في الأرض فكيف تكون صورة الخليفة إن لم يتحمّل المسؤولية ويكون جديراً بحمل الأمانة التي أعرضت عنها الأرض والسماوات والجال.

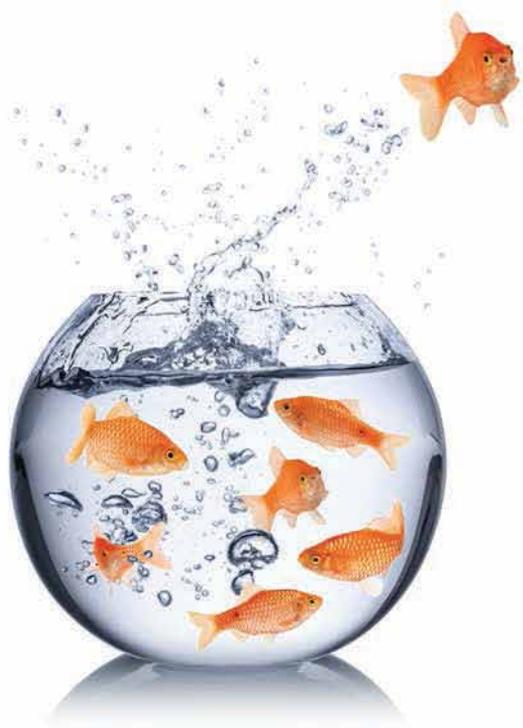
لهذا تقول هذه القاعدة: كن جديراً بحمل مسؤوليتك إن كنت أباً أو أمّاً أو ابناً أو ابنة أو معلماً أو معلمة أو مسؤولاً أو مسؤولة.

لا تكن إنفعالياً لتدفع عن نفسك الضرر فلن يخذلك الله إن كنت من أهل الحق والصواب وتأكد بأنك إن تهرّبت من المسؤولية وألقيتها على غيرها سيؤرقك ألمٌ طويل، وسقّض مضجعك ندمٌ عميق.

في حين فإنك مهما حصل لك من أمرستشعر بالسعادة لو تحمّلت المسؤولية بكل شجاعة وجرأة.

(١) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٣.





### قاعدة (٤) ادفع السيئة بالحسنة:

كي تخطو قدماً لتحقيق أهدافك التي تسعى لها وكي تنجز النجاحات التي تطمح إليها فإنك بحاجة إلى أن تحرر نفسك مما يعيق تقدمك ويشوش خاطرک، وينغص تفكيرك، ويقلق منامك، ويشغل هاجسك.

من هذه المعوقات تصميمك على الانتقام لنفسك من أساء لك، والرد على من تنكر لإحسانك بقبیح فعل، أو ببذیء قول، فإن قابلت إساءته بإساءة مماثلة كنت في مستوى خلقه، وإن تجاوزت عنه وصفححت عن زلاته، وغفرت له إساءته ارتقيت درجةً وتوجهت نفسك لما تسعى إليه من غاياتٍ عليا، وأهدافٍ كريمة، لا يشغلها شاغل، ولا يعرقلها معرقل يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) (١).

### قاعدة (٥) خالق الناس بخلق حسن:

المبادر راقى الفكر، فاضل الأخلاق، لأنه لا يمكن لإنسان أن يحقق النجاح الأصيل بدون خلق فهي أساس، والبناء إن لم يُقم على أسس مكيّنة، وأركانٍ متينةٍ انهار. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرَاوُونَ، وَالتُّشَدُّقُونَ، وَالتُّتْفِيهِقُونَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ، وَالتُّشَدُّقُونَ، فَمَا التُّتْفِيهِقُونَ؟ قَالَ: التُّكْبَرُونَ» (٢).

الأخلاق هي معقل كل نجاح، وجرثومة (٣) كل مبادرة.

(١) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) الألباني في (السلسلة الصحيحة) ٢/ ٤٣٤.

(٣) الجرثومة: أصل الشيء.

يقول الشاعر:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي إلا الثناء فإنه لك باقي

ولو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

لهذا أجعلها منهجاً لا تحيدُ عنه طريقاً، وسلوكاً لا ترضى عنه صديقاً تكن من أنجح الناس إذا ما أزهاك وأبهاك حين تكون رجل أعمالٍ ناجحٍ وأنت ترفل بالأخلاق المرموقة، والشائئ العليّة.

### قاعدة (٦) لا تنتظر الفرص واسع لها:

كثيرٌ من الناس ضيّع عمره في انتظار الفرص فلم تأتِه، أو جاءته على حين غرّة ولم يكن مستعداً لها ففوتها، ومضت دون رجعة..!

إن الإنسان المبادر هو الذي يسعى للفرصة، ألا يقال: «إن خير وسيلة للدفاع الهجوم» فالسعي بحثاً عن الفرص السانحة هو أجدى للإنسان من انتظار الفرص التي تأتي مع الريح أو لا تأتي ففي ذلك استغلال للطاقات والموارد والأوقات.

في كل شيء كن أنت الباديء، أنت المباغت لا تعمل وفق ردة الفعل فقط. لقد كانت من خصائص صقر قريش عبدالرحمن الداخل الحاكم الأموي الذي أقام دولة في الأندلس بالمبادأة والمباغته لخصمه حتى يعييه فلا يدري ماذا يفعل، لهذا انتصر في حروب كثيرة.. كان متيقظاً، متنبهاً.. ولهذا كلما ابتدأت في كل أمرٍ أكان إصلاح ذات بين، مسامحة صديقٍ أساء لك، صلة أرحام قطعوك، صفقة تجارية حاضرة، كلما دفعت نفسك إلى مراقبي النجاح، ومصاف المجد.

### قاعدة (٧) إفهم جيداً معاني الفشل والنجاح:

الفشل ليس الإخفاق في التجربة إنما هو السقوط وعدم القدرة على النهوض ثانية وثالثة ورابعة، والنجاح ليس هو الوصول إلى نقطة ما بل هو الإستمرار في العمل. لا تكن ممن يحسبون الفشل سقوط الحفر، أو ضياع الهمة، إنما الفشل هو الوهن

والضعف واليأس الذي ينتاب الإنسان من جرّاء عدم وصوله لتحقيق هدفه. في حين فإن النجاح ليس أن تحقق هدفك وتكتفي بل تواصل العمل طالما حييت فاستمرارك هو تحقيق مستمر للنجاح، وانجازٌ دائم للإنتصار لهذا يقال «ليس أفضل من النجاح» وهو ما يعني أنك في اللحظة التي تستكفي فيها بتحقيق هدفٍ تسعى له وتعتبرُ نفسك ناجحاً فقد فشلت.

النجاح هو أن تواصل العمل دون مللٍ أو كلل.

لا تكن سلبياً فتنظر إلى نفسك بعد كل تجربةٍ لم تصل فيها إلى ما طمّحُ إليه بأنك إنسان فاشل، لست فاشلاً أبداً طالماً كنت تحاول، كل تجربةٍ تحسبها فاشلةً إنّما تقربك في الحقيقة من النجاح.

سأل أحد رجال الأعمال الأثرياء: ما سر نجاحك؟ قال: كلمتين، قرارات ناجحة.

قيل: كيف توصلت إلى القرارات الناجحة؟

قال: بكلمتين، قرارات فاشلة.

يقول بوب ديLAN Bob Dylan: «لا نجاح كالفشل There's no success like failure» بمعنى أن النجاح يكمن في المحاولات وإن لم تنتجح.

ويقول توماس أديسون Thomas Edison مخترع المصباح: «أن عشرة آلاف تجربةٍ فاشلة تفوق ثمن نجاح واحد».

لهذا تأكد أن ما تعتبره فشلاً ليس له وجود فهو في النهاية تجربة فتحت لك الباب لتتعلم درساً، أو تصيدَ فرصةً أخرى.

أعجبتني عبارة قالها أحد رجال الأعمال الأثرياء يُدعى Vineet Nayar: «كل فشلٍ في حياتي أو في مؤسستي كان دافعاً عظيماً لنجاحي»

إذن فالسرّ هو في تحويلك لما تحسبه (فشلاً) إلى أن يكون دافعاً عظيماً للنجاح.

## قاعدة (٨) حول المشكلة إلى فرصة تستثمرها:

ما ضيَّع الكثير من الناس سوى تبرُّمهم الدائم، وشكواهم المستمر، لهذا فالفرق بين الناجح والفاشل أن الأخير ينظر دائماً إلى المشكلات وينقُب عنها، ويعظّمها وإن كانت نقطةً سوداءً دقيقة لا تكاد تبين في مساحةٍ شاسعةٍ من البياض.

أمّا الأول فيسعى لكي يحوّل المشكلة إلى فرصةٍ يستثمرها استثماراً يعود عليه وعلى غيره بالنفع والفائدة.

فإن حدثت مشكلةٌ أفلقت الفاشل وأصابته بالهمّ واقعدته عن البحث عن حلّ، بينما ينبري لها الناجح صاحبُ الفكر المشرق، والعقلِ النبيه، والنفسِ الوثابة فيبحثُ على الفورٍ عن حلٍّ ويجوِّها إلى فرصة فكن أنت هذا الناجح الذي لا يشتكي بل يفكر سريعاً كيف يمكن أن يستفيد من هذه المشكلة.

## قاعدة (٩) تلخص من الأفكار العقيمة التي تعيق تقدمك:

ما أعاق الناس شيءٌ من الماديات كمثل ما تعيقهم الأفكار العقيمة السقيمة التي عَشَّشت في عقولهم، وأعاقتها عن العمل، أفكار بليدة تأتي من محبطين يصوِّرون النور ظلاماً، والطريق المستقيم معوجاً، والسهل صعباً، وأفكار ورثتها أو نشأت في عقلك منذ صغرك جعلت منك صاحب همّة خاوية، وإرادة ضعيفة.. كل هذه مجرد معوّقات إن استجبت لها فلن تقطع طريقاً، ولن تحقق هدفاً..

املاً عقلك بالأفكار السليمة، المحفّزة التي تستفزُّ قواك للعمل، وهمك للنشاط، ومواهبك للظهور، كن صاحب إرادةٍ خلاقيةٍ، ولا تلقِ بالألأصوات المحبطة، فما نجح من أولها سمعاً، ولا فاز من أخافته بعواءها.

## قاعدة (١٠) كن صاحب إرادة قوية، وإقدام وجراءة في التنفيذ:

الإرادة وحدها لا تكفي، تصميمك الأكيد لعملٍ من الأعمال لا يكفي فكم من إرادةٍ طالت عليها الأيام فوهنت، وكم من تصميمٍ مرّت عليه الساعات الطوال فوهى،

إنما الإقدام على العمل سريعاً، والجرأة على اتخاذ القرار للتنفيذ وبلورتها على أرض الواقع.

يقول (Victor Hugo فيكتور هوجو): «لا يستطيع جيش أن يصمد أمام قوة فكرة أن أوانها»<sup>(١)</sup>.

### قاعدة (١١) حدد قدراتك، مواهبك، مواردك:

لا يمكنُ لك أن تقطعَ صحراءَ دونِ عدّة، أو تخوضَ معركةً دونِ عتاد، أو تمضي في طريقٍ دونِ مؤونةٍ ودليل، أو تسري في ظلامٍ دونِ نور. لهذا فلا يمكنُ لك أن تكون مبادراً حقيقياً وأنت مندفع لاقتناص الفرص دون استعداد ودون معرفة قدراتك فكم أضعاع الناس من فرصة ليس بسبب الإقدام بل بعدم تقدير الإمكانيات والقدرات والموارد.. هل يمكنك أن تعتدّ بقوتك العضلية لتقطع محيطاً من المحيطات سباحة؟! هل يمكنك أن تصبر تعتمد على جرأتك في قطع صحراءٍ دونِ مِرانٍ أو ماء؟ هل يمكنك أن تقدم على عقودٍ واتفاقيات دون تفكيرٍ وتخطيطٍ؟!

إن تقديرك لما تميّز به من قدراتٍ مهم وليس القدرات كلّها مادية بل هناك من القدرات الذهنية أو النفسية ما أفادت بعض الناجحين فاستفادوا منها حيث عرفوا كيف يستخدموها فحدد قدراتك ومواهبك التي حباك بها الخالق الملهم واستخدمها بقدر ما تستطيع دون تهوّرٍ واندفاعٍ بل بتعقلٍ واقتناع.

### قاعدة (١٢) لا تقارن نفسك بالآخرين:

إن من أعظم الأخطاء التي يقع فيها الإنسان فثني عزمه، وتضعف إرادته، وتشوّش ذهنه هي المقارنات التي يعقدها بينه وبين الآخرين، وما أكثر ما يرى نفسه دونهم منزلةً، وأقلهم شأنًا.. وهذا يدلُّ على قلة التقدير للنفس، وازدائها وهوائها.

فلا يرى المقارن نفسه إلا صغيراً في كل شيء بينما يمتلك من الأفضلية والمنزلة

والمواهب والقدرات ما لا يمتلكه الآخرون وإلا فإن الخلق سيكونون نسخةً واحدةً لا يتفاوتون في شيء، لهذا فإن المبادرَ الأصيل هو الذي لا يلتفت للمقارنات وإنما يضع لنفسه قدوات عظيمة في التاريخ يعمل من أجل أن يصل إلى مستوياتها الرفيعة علماً وسلوكاً وخُلُقاً حتى يصل إلى ما يصل إليه من العلم والسلوك الحسن والخلق الفاضل.

### قاعدة (١٣) ركز على إصلاح عيوبك:

لا يمكن لأي إنسان أن يتصف بصفة المبادر وهو منشغل بتقصي عيوب الآخرين، في حين لا يرى عيوب نفسه، وهذا يعاني من خلل في نفسه يقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه»<sup>(١)</sup>، لهذا دع عنك عيوب الآخرين وانشغل بإصلاح عيوبك كي تمضي قدماً لا يشغلك شاغل عن تحقيق أهدافك إلا إصلاح نفسك، فإن فعلت كنت أطيب الناس راحةً، وأسعدهم ضميراً، وأحدّهم رؤيةً.

### قاعدة (١٤) الاعتراف بالحق فضيلة:

كل إنسان يخطيء فلا أحد معصومٌ عن الخطأ إلا من رحم الله، لهذا فإن الاعتراف بالخطأ يرفعك منزلةً، ويزيدك قدراً في نفسك وعند الآخرين لأنك باعترافك الخطأ إنما تعبر عن صدقك مع نفسك، وعدم مخادعتك لها وللآخرين، وعن تقديرك لها. لهذا لا تتردد في الاعتراف بالخطأ ففي ذلك رفعةٌ، وصدقٌ وأمانة، فأنت حين تفعل ذلك تصبح إنساناً واقعياً تواجهه الواقع بمزاياه وأخطائه.

### قاعدة (١٥) ألق عن رأسك التوافه:

لا يمكن أن تكون مبادراً وأنت تولي جلّ اهتمامك لصغائر الأمور وتوافه الأحداث

(١) أخرجه ابن حبان وصححه الألباني.

والأقوال، فكم من صاحب إرادةٍ مكينةٍ أعاقته هذه الصغائر بانشغاله بها، وتفكيره فيها، وهي توافه لو نظر لها من علوٍ مرتفع لزهدها وسخرَ من نفسه المهمومة، المكلومة بها.

لهذا إن أردت أن أردت أن تصل إلى هدفك الواضح، وغايتك الصريحة، فلا تنشغل بالتوافه، ولا تلتفت للصغائر وامضِ إلى حيث تريد قوي الشكيمة، شديد البأس.

### قاعدة (١٦) وقتك من أئمن الذخائر لديك:

المبادرة لا تعني الإقدام والجرأة والبأس فحسب بل وإدراك ما عندك من الذخائر، وما تملك من الموارد يأتي الوقت ضمن أهمها. ذلك لأن كل دقيقة تمرّ على الإنسان تنقص من عمره، فإذا نقص العمر أثر على الهدف الذي تصبو إلى تحقيقه.

لهذا فإن كنت تريد أن تكون مبادراً حقيقاً فلا بد لك أن تدرك قيمة الوقت، وإدراك قيمته لا يعني التغني والتشدد بالحكم والأشعار والمأثورات عنه بل باستغلاله عملياً حتى تصبح كل خطواتك ملموسة، فلا يصبح عليك اليوم التالي إلا وأنت في موضع متقدم، ولا يمسي عليك الليل إلا وأنت قد قطعت ما يشيع في قلبك الإبتهاج والرضا بالإنجاز.

الوقت في ذاته عاملٌ حيادي لا يفيدك بشيء دون أن تملأه بالعمل، قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمتُ على شيء ندمي على يومٍ غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي»

### قاعدة (١٧) عش التفاؤل واجعله عنوانك:

كما لا يمكنُ للساري في الظلام أن يمضي دون هادي ولا بصير، فإن المبادر لا يمكنُ له أن يبادر دون أن يكون متفائلاً في سيره نحو تحقيق أهدافه، فالتفاؤل هو الزيت الذي يشعل الحياة، ويملؤها بريقاً أخاذاً ويجب إلى النفس المغامرة والإقدام نحو

فتح جديد، وإنجازٍ فريد.

عليك إذن أن تجعل التفاؤل ينضح من عينيك قادماً شعاعه من أعماق قلبك المستنير بالثقة بأنك ستحقق الهدف المنشود، وتصل إلى المرمى المقصود.

### قاعدة (١٨) قسّم أهدافك إلى خطواتٍ صغيرة:

يستصعبُ الكثير من الناس كبار الأهداف، لأنهم يرونها كالجبال الشاخحة فترتدُّ أبصارهم بائسةً إلى قلوبهم، ويستكثرون المدى الطويل في الطريق فتخورُ أقدامهم، وتخبو عزائمهم، لكنهم لو قسّموها بمبادراتهم إلى خطوات وإن كانت صغيرة فإنها توصلهم إلى المبتغى والغاية مع مرور الأيام، ومضيّ الأعوام. ألا يحصلُ الدارسُ على الشهادة بعد أن يكون قد خاض العلمَ درساً درساً وحصّةً حصّةً وامتحاناً امتحاناً حتى أوصلتهُ كلها إلى اليوم المشهود الذي تُوج فيه بالنجاح، ووُسِّحَ فيه بأكاليل الظفرِ والفوز.

لهذا فإن الخطوات الصغيرة وإن زهدا المبادر هي طريقه إلى الإنجاز الكبير، يقول الفيلسوف الصيني لاو تسو Lao Tzu: «إفعل الأشياء الصعبة حين تكون سهلة، وافعل الأشياء الكبيرة حين تكون صغيرة فطريقُ الألفِ ميل يبدأ بخطوة واحدة».

### قاعدة (١٩) العفو والمسامحة طريق الرقي:

يقول أحد المبادرين الذين لا يشغلون أنفسهم بالتوافه «لا وقت لديّ للكرامية» فهو إنسانٌ مشغولٌ بأمورٍ أعظم وهي خدمة الإنسانية واستثمار الوقت لما يحقق النفع والخير للبشرية وليس مخاصمة هذا ومعاتبه ذلك، وشحن القلب بالضعائن، والصدر بالأحقاد..

هذه أثقالٌ لا تستطيع نفس المبادر أن تحملها وهي ترمي إلى تحقيق أهدافها في الحياة بل عليها أن تتخفف منها. المبادرُ إنسانٌ في طبيعته مسامحٌ لأنه لا يريدُ أن يثقل نفسه بأعمالٍ تبطيء من حركته، وتوهن من عزيمته، فعليك أن تسامح من ظلمك، وتعفو

عمن أساء إليك فتجدُ نفسك وأن تنهبُ الأرض نهباً، خفيف الروح، كالريشة تطير  
لا ينغصك هم، ولا تثقل كاهلك ضعيفةً لأحد.

### قاعدة (٢٠) اخطو على بصيرة:

وأعني بهذا أن تكون مخططاً جيداً لمبادرتك، تعي جيداً الطريق الذي تسيرُ فيه،  
تحسبُ حسابات الربح والخسارة، وتتصور أفضل النتائج وأسوأها، وتلمُّ بالظروف  
المحيطة بك، وتدرك حجم التحديات والفرص. في علم الأعمال هناك ما يسمى  
«تحليل سوات SWAT Analysis» وهي اختصارات لأوجه الفكرة:

القوة strengthen، الضعف weakness الفرص oppertunities، التحديات  
.threats

هذه أوجهٌ لا بد لكل مبادر صاحب فكرة أن يدركها حتى يخطو على بصيرة، فلا  
يترك أمره للصدف، ولا يركن إلى الحظ، ولا يعوّل على الأمنيات.

الإنسان مطالبٌ بأن يأخذ بالأسباب «إعقلها وتوكل» أي أن يرتبط بالأسباب.

لهذا كن إنساناً عملياً، بصيراً في مبادرتك، واضحاً في مشاريعك، قوياً في استنتاجاتك،  
متمكناً في تخطيطاتك عندها تظفرُ بالنجاح.

لا تكن مجرد حاملٍ رومانسيٍ يحلم دون عمل.. وكم لي أن أكرر لكلّ حاملٍ وها أنا  
أكرر مقولتي لك.. «الأحلامُ لا تتحقق بالكلام بل بالأفعال» فكن إنساناً عملياً  
تصبّ أحلامك في قوالب عملية تراها ماثلةً للعيان أمامك.

### قاعدة (٢١) تعاون مع الآخرين:

التعاون مع الآخرين طريقٌ يقودك للمجد الحقيقي، فلا ينجحُ الأنانيُّ في مطلبه،  
ولا صاحبُ المصلحة الشخصية في مسعاه، لأنها أرادا الحصول على المكاسب على  
حساب الآخرين وهذا هو الطمع والجشع الذي يمقتُ الإنسان بسببه، ويشوّه  
سمعته بين الناس فينفرون منه ولا يقدمون على التعامل معه.

لهذا كلما تحررت من الأنانية، وتخلّيت عن الفردية الجشعة فأنت مبادرٌ عظيم إذ أنت واحدٌ من صنّاع التاريخ للإنسانية، ومحققي المجد للبشرية.

هل تصوّرت يوماً أن إنساناً لا يستغني عن آخر في حياته؟!!

الكل يحتاج إلى الكل، هذه نظرية الحياة الاجتماعية، وهذه أسس القواعد الإنسانية، لهذا فإن أردت أن تكون مبادراً أصيلاً فكن صاحبَ نفسٍ تفكّر في الآخرين، وتتعاون معهم وترى الربح في علاقاتهم، والخسران في فقدانهم، والنجاح الحقيقي في التعاون معهم ومؤازرتهم.

كما أنك بالتعاون مع الآخرين إنّما تبني سمعتك الذاتية، يقول أنطوني دانجيلو "إبن سمعتك عن طريق مساعدة الآخرين على بناء سمعتهم" لهذا تولّد لك دافعية التعاون سمعةً ذاتية تمهّد لك مذهبَ وطرائق للنجاح.

### قاعدة (٢٢) كن مبادراً مبدعاً:

المبادر المبدع هو الذي لا يقلّد الآخرين في أفكارهم وإنّما ينتج أفكاراً، أو يضيف إلى أفكار الآخرين بما يسمى في عالم المال والأعمال بـ «القيمة المضافة value added» لهذا كم من إضافات بسيطة كان لها مردوداً مالياً عظيماً لم ينتبه لها أصحابها الأصليون حتى تلقّفها من يضيف إليها «قيمة مضافة» غايةً في البساطة كذلك الذي أضاف الإعلان التجاري في ظهر التذاكر حين كانت أوراقاً مطبوعة فحصل على عائد كبير.. الإبداع لا يعني الأفكار المعقّدة وإنّما هو أقرب إلى العالم الواقعي الذي يضيف شيئاً إلى مستلزمات الناس بحيث يسهّل من قضاء حوائجهم ويرفع من مستوى الرفاهية في حياتهم.

لهذا اجعل الأفكار المبدعة أساساً تنطلق منه مبادراتك الخلاّقة، تنل ما تأمله من أهداف، وتصل إلى غاياتك الجليلة.

### قاعدة (٢٣) كن مبادراً عتيداً ومرناً:

ليس تضاداً أن تكون عتيداً وفي الوقت ذاته مرناً...! فالعتيدُ هو الصلبُ المهيأً للشدائدِ والمرنُ هو الذي إن واجهته معضلة في طريقه يبحثُ على الفور عن طرق بديلة، أو حلول أمثل.

تصوّر أن شخصاً واجهته صخرة هائلة الحجم في طريقه فأضاع الوقت كي يزيحها لأنه عتيد ولم يكن مرناً، إنه يضيّع وقته ويبدّد طاقته، بينما لو اتصف بالمرونة لفكّر في أن صخرة كهذه من الصعب عليه واقعيّاً أن يزيحها من طريقه لكن عليه أن يبحث عن طريقٍ آخر وإن كان طريقاً متعرجاً لكنه يقودك في نهاية الأمر إلى مقصدك.

المهم أن لا تتنصل عن المسؤولية، ولا تتخلى عن مطمحك بل ابحث في كل السبل، إطرق كل الأبواب، قلب كل الاحتمالات، جرّب كل الحلول التي تخطر في ذهنك وتأكد بأنك ستصل إلى حل في نهاية الأمر طالما كنت عتيداً ومرناً.

### قاعدة (٢٤) اعمل بحزم ولكن بصمت:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»<sup>(١)</sup>، لهذا فإن العمل الصموت هو أنفع لك من الهرج الذي لا يفضي إلى شيء، فالعربة الفارغة هي التي تصدر جلبة عالية أما العربة الممتلئة فتلك التي لا تسمع لها صوتاً، لكي تكون مبادراً فاعلاً فاجعل عملك هو الذي يتحدث عنك في أوانه، ولا تجعل لسانك هو المثرثر دون أن يكون عملك شاهداً عليك.

فالإنسان في النهاية يقيّم بعمله المائل للعيان لا بلسانه طلق العنان.

### قاعدة (٢٥) اصنع الفرص:

لكي تكون مبادراً لا بد لك من أن تبحث عن الفرص لأنها نادراً ما تأتيك إلى

(١) رواه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي بردة.

مكا نك

اصنع الفرص بالبحث عنها، والبحث لا يعني الجري هنا وهناك فحسب، بل أيضاً إعمال الفكر في قدراتك وقدرات الآخرين، ومواردك ومواردهم والفرص المتاحة في الخارج، ودراسة الإحتياجات وإكمال النقائص، فكم من فكرة صغيرة جداً أضافت الكثير وعادت بالمال الوفير.

لهذا اجعل ذهنك متوقداً بشكل مستمر، واصغ لكل كلمة يقولها لك إنسان، لا تسخر منها، ولا تزهد بها بل تمعن فيها، وإن كان على سبيل الهزل تفكر فيها ملياً فقد تفتح لك طريقاً لم تتصوره من قبل، حينما تقرأ تمعن في كل كلمة، تدبر في تجارب المبادرين، استفد من أفكارهم ومبادراتهم وتعلم كيف استطاعوا أن يصنعوا الفرص.

لقد قرأت عن المليونير السير ريتشارد برانسون Richard Branson أنه لما أراد شراء جزيرة Nicker عرضت عليه بثلاثة ملايين جنيه استرليني، فعرض المال الذي كان يملكه آنذاك وهو مائة وثمانون ألف جنيه.. فانظر إلى الفرق الشاسع بينهم: مليونين ومائتي ألف جنيه استرليني، لكنك ستدهش أن المليونير اشتراها فيما بعد بنفس المبلغ الذي عرضه على الشركة الوسيطة لأنه بحث عن صاحب الجزيرة وعرف عن حاجته الشديدة للمال وكانت في حدود نفس المبلغ الذي عرضه.. وها هي الآن الجزيرة مما يفتخرُ به صاحب مجموعة شركات الفرجين Virgin Group.

### قاعدة (٢٦) لا تستلم أبداً واقلب تصوراتك:

لا تكن كبعض الناس الذين يقولون لأنفسهم حين لا يجدون تجاوباً من أحدٍ نحو منتجٍ عرضه، أو فرصةٍ أرادوا استغلالها فلم يجدوا تعاوناً من أحد.  
حظي سيء... هذا الإنسان غير متجاوب معي... الفكرة غير مقبولة... أنا إنسان لا أصلح لهذا...)

هذه العبارات وما شابهها تُغلق عليك أبواب المبادرة، إنّما الصحيح هو أن من النادر لفكرة أن تُقبل لأول وهلة، أما أغلب الأفكار والمبادرات فتحتاج إلى تعديل وتغيير وإضافة وتحسين حتى تصبح مقبولةً عند جهةٍ معينة أو فردٍ بعينه.

إفعل مثلما يفعل Peter Johns مؤلف كتاب «The Tycon المليونير» إذ كلّم رفض أحد عرضه لمنتج أو خدمة الذي يقدّمه لا يستسلم ولكن يقول في نفسه: سيربطني تعاون معهم في يوم من الأيام. بعدها يسألهم عن الإضافات التي يريدونها في المنتج أو الخدمة فيواصل عمل الإضافات حتى تصبح في مستوى توقعاتهم ورضاهم وعندها يتم التعاون بالفعل معه.

كن إذاً صاحبَ عزيمةٍ لا تخور، وهمةٍ لا تخبو، وتصميمٍ أكيدٍ فالمبادرة التي تحملُ فكرةً جديدةً ينظرُ إليها البعضُ بتوجّس، وينكرها آخرون، ويسفهاها غيرهم لكن إيمانك العميق بالفكرة، وتأثيرها الإيجابي ومنفعتها للناس هو الذي يجعلك لا تستسلم ولا تصف مبادرتك بالفاشل فهي في نهاية الأمر وإن لم تظهر في النور تجربة تعلمت منها شيئاً يضيف إليك.

### قاعدة (٢٧) اقبل النصيحة:

من كان صلباً، عتي المراس، عنيد الرأي لا يمكن أن يكون مبادراً ناجحاً، لهذا فإن النصيحة حين تأتيك من إنسانٍ يودُّ لك النفع والخير لا يمكنك تجاهلها بحجّة أنت أدرى بما تفعل.

تسمع عن المثل القائل: «خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين» فكيف إذا سمعت من عاقلٍ نصيحة خالصة لا تنطلق من مصلحةٍ أو حسد، يقول الشاعر:

لا تحقرنَّ الرأي وهو موافقٌ

حكّم الصواب إذا أتى من ناقصٍ

فالدُّرُّ وهو أعزُّ شيءٍ يقتنى

ما حظَّ قيمته هوان الغائص

المبادر رحب الصدر، حليم الخاطر لكنه في الوقت نفسه صاحب تصميم وحزم وإرادة في وجه كل حسودٍ يصبّ حسده في كأسٍ شفافةٍ براقَةٍ من النصيحة حتى ليحسبه الشارب حليياً صافياً فإن هو السم الزعاف.

استشر من تثق به، واسع إلى أصحاب الخبرات والتجارب تنل منهم ما يضيف إليك ويحسن من مبادراتك ويحفّز من نفسك، ويقوي من عزيمتك.

### قاعدة (٢٨) لا تصاحب ولا تستمع للمحبطين:

إن من بعض الأصدقاء والأصحاب من يجبّط المبادرين، ويسعى إلى تحطيم إراداتهم، وإضعاف همهم، بتصويره الدائم لهم العراقيل والصعوبات والمعضلات التي سيواجهونها في طريقهم..

هؤلاء ينظرون إلى جانبٍ واحدٍ هو الجانب المظلم فقط الذي يعكسُ نظرتهم للحياة، وحقدهم على المبادرين.. ولو كانوا صادقين وأمناءً لنظروا إلى الفرص والإمكانيات، قبل التحديات، ولكشفوا الإيجابيات قبل السلبيات، ولكنهم أرادوا على الفور أن يطفئوا الشعلة التي رأوها فيك كي لا يكون لك شأن فلا تسمع له ولا تُعر لهم اهتمام،

أقول:

تجاهلتُ السَّفاهةَ من جَهولٍ

وأنكرتُ الملامةَ من عدولٍ

فمن كانت مطامحهُ المعالي

فلا يصغي إلى المرءِ الضَّلولِ<sup>(١)</sup>

إبحث عن الصديق المحفّز الأمين في نصيحتته، المنصف في نظرته، العميق في رؤيته،

الواضح في حجّته، الواثق في فكرته ولا تصاحب من يريدُ منك أن لا تغادرَ مكانك إلى مكانٍ أفضل فذلك من البليدُ الخامل، والحاسدُ الجاهل الذي يريدك أن تظل في المستنقع لا تغادره.

### قاعدة (٢٩) غير نفسك كل لحظة فالتغيير سنّة الحياة:

يقول الفيلسوف الإغريقي هرقليطس: «لا شيء ثابت سوى التغيير» أي أن التغيير هو السنّة المؤكدة للحياة، فكيف يمكنُ لك أن لا تتغير كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة؟! دقيقة؟!!

التغيير هو الإضافة ولا يعني بالضرورة تقلّب الأهواء والأمزجة والمبادئ والقيم.

أن تقرأ سطرًا، أن تحفظ بيتًا، أن تدبر آية، أن تمعن في تجربة، أن تتفكر في منظر، أن تقلّب فكرة، فهذا يعني أنك تتغير، لأن كل ذلك يضيفُ إليك شيئًا جديدًا، والإضافة هي التي تجعلك إنسانًا مختلفًا عمّا كنته قبل هذا الفعل.

وسّع من دائرة طموحك في التغيير «كن أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم» كما يقول غاندي، لا تعتنق وهم عدم القدرة على التغيير، ولا تؤمن بمبدأ عدم إمكانية التغيير.. أنت تستطيع أن تغير الناس، المجتمع بل العالم بأسره بتغيير نفسك.

كن المنطلق للتغيير: لا تقول هذه الجملة البائسة «لكن المجتمع».. بل قل «أنا الذي سأتولى التغيير»

- لا تردد قول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا

ولكن لا حياة لمن تنادي

ولكن ردد قول المتنبي:

إذا غامرت في شرفٍ مَرُومٍ

فلا تقنّع بما دون النجوم

### قاعدة (٣٠) لا تقل «لو» اللائمة، وقل «لو» الناقدة

تقريع الذات لشأنٍ فات ليس بالأمرِ الحسن، لا تكن كالكثيرِ ممن يندبُ حظَّه لتجربةٍ مرّت بقوله «لو فعلتُ كذا» وهو يقصدُ ملامةً نفسه، وتأنبها ففي الحديث الشريف «إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا... ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»<sup>(١)</sup>.

فإن قلت «لو» فقلها بقصدِ نقدِ التجربة، وتحديدِ الخلل، وتعيين الخطأ لأنك بدون أن تنقدَ قائلاً «لو فعلتُ الشيء الفلاني لربما كان أجدى وأفضل» فإن ذلك يعني عدم المحاولة مرة أخرى.

ولا بد لك من الإستمرار في التجربة، أو المضي في الإصلاح، أو إعادة المحاولة وليس الإستكانة والتسليم.

### قاعدة (٣١) لا تيأس:

ماذا تقولُ في رجلٍ أسسَ شركةً وأصبح مالِكها ثم يُطرَدُ منها بعد ذلك؟! ألا يستبَدُّ به اليأس، وتطوّحه الهموم؟!!

لكن هذا لم يكن حال الراحل «ستيف جوبز» الذي أسس شركة «آبل Appel» ثم طُرد منها إثر خلافات نشأت بينها وشركاؤه.. فلم ييأس بل واصل مثابرتَه بأن واصل مخترعاته في مجال الرسوم المتحركة ثم «الآي بو IPod» فإذا بالشركة الأم «آبل» تستنجد به لينقذها من الإفلاس فعاد لينقذها..

هذا الرجلُ كان يقول دائماً «سأعيش كل يوم كما لو كان آخر يومٍ في حياتي»!..!

ويقول: «الموهبة وحدها لا تأخذ بيدك إلى النجاح فكم من موهبة رزق بها إنسان فاشل لا يصر على هدفه» إذن هي المثابرة والإصرار التي دفعته بعيداً عن مستنقع اليأس»





فتحل أنت أيها المبادر بالإصرار كيف لا وخالقتك العظيم يقول:

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) ﴿١﴾.

كم من أناس انهاروا بعد التجربة الأولى وعدّوها فشلاً نهائياً.. الفشل الحقيقي هو عدم القدرة على النهوض ثانية.. عاود النهوض كلّما وقعت، وواصل المشي كلّما تعثرت، وزد من ثقتك بنفسك بإصرارك وعزيمتك.. برهن لنفسك وللآخرين أنك لا تيأس أبداً..

التفاؤل هو إشراقة الأمل، إذا لا يمكن لمبادر أن يكون ناجحاً في أمرٍ يُقدم عليه وهو مترجح الفكر، غير واثقٍ من النجاح، متشكك في النتائج. العامل النفسي بما يحتويه من قوة جذب، وإيجاء له دوره الكبير في تحقق أفضل النتائج.

آلا ترى كيف يشفي التفاؤل المريض، وكيف تُردّي الوسواس الصحيح.. إن تفاؤلك في الأمر الذي تُقدم عليه هو عاملٌ من عوامل نجاحه.. إذا فقد ضمنت عاملاً من عوامل النجاح دون عناء..

### قاعدة (٣٢) تخيل نفسك قائداً:

من خصائص القائد المبادرة، والمبادرة الحقيقية هي التي تأتي بالجديد هي الإبداع وهذا الأخير «هو الذي يميّز بين القائد والتابع» كما يقول ستيف جوبز.

لهذا فتصوّر نفسك قائداً يتبع، لا جندياً يتبع، لأن القائد يبتكر بينما الجندي يتلقى الأوامر فلا يُجهد عقله بالتفكير، ولا نفسه بمعالي الأمور، تخيل نفسك قائداً لكي تحفّز نفسك، فتنتشي فيك همة الإصرار، وتتوقّد في جوانحك شعلة الإقدام.

يقول بو بينيت Bo Bennett «بدون المبادرة فإن القادة هم مجرد عاملين في وضع

القيادة» (٢)

(١) سورة يوسف: الآية ٨٧.

(٢) Without initiative, leaders are simply workers in leadership positions

### قاعدة (٣٣) دقق في ألفاظك:

الألفاظُ كما هو معلوم لها أثرها على النفس، فكلّ لفظٍ لا تنطقه اللسان عبثاً وإنّما له ترسّباته، وتراكماته، ثم آثاره.

إن قلت «لا أستطيع» أو «لا أعرف» أو «أنا تعيس» أو «لا أنفع لشيء» فأنت ترسلُ إلى أعماقك رسائل سلبية خطيرة تعيقك عن المبادرة، ومع مرور الأيام تصبحُ إنساناً بليداً، خامل الحسّ، هامد المشاعر، واهن الهمة.

طهر لسانك من الكلمات السلبية واستبدلها بكلمات ذات دافعية.. كلمات ترسل إلى القلب إشارات القدرة، والتحفيز، والدافعية.

### قاعدة (٣٤) كافيء نفسك:

يقول المليونير Beter Johns «وعدتُ نفسي بأنه إذا حققنا عائداً يصل إلى ١٢ مليون جنيه إسترليني في نهاية العام فإنني سأحجز جزيرة Nicker التابعة للسير Richard Branson لمدة أسبوع وسأصطحب أهلي وأصدقائي الذين وقفوا معي طيلة العشرين سنة الماضي»<sup>(١)</sup> لقضاء إجازة سعيدة فيها.. وقد حدث هذا بالفعل.

التحفيزُ الذاتي مهم إذن للمبادر كي يسعى بكل تصميم وعزيمة لتحقيق أهدافه، لأن نفس الإنسان تحتاجُ للدافعية وهذه لا تعني العوامل الأولية فحسب من مثل التشجيع والحماسة والموارد اللازمة وإنّما أيضاً المكافأة المتوقعة بعد الحصاد.

تصوّر إذن مكافأتك للمبادرة التي ستقوم بها؛ على سبيل المثال أن تكون المكافأة التي تتمناها رضى الله عز وجل ورضى والديك واحتساب الأجر والثوبة من الله. أو أن تكون المكافأة شراء بيت أو سيارة، أو القيام برحلة سياحية، أو غير ذلك.

وإليك هذه القصة التي يتصوّر صاحبها حصاد مبادرته فقد كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه يرحاء وكانت مستقبلة

المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما أنزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»<sup>(١)</sup>.

### قاعدة (٣٥) رتب أولوياتك:

يقول (ستيفن كوفي)<sup>(٢)</sup> Stephen Covey: «المفتاح هو أن تتحمل المسؤولية والمبادرة، وتقرر معنى حياتك وترتب أولوياتك حول أهم الأشياء حولك»  
 إذن فترتيب الأولويات يسبقه إدراك معنى وجودك الإنساني على ظهر الأرض.  
 المبادرات الحقيقية تنطلق من الرؤية الواضحة للأهداف، وهذه الرؤية تنبعث من الإيمان العميق بالخالق عز وجل ومغزى الوجود في الحياة. ترتيب الأولويات ينطلق من هذه القاعدة الأساسية كي تستطيع أن تمضي قُدماً لتحقيق مبادراتك.  
 ستجد نفسك أن أهدافك تنسجم بصورة تلقائية، وترتب أولوياتك بشكلٍ طبيعي كلما عمقت الإيمان في نفسك، وقويت صلتك بخالقك.

### قاعدة (٣٦) عش يومك كآخر يوم:

لا تتفاجأ بهذه القاعدة إن قلت لك أنها أساس التوازن في الحياة بل والنجاح فيها..!

(١) <http://library.islamweb.net>

(٢) The key is taking responsibility and initiative, deciding what your life is about

.and prioritizing your life around the most important things

وإنني لأحب دائماً أن أردد الحكمة التي تقول «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

إذا تصوّرت أن هذا هو آخر يوم في حياتك أيها المبادر فلن تضيع فيه ثانيةً واحدة، بل تستثمره فيما ينفعك، وتكتسب من وراءه سمعةً طيبة، وأجرًا حسناً.

أحد المبادرين الناجحين ويدعى «ستيف جوبز Steve Jobs» مؤسس شركة (آبل Apple): على مدى الـ ٣٣ عاماً الماضية أنظر في المرآة كل صباح وأسأل نفسي: «لو كان هذا اليوم آخر يوم في حياتي هل ما سأفعله اليوم هو ما أريد أن أفعله؟» فإذا كان الجواب «لا» (في عدد كبير من الايام، علمت أنني بحاجة لتغيير شيء ما).

### قاعدة (٣٧) لا تجعل المال غايتك.

إذا كان الإنسان المبادر يسعى لتحسين حياته فإن المال هو إحدى وسائل تحسين معاشه، لكن إذا أصبح جمع المال هو غايته النهائية ولم يصبح وسيلة من وسائل تحقيق رسالتك في الحياة فلن يسعدك حقيقةً وسيظل يتتابك شعورٌ دائمٌ بالنقص والضيق والقلق، هذا ما يشعر به بعض المشاهير من نجوم سينما، وموسيقى وغناء وغيرهم.. إنهم يفتقدون للغاية التي من أجلها يعيشون.

يقول المليونير آدم خو Adam Khoo: «النقطة التي أحاول الوصول لها هي أن السعادة يجب أن تأتي من قيامك بواجبك في الحياة سواء كان ذلك التدريس أو بناء المساكن أو التصميم أو التجارة أو الفوز بالمسابقات... الخ».

أما المال فهو أمر ثانوي سيأتي كنتيجة طبيعية لقيامك بواجبك بشكل مميز إذا كنت تكره ما تقوم به، وتعتمد على المال الذي تجنيه من هذا الأمر الذي تكرهه لكي تصبح سعيداً عن طريق شراء الأشياء.

أعتقد بأنك تعيش حياة بلا معنى، لهذا اجعل غايتك في كل مبادرة ليس جمع المال وإنما أرفع من ذلك وأسمى، اجعلها غايةً تفتخر بها بين الناس، تغيّر بها واقعاً،

تنيرُ بها عقولاً، تفتحُ بها دروباً.

أمّا المال فيأتيك بعد ذلك. سألتُ أحد اللاعبين العالميين المشهورين: هل تفكّر في المال؟ قال: كلا، أفكر كيف أخلصُ في موهبتي كلاعب، أمّا المال فيأتي تلقائياً من وراء هذا الإخلاص.

### قاعدة (٣٨) لا تجعل للنجاح من خاتمة:

إذا قلتَ لنفسك أنك نجحت ووقفت فإنك تكون قد فشلت حقاً..

النجاحُ هو مواصلة العمل، وفي المؤثور النبوي الشريف حديث يستحق العبرة والتفكير «إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم غرسة فليغرسها»<sup>(١)</sup>.  
العمل لا يجب أن يتوقف حتى مع قيام الساعة والعملُ في حد ذاته هو نجاح..  
نجاحٌ لقهر العجز والكسل والخمول والدعة والفراغ.. فلا تجعل للنجاح من نهاية.

### قاعدة (٣٩) لا تنظر بندم إلى ما فات:

إن من الخطأ النظر إلى ما فات والندم عليه. الصحيح أن تبادر على الفور بالإصلاح فلو نظرنا نحن البشر إلى الخلف بندم طوال أوقاتنا لأهدرناها سدى، وملاًنا أنفسنا حرقة وحسرةً على ما فات.

ما فات فات لا يمكن استعادته، لكن يمكن تصحيحه إن كنت تملك الإيمان الحقيقي بقدراتك وطاقاتك والشيء الذي يجب تصحيحه.

### قاعدة (٤٠) كن سباقاً:

جاء في الأثر «خيرُ البرِّ عاجله» أي أن تقديم ما فيه إحسان للإنسان يجب التعجيل فيه. فإن خاصمك أحد عجل بالمسامحة، وإن أساء لك شخص عجل بالعفو عنه، وإن رأيت محتاجاً عجل بمساعدته، وإن رأيت أي وجه من وجوه الخير لك لا تتردد

(١) رواه أنس رضي الله عنه.

في الإقدام عليه. يقول الحق سبحانه وتعالى «فاستبقوا الخيرات»<sup>(١)</sup> أو المسارعة «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم»<sup>(٢)</sup>.

الحياة نجاحها مبادرات خلاقة فاصنع لنفسك إسماً وشرفاً بأن تكون سباقاً في تلك المبادرات التي تسبق بها آخرين، لا تنتظر حتى يُقدم أحدٌ ما على فكرة تفكر فيها فكم من يقول: كانت هذه الفكرة في رأسي، ما الفائدة بعد أن دارت في رأس أحدهم وطبّقها على أرض الواقع؟! قل لنفسك دائماً: ماذا أنتظر؟!

### قاعدة (٤١) لا تخف:

لأن الخوف إلا من الله يعيقك عن التقدّم ويشكّل عقبة أمام طموحاتك، وقدراتك ومواهبك، لهذا كن مطمئناً بالإيمان بالله والتوكل عليه وثقتك بما تحمله من مبادئ واضحة وقيم أصيلة، ولا تتصور الأمور أكبر من حجمها، واطرد الخوف بالإقدام على العمل والتغيير والتجديد في حياتك.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

## قصص مبادرين ...

### فجروا النور الذي بين جوانحهم بهمهمم العالية:

قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه..

يقول سيدنا سلمان الفارسي راوياً عن نفسه:

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، من أهل قرية منها يقال لها جي...

وكان أبي دهقانها...

وكنت أحب خلق الله إليه...

فلم يزل بي حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تحبو ساعة.

وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي:

يا بني إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلّعها وأمرني ببعض ما يريد.

فخرجت، ثم قال:

لا تحتبس علي، فإنك إن احتبست علي كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

فخرجت أريد ضيعتي، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت إليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلواتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا - والله - خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟

قالوا: الشام

قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال:  
أي بني، أين كنت؟  
ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قلت: يا أبت، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم،  
فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قلت: كلا والله،  
إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيذا ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى، فقلت: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى،  
فأخبروني بهم.

فقدم عليهم ركب من الشام، قال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم،  
وأرادوا الرجعة، فأخبروني.

قال: ففعلوا، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام.

فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن  
أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا  
جمعوا إليه منها شيئاً، اكتنزها لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من  
ذهب وورق، فأبغضته بغضا شديدا لما رأته يصنع...

ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم  
بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتم بها، كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين، وأريتهم

موضع كنزه سبع قلال مملوءة، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً.  
فصلبوه ثم رموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً - يعني لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضل منه، أزهّد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً، ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط حبك، فماذا تأمرني وإلى من توصيني؟

قال لي: يا بني والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فائته؛ فإنك ستجده على مثل حالي.  
فلما مات وغيب لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك.  
قال: فأقم أي بني.

فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة.

فقلت له: إن فلاناً أوصى بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني به؟

قال: والله ما أعلم، أي بني، إلا رجلاً بنصيبين

فلما دفناه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية بالروم، فأتيته فوجدته على مثل حالهم، واكتسبت حتى كان لي غنيمة وبقيرات.

ثم احتضر فكلمته إلى من يوصي بي؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة،

فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.  
فلما واريناه، أقمت حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم تحملوني  
إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟  
قالوا: نعم.

فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني عبدا من  
رجل يهودي بوادي القرى، فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن يكون البلد الذي  
نعت لي صاحبي...

وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فبتاعني من صاحبي.  
فخرج بي حتى قدمنا المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها.

فأقمت في رق، وبعث الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بمكة لا يذكر لي شيء من  
أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قباء، وأنا  
أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاء ابن عم له، فقال: يا فلان، قاتل  
الله بني قيلة، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه  
نبي... فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء -يقول الرعدة- حتى ظننت  
لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟  
فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة..

وقال: مال لك ولهذا، أقبل على عملك فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبراً فأحييت أن  
أعلمه.

فلما أمسيت، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله -صلى الله  
عليه وسلم- وهو بقباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابا  
لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد، فهالك  
هذا، فكل منه.

قال: فأمسك، وقال لأصحابه: كلوا

فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي، ثم رجعت، وتحول رسول الله إلى المدينة، فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئته به، فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية.

فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان.

ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف، فلما رأيته استدبرته عرف أني أستثبت في شيء ووصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكبت عليه أقبله وأبكي.

فقال لي: تحول، فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدر وأحد.

ثم قال رسول الله: كاتب يا سلمان.

فكاتب صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أعينوا أخاكم. فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، حتى اجتمعت ثلاث مائة ودية.

فقال: اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها، جئته وأخبرته فخرج معي إليها نقرب له الودي، ويضعه بيده فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟

فدعيت له، فقال: خذها فأدبها ما عليك.

قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟

قال: خذها فإن الله سيؤدّي بها عنك.

فأخذتها فوزنت لهم منها أربعين أوقية وأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حراً، ثم لم يفتني معه مشهد.

## قصة عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش (١١٣ - ١٧٢ هـ) (١).

هو حفيد هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموي. لما قامت الدولة العباسية طغت وبعثت وقتلت الأبرياء الذين لا ذنب لهم إلا أنهم من بني أمية فكان من المستهدين عبد الرحمن بن معاوية (المعروف بال«داخل»)، ففر وأهله إلى قرية على نهر الفرات ويروي بداية هذه القصة التاريخية العجيبة فيقول:

إني لجالس يوماً في تلك القرية في ظلمة بيت تواريت فيه لرمدٍ كان بي، وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي، وهو يومئذ ابن أربع سنين أو نحوها، إذ دخل الصبي من باب البيت فازعاً باكياً فأهوى إلى حجري، فجعلت أدفعه إلى ما كان بي ويأبى إلا التعلق، وهو دهشٌ يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع، فخرجت لأنظر، فإذا بالروع قد نزل بالقرية، ونظرت فإذا بالرايات السود عليها منحطة، وأخ لي حديث السن كان معي يشتد هارباً ويقول لي: النجاء يا أخي، فهذه رايات المسودة، فضربت بيدي على دنائير تناولتها، ونجوت بنفسي والصبي أخي معي، وأعلمت أخواتي بمتوجهي ومكان مقصدي.

وأمرتهن أن يلحقنني ومولاي بدر معهن، وخرجت فكمننت في موضع ناء عن القرية، فما كان إلا ساعة حتى أقبلت الخيل فأحاطت بالدار، فلم تجد أثراً ومضيت ولحقني بدر، فأتيت رجلاً من معارفي بشط الفرات، فأمرته أن يتتبع لي دواب وما يصلح لسفري، فدلّ عليّ عبد سوء له العامل، فما راعنا إلا جلبة الخيل تحفزنا فاشتدنا في الهرب، فسبقناها إلى الفرات فرمينا فيه بأنفسنا، والخيل تناديننا من الشط: ارجعوا لا بأس عليكم فسبحت حاثاً لِنفسي وكنت أحسن السبح، وسبح الغلام أخي، فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخي ودهش، فالتفت إليه لأقوي من قلبه، وإذا هو قد أصغى إليهم وهم يمدعون عن نفسه، فناديته:

تقتل يا أخي، إلي إلي فلم يسمعني، وإذا هو قد اغتر بأمانهم، وخشي الغرق، فاستعجل

(١) قصة مأثورة وردت في الكثير من المواقع المعتمدة والكتب.

الإنقلاب نحوهم، وقطعت أنا الفرات، وبعضهم قد همَّ بالتجرد للسباحة في أثري، فاستكفه أصحابه عن ذلك، فتركوني، ثم قدموا الصبي أخي الذي صار إليهم بالأمان فضربوا عنقه، ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فاحتملت فيه ثكلاً ملأني مخافةً، ومضيت إلى وجهي أحسب أني طائر وأنا ساع على قدمي، فلجأت إلى غيضة أشبه، فتورايت فيها حتى انقطع الطلب، ثم خرجت أوام المغرب حتى وصلت إلى إفريقية»

توالت الأحداث منذ ذاك، إلى أن دخل عبدالرحمن بن معاوية الأندلس وكبر شأنه فيها، فملك قرطبة وفتح مُدناً حولها، وأقام دولةً أموية نافست الدولة العباسية في بغداد، فسبحان الله، تحول من طريدٍ يائس إلى ملكٍ عظيم الشأن، ويصفه المقري نقلاً عن ابن حيان فيقول:

كان عبد الرحمن راجح الحلم، فاسح العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم نافذ العزم، بريئاً من العجز، سريع النهضة متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه شجاعاً مقداماً، بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمأنينة بليغاً مفهوماً شاعراً محسناً سمحاً سخياً طلق اللسان، وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره، وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه، وكان يحضر الجنائز، ويصلي عليها، ويصلي بالناس إذا كان حاضراً الجمع والأعياد، ويخطب على المنبر، ويعود المرضى، ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم، إلى أن حضر في يوم جنازة فتصدى له في منصرفه عنها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له: أصلح الله الأمير، إن قاضيك ظلمني وأنا أستجيرك من الظلم، فقال له:

تنصف إن صدقت، فمد الرجل يده إلى عنانه وقال: أيها الأمير أسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تأمر قاضيك بإنصافي فإنه معك، فوجم الأمير والتفت إلى من حوله من حشمه، فرأهم قليلاً، ودعا بالقاضي وأمر بإنصافه، فلما عاد إلى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتدأه فيها جرى، فقال له: إن

هذا الخروج الكثير أبقى الله تعالى الأمير لا يجمل بالسلطان العزيز، وإن عيون العامة تخلق تجلته، ولا تؤمن بوادرهم عليه، فليس الناس كما عهدوا، فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل، ووكل بذلك ولده هشاماً

وكان عبد الرحمن الداخل أفصح الناس، وما كان من أبناء وأحفاد مروان أفصح منه، ومما يُنقل في ذلك: «مثل بين يديه رجلٌ من جند قنسرين يستجديه فقال له: يا ابن الخلائف الراشدين، والسادة الأكرمين إليك فررت وبك عدت من زمنٍ ظلومٍ ودهرٍ غشومٍ، قلّ المال وكثر العيال وشعث الحال فصير إلى ندادك المأل، وأنت ولي الحمد والمجد والمرجو للرفد، فقال له عبد الرحمن مسرعاً:

قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك، وأمرنا بعونك على دهرك، على كرهنا لسوء مقامك، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والإلحاف في الطلبة، وإذا ألم بك خطب أو حزبك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك، كيما نستر عليك خلتك، ونكف شمات العدو عنك، بعد رفعك لها إلى مالِك ومالِكنا عز وجهه بإخلاص الدعاء وصدق النية، وأمر له بجائزة حسنة، وخرج الناس يتعجبون منه من حسن منطقته وبراعة أدبه، وكف فيما بعد ذوو الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه.

ولكن رغم الصفات الحسنة أعلاه، فلم يكن عبد الرحمن الداخل يمتلك حلم معاوية أو لين عثمان، وقد روي في شأن حزمه وصرامته:

ولما فتح الداخل سرقسطة، وحصل في يده ثاثرها الحسين الأنصاري وشدخت رؤوس وجوهها بالعمد، وانتهى نصره فيها إلى غاية أمله أقبل خواصه يهتئونه، فجرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند، فهنأ بصوت عال، فقال الداخل: والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ علي فيه النعمة من هو فوقني فأوجب علي ذلك أن أنعم فيه علي من هو دوني لأصلينك ما تعرضت له من سوء النكال، من تكون حتى تقبل مهناً رافعاً صوتك غير متلجلج ولا متهيب لمكان الإمارة ولا عارف بقيمتها

حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك؟

وإن جهلك ليحملك على العود لمثلها، فلا تجد مثل هذا الشافع في مثلها من عقوبة، فقال: ولعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلي وذنوبي، فتشفع لي متى أتيت بمثل هذه الزلة، لا أعدمنيه الله تعالى، فتهلل وجه الأمير، وقال: ليس هذا باعتذار جاهل، ثم قال: نبهونا على أنفسكم، إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها، ورفع مرتبته، وزاد في عطائه.





## قصة المراسل الذي أصبح وزيراً<sup>(١)</sup>

حين ولد الفتى البدوي الخجول، علي ابراهيم النعيمي، في عام ١٩٣٥، كانت قد مضت أربع سنوات فقط على تحميل أول شحنة من الزيت الخام تصدرها السعودية على متن ناقلة للعالم الخارجي في الأول من مايو (أيار) ١٩٣٩، إيذاناً بعصر جديد، ومنذ ذلك الحين اقترن اسم علي النعيمي بصناعة النفط وتدرج فيها من القاع إلى القمة وكان محظوظاً بقدر ما كان مثابراً، وهو يطوي صفحة شظف العيش التي لازمته طفلاً، بدخوله مدرسة الجبل أولى المدارس التي بنتها ارامكو في الظهران، وظلّ يتذكر أول يوم له في مدرسة الجبل في عام ١٩٤٥:

(رأيت ذاك المعلم الأميركي بلحيته الكثة الحمراء يشير إلى السبورة، والجميع يصيح *this is a fox*، فقلت مثل قولهم، وتلك هي الطريقة التي بدأ بها الجميع تعليمهم، بعد عامين، ولج عالم الشركة النفطية الأكبر في العالم، حيث لا يوجد في سجل الشركة حتى اليوم وربما في سجل شركات أخرى تاريخاً في الخدمة ياثل التاريخ الذي سطره علي النعيمي، فقد التحق بصناعة النفط حين كان عمره ١٢ عاماً، وبدأ مراسلاً براتب يقل عن الدولار في اليوم، وحين أصبح أول سعودي يت رأس شركة ارامكو كان قد أمضى ٤٨ عاماً في الشركة، وهو اليوم يطوي ٦١ سنة من خدمته في قطاع النفط والطاقة.

البدوي الكتوم، الذي لا يحبّ الأضواء، ويتحاشى الصحافة حدّ النفور كان طموحاً حدّ الخيال، فالأيام الصعبة التي قضاها مراسلاً فطباعاً على الآلة الكاتبة، فموظفاً في ضبط الحسابات، وشؤون الموظفين، لم تشبع نهمه، ولم تلبّ رغبته، كما لم يكن يرضيه مجرد الحصول على وظيفة تدر عليه دخلاً، ففي الخمسينات، وتحديدًا ما بين ١٩٥٦ و١٩٦٣ اشترك في برنامج التدريب العالي للشركة، وابتعث أولاً إلى الكلية الدولية في

(١) مقالة بعنوان: علي النعيمي، قصة الحلم السعودي، صحيفة الشرق الأوسط، الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٩ مايو ٢٠٠٨ العدد ١٠٧٧٥.

بيروت، ومن ثم الجامعة الأميركية في بيروت، وانتقل منها إلى جامعة ليهاي بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأميركية، حيث حصل على شهادة بكالوريوس في الجيولوجيا عام ١٩٦٢.

وفي سنة ١٩٦٣ نال درجة الماجستير من جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا في الهيدرولوجيا «علم المياه الجوفية» والجيولوجيا الاقتصادية، وبعد عودته إلى السعودية عمل هيدرولوجياً و جيولوجياً في إدارة التنقيب حتى عام ١٩٦٧، ثم عُيّن ناظراً لقسم الإنتاج في بقيق عام ١٩٦٩.

وفي عام ١٩٧٥ انتخب لمنصب نائب رئيس ارامكو للإنتاج وحقن الماء، وفي عام ١٩٧٧ رأس شركة أرامكو لما وراء البحار لمدة شهرين، تلاها في يوليو (تموز) ١٩٧٨ أصبح نائباً أول للرئيس لشؤون عمليات الزيت. وفي ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ عُيّن أول رئيس سعودي لأرامكو، وفي ١٩٩٥ عُيّن وزيراً للبتروك والثرورة المعدنية ورئيساً لمجلس إدارة أرامكو.

طوال تلك الفترة، كان علي النعيمي هو نفسه الموظف الذي أرسى مع زملائه تقاليد العمل، وثقافة الإنتاج في شركة ارامكو التي تقوم على الانضباط والالتزام وتكون ما يصطلح عليه بـ(ثقافة ارامكو)، هذه الثقافة التي تتجسد بشكل كامل في الوزير علي النعيمي، الذي ينطبق عليه بشكل واضح مبدأ (الجدارة) في العمل.

كان عصامياً، فليس في تاريخه الوظيفي مكاناً لـ(الواسطة)، كما كان منضبطاً حتى أن موظفيه كانوا يشاهدونه بلباس الرياضة يجلس على مقاعد الانتظار في المركز الصحي بالظهران ينتظر دوره للدخول الى العيادة.

وبالإضافة إلى الإصرار، فإن علي النعيمي الذي يحب العمل بروح الفريق، حاسم جداً في قراراته، ويقول بعض مستشاريه أنه رغم ما يبدو عليه من تواضع وخجل فإنه (صاحب قرار)، على الرغم من انه يخضع معظم قراراته للنقاش والاستشارة، وربما بسبب هذا السلوك كانت السنوات الثلاث عشرة التي قضاها وزيراً للنفط

أكثر الفترات ازدهاراً في العلاقة بين شركة ارامكو ووزارة البترول.

كذلك فإن النعيمي الذي ورث حقبة مضطربة في أسواق النفط، عمل على إبعاد منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) عن التجاذبات السياسية، وحقق نجاحاً باهراً حين قاد توجه المنظمة للعمل بشراكة كاملة لمصلحة دولها وشعوبها، وتحييد النفط عن الصراعات والتطورات السياسية، هذا النجاح مكّن الأوبك من أن تحقق قفزة في الإنتاج تستطيع من خلاله تعويض النقص في الإمداد، من دون أن ينعكس ذلك صراعاً بين المنتجين، وسط أحداث سياسية خطيرة، ومكّن هذه الدول من أن تحافظ - رغم العقبات - على سعر مغرٍ للبرميل.

وعلي النعيمي قارئ ومثقف، ومستشاروه يقولون إنه (موسوعة) في الثقافة النفطية، لكن أحداً منهم لا يتمكن من فكّ ألغاز العلاقة الباهتة بين النعيمي والصحافة، فالرجل الذي يتحاشى الإعلام، يعرف جيداً أن أي تصريح له من شأنه أن يهزّ أسواق النفط من دبي إلى نيويورك.

قبل ستين عاماً، حين كانت أرامكو تدب فوق هضبة الظهران، كان هناك فتى صغير السن التحق للتو بأعمال الشركة يلف (غتره) بيضاء على رأسه ويلبس بنظلاً رثاً، وفي لفح الهجير، ساق الفتى خطاه نحو (الكامب) حيث يستريح الموظفون الأميركيون، ولفت انتباهه وجود الماء المثلج، فمدّ يده لكأس من الفلين وبدأ يشرب وعندها لمح المفتش، وطلب منه المغادرة، لأن هذا المكان مخصص للمهندسين، وليس للعمال.

وبإصرار سأله الفتى، ومتى عساي أن أتمكن من دخول هذا المكان؟ فقال له المفتش الأميركي: إذا تعلمت وتدربت واصبحت مهندساً، ومنذ ذلك الوقت، أصرّ علي النعيمي على أن يقهر المستحيل حتى يحقق الحلم.

## قصة هيلين كيلر<sup>(١)</sup>

هيلين كيلر Helen Adams Keller ولدت في ٢٧ يونيو ١٨٨٠م وتوفيت في ١ يونيو ١٩٦٨م. أديبة ومحاضرة وناشطة أمريكية، وهي تعتبر إحدى رموز الإرادة الإنسانية، حيث إنها كانت فاقدة السمع والبصر، واستطاعت أن تتغلب على إعاقتهما وتم تلقيها بمعجزة الإنسانية لما قاومته من إعاقتهما حيث أن مقاومة تلك الظروف كانت بمثابة معجزة.

ولدت هيلين كيلر في مدينة توسكومبيا في ولاية ألاباما بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٠م، وهي ابنة الكابتن آرثر كيلر وكايت أدامز كيلر.

وتعود أصول العائلة إلى ألمانيا. لم تولد هيلين عمياء وصماء لكن بعد بلوغها تسعة عشر شهراً أصيبت بمرض شخسه الاطباء أنه التهاب السحايا وحمى قرمزية مما أفقدها السمع والبصر.

في ذلك لوقت كانت تتواصل مع الآخرين من خلال مارتا واشنطن ابنة طباحة العائلة التي بدأت معها لغة الإشارة وعند بلوغها السابعة أصبح لديها ٦٠ إشارة تتواصل بها مع عائلتها.

بالرغم من أنها عمياء وصماء لكنها استطاعت الحصول على شهادة في اللغة الإنجليزية. فذهبت إلى مدينة بالتمور لمقابلة طبيب مختص بحثا عن نصيحة، فأرسلها إلى ألكسندر غراهام بل الذي كان يعمل آنذاك مع الاطفال الصم فنصح والديها بالتوجه إلى معهد بركينس لفاقدي البصر حيث تعلمت لورا بردجهم.

وهناك تم اختيار المعلمة آن سوليفان التي كانت في العشرين من عمرها لتكون معلمة هيلين وموجهتها ولتبدأ معها علاقة استمرت ٤٩ سنة.

حصلت آن على إذن وتفويض من العائلة لنقل هيلين الي بيت صغير في حديقة المنزل

بعيدا عن العائلة، لتعلم الفتاة المدللة بطريقة جديدة فبدأت التواصل معها عن طريق كتابة الحروف في كفها وتعليمها الاحساس بالاشياء عن طريق الكف. فكان سكب الماء على يدها يدل عن الماء وهكذا بدأت التعلم ومعرفة الاشياء الأخرى الموجودة حولها ومن بينها لعبتها الثمينة.

وبعد مرور عام تعلمت هيلين تسعمائة كلمة، واستطاعت كذلك دراسة الجغرافيا بواسطة خرائط صنعت على أرض الحديقة كما درست علم النبات، وفي سن العاشرة تعلمت هيلين قراءة الأبجدية الخاصة بالمكفوفين وأصبح بإمكانها الاتصال بالآخرين عن طريقها.

في سنة ١٨٩١ عرفت هيلين بقصة الفتاة النرويجية راغنهيلد كاتا التي كانت هي أيضا صماء وبكماء لكنها تعلمت الكلام. فكانت القصة مصدر الهام لها فطلبت من معلمتها تعليمها الكلام وشرعت آن بذلك مستعينة بمنهج تادوما عن طريق لمس شفاه الآخرين وحناجرهم عند الحديث وطباعة الحرف على كفها.

لاحقا تعلمت هيلين طريقة برايل للقراءة فاستطاعت القراءة من خلالها ليس فقط باللغة الإنجليزية ولكن أيضا بالالمانية واللاتينية والفرنسية واليونانية.

ثم في مرحلة ثانية أخذت سوليفان تلميذتها إلى معلمة قديرة تدعى (سارة فولر) تعمل رئيسة لمعهد (هوارس مان) للصم في بوسطن

وبدأت المعلمة الجديدة مهمة تعليمها الكلام بوضعها يديها على فمها أثناء حديثها لتحس بدقة طريقة تأليف الكلمات باللسان والشففتين، وانقضت فترة طويلة قبل أن يصبح باستطاعة أحد أن يفهم الأصوات التي كانت هيلين تصدرها.

لم يكن الصوت مفهوماً للجميع في البداية، فبدأت هيلين صراعا من أجل تحسين النطق واللفظ، وأخذت تجهد نفسها بإعادة الكلمات والجمل طوال ساعات مستخدمة أصابعها لالتقاط اهتزازات حنجرة المدرسة وحركة لسانها وشففتيها وتعبير وجهها أثناء الحديث.

وتحسن لفظها وازداد وضوحاً عاماً بعد عام في ما يعد من أعظم الانجازات الفردية في تاريخ تربية وتأهيل المعوقين، ولقد أتقنت هيلين الكتابة وكان خطها جميلاً مرتباً. ثم التحقت هيلين بمعهد كامبردج للفتيات، وكانت الأنسة سوليفان ترافقها وتجلس بقرها في الصف لتنقل لها المحاضرات التي كانت تلقى وأمكنها أن تتخرج من الجامعة عام ١٩٠٤م حاصلة على بكالوريوس علوم والفلسفة في سن الرابعة والعشرين، ذاعت شهرة هيلين كيلر فراحت تنهال عليها الطلبات لالقاء المحاضرات وكتابة المقالات في الصحف والمجلات.

بعد تخرجها من الجامعة عازمت هيلين على تكريس كل جهودها للعمل من أجل المكفوفين، وشاركت في التعليم وكتابة الكتب ومحاولة مساعدة هؤلاء المعاقين قدر الإمكان، وفي أوقات فراغها كانت هيلين تخطط وتطرز وتقرأ كثيراً، وأمكنها أن تتعلم السباحة والغوص وقيادة العربة ذات الحصانين والخياطة.



## جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب : ماذا انتظر؟  
المؤلف : د. صالح الفهدي

ويحظر نسخ وأو طبع وأو تصوير  
وأو إعادة صف وإخراج هذا الكتاب  
أو أي جزء منه وأو تسجيله على  
الأشرطة و أو وسائل تحميل الصوت  
أو الصورة وأو الأقراص المدمجة أو  
الممغنطة وأو إدخاله على الكمبيوتر أو  
من قواعد البيانات وأو استغلاله بأي  
شكل من الأشكال إلا بموافقة خطية  
من المؤلف.

### All Rights Reserved

No part of this publication  
May be reproduced or distributed in  
Any form or by any means, or  
stored in a database or retrieval  
system, without the prior written  
permission of the publisher.

الطبعة الأولى

٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

ISBN 978-99969-1-311-2



9 789996 913112

Printed by

alanan  
PRINTING PRESS  
Al-Anan Printing Press

www.alananprinting.com

## كتاب تحفيزي حول سر المبادرة

### ماذا أنتظر؟!

أنتظر الضرب السوانح حتى تهب علي مع  
الريح فاستثمرها...!  
أنتظر طارقا يطرق علي باب بيتي ليأتيني  
بثروة لم أحلم بها...!  
أنتظر من يدلني علي الطريق الذي أحقق  
فيه طموحي، وأنجز فيه أهدافي...!  
أنتظر حتى يحدث لي حادث فتبدر مني  
ردة فعل إزاءه...!  
ماذا أنتظر؟!  
الوقت يمضي سريعا، والعمر ينقض معه...!  
وأنا قعد لا أتحرك وكأنني المسلول  
فكرا وجوارحا...!  
تتخيل أمامي أطراف الأحلام التي أبدو  
فيها وقد بلغت ما آمله من سعادة فماذا  
أنتظر؟!

### عزيزي القارئ المبادر ...

هذه التساؤلات أردتها قبل قراءتك لهذا  
الكتاب أن تستثير نفسك، وتستجيش  
عزائمك، وتحفز قواك حتى لا ترضى  
بالخمول جليسا، ولا بالكسل أنيسا.

خواطر صادقة عميقة الأثر حول  
المبادرة، والمبادرة هي نظري هي السر  
الأثمن في الحياة، ولولا المبادرين في هذه  
الحياة لخلت كل طعم، ولم تتقدم أساليب  
العيش، ولم ترتق أنماط السلوك... وظل  
الإنسان يعيش في الكهوف...! المبادرون  
هم الذين دفعوا البشرية نحو التقدم،  
والأوطان نحو النماء والإزدهار، والمجتمعات  
نحو مزيد من التفاعل والإبداع والابتكار،  
وهم الذين وصلوا إلى منابع السعادة...  
فكن أحدهم..

كن مبادرا

Activate Wi  
Go to Settings